

مكتبة
عبدالله بن مسعود

يوسف السباعي

سيرة يوسف



قراءة ممتعة

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
Syrian Story

يوسف السباعي

سيرة مصر

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مكتبة سكر لبي
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
(تسرا) مكتبة الإسكندرية

رقم التسجيل ٦١٥٩٦

يطلب من :

مكتبة مصر

شارع كامل صفي - القاهرة -

سعيد جوده السحار وشركاه

الإهداء

إلى الحفيد « عبد الوهاب » :
أول من قذف بي من جيل الآباء إلى
جيل الأجداد . لعسل جيله يحقق
لل البشرية من آمال الحرية والعدالة
وأمانى الرخاء والسلام .. ما لم
تستطع أجيالنا أن نحققه .

يوسف السباعي

مقدمة

هذه أرضك الكبرى ودنياك الحافلة ..
كرة ضئيلة في بحر الكون المتلاطم ..
ومضة من ملايين الومضات في السماء
الفسيحة .. لست في الكون وحيدك
إنما الله أحد .. الله الصمد ..

يوسف السباعي

١ - خفيف .. بلا جسد

هذه هي الأرض يا عبد الراضى .
مجرد كرة صغيرة .. معلقة فى الجو .. بلا ثور يحملها على قرنيه .
ماذا يبقيا فى مكانها .. وماذا يبقى الناس فوقها ؟
كنت هناك بالأمس يا عبد الراضى .. تسعى فوقها .. مع ملايين البشر
تبدون بمشاكلكم ورغباتكم وأطماعكم والغرور يملأ نفوسكم وكأنكم كل شىء
فى هذا الكون .
ومع ذلك تبدو الأرض لك .. بكل ما عليها من بشر .. من أمثالك ..
ومن غير أمثالك .. ومن كل أنواع الناس .. والمخلوقات .. والطيور ..
والحيوانات .. والأسماك .. والزواحف .. والحشرات .
تبدو الأرض بكل ما فيها من صمت وضجيج وسكون حركة .. وآمال
وآلام .. ودور وقبور .. وأراض ويحور كأنها مجرد بطيخة .. فضية
.. لامعة .. معلقة فى سقف شادر مع غيرها من البطيخ والأعلام والكلوبات
فى أحد أفراح البغالة أو سيدى الطبيى .
هذه هي الأرض يا عبد الراضى ..
الأرض الكبيرة .. الكبيرة ..
والإنسان يملأ رحابها .. يمشى عليها مرها كأنه فى الكون وحده . كم
يبدو ضئيلا .. بكرته اللامعة .. فى بحر الكون المتلاطم .. فى السماء
الفسيحة التى تتلأل فيها ملايين النجوم .. والكواكب .. ومن بينها ..
أرض الإنسان .. ومضة من ملايين الومضات التى تومض فى فسحة الكون
.. ليس الإنسان بأرضه وجبروته وحده فى الكون ، إنه جزء من ملايين

الكائنات التى تملأ رحاب الفضاء .. إنما الأحد .. هو الله الصمد .
هذه أرضك يا عبد الراضى .. كرة رمادية .. تحيطها الزرقة ويلفها
السواد .

اختفت منها كل معالم حياتك ..
شارع القصر العينى .. ودار الزمان التى قضيت فيها نصف عمرك ..
تنتقل بين المحررين فى الدور العلوى والمطابع فى السفلى .. تحمل الأصول
والبروفات .. والقهوة والشاي والكازوزة والسجائر .. على الدرج الحجرى ..
حتى تأكلت تحت قدميك درجاته .

اختفى شارع القصر العينى بدار الزمان .. واختفى سيدى الطيبى بدار
عبد الراضى .. التى لم فيها أم عبده بأولادها واختفى الحى كله بدكاكينه
وبيوته وأوتوبيساته المثقلة بركابها واختفت المدينة واختفت مصر .. أم الدنيا
.. بحالها .

اختفى كل شيء ..
لم يبق من دنيائك .. سوى هذا الشيء الكروى الذى يلعب من بعيد
والذى قال لك الأستاذ .. إنه الأرض التى كنت تعيش عليها .
غير معقول !!

غير معقول أن تكون قد أمضيت عمرك كله .. على هذه الكرة .. دون
أن تتزحلق وتهوى .. إلى هذا الفضاء العجيب المليء بالنجوم . ولكن من
أين انطلقت إذن .. وفى أية بقعة فى هذا الفراغ كنت تعيش ؟ .. وأين
أمضيت عمرك ؟ .. وأين دار المجلة ؟ .. وأين دارك ؟ .. وأين شارع
القصر العينى وفم الخليج ؟ .. وأين .. وأين . فى مكان ما .. بين هذه
الأشياء التى تهرق من بعيد .. لا بد أن يكون مقرك .. بلدك .. حيك ..
وبيتك .. ومشاكلك .

ومن مكان ما .. بين هذه الأشياء التى تنتثر فى الفضاء الفسيح ..
لا بد أن تكون انطلقت .

ومع ذلك .. لماذا تشغل نفسك بهذا كله ..
من مكان ما فى هذا الفراغ أتيت ..
والى هذا المكان .. ستعود ..
الذى أتى بك سيعيدك ..
المشكلة .. ليست فى المكان الذى أتيت منه ..
إنما هى فى المكان الذى وصلت إليه ..
رحلة مهيبة .. هذه التى دفع بك إليها الأستاذ ..
ضحك عليك كمادته ..
قال لك .. فركة كعب ..
وهى فعلا .. فركة كعب ..
ولكنها قذفت بك من الأرض كلها ، بدلا .. من أن تقلب بك من
القاهرة .. أو من مصر .
وكان عليك أن تطاوعه .. بعد أن تعقدت أمامك المشاكل وتعذرت
الحياة ..
لم يكن هناك مايفريك بالبقاء على الأرض .. والمعارك على أشدها بين
زوجاتك فى البيت وبين رفاقك فى المجلة ..
والبقاء على الأرض .. دون الأستاذ .. مشكلة .. فلقد بات سندك
الوحيد على الأرض .
ولم يعد هو يشعر بالغنى عنك .. بعد أن بت تابعه الخاص .. تلازمه
فى المجلة .. وفى البيت .
وفجأة علا صوت الأستاذ من القمرة المجاورة صائحا :
- يا عبد الراضى .. عبد الراضى .
- أفنتم يا أستاذ .
- فنجان شاي يا عبد الراضى .
- شاي إيه يا أستاذ .. هنا لا يوجد غير الأنابيب .

.. منذ أن تركنا الأرض وأنا أبتلع فى أنايب .. وكأنى أكل صابون
حلاقة .. أو معجون أسنان .. ألا تستطيع أن توضح لنا فئجان شأى على
السبرتاية .. كما كنت تعمل فى المجلة .

.. أى سبرتاية ياأستاذ .. لقد شحنتونى فى الخرج كما شحنتوك ..
مجردا من كل شىء .. حتى من علبة اللخان .

.. وما العمل الآن .. أريد أن أغير ريقى .

.. غيره على لحسة من أى أنبوبة أمامك .

.. إذن تعال ناولنى أى زفتة .

.. كيف آتى وأنا مشدود من وسطى .. كميمون الجبل .

.. فك الحزام .. ياغبى ..

أجل .. فك الحزام يا عبد الراضى .

فك الحزام وانهض .. واقفل شيئا .. بدلا من أن تظل ملقى على

ظهرك .. كالسلحفاة المقلوبة .. فلا أظنك ستبقى .. مطيحة على ظهرك
حتى آخر عمرك .

قم وأثبت وجودك ..

سيق الأرض .. ريش النوافذ ..

اقفل أى شىء .. ما دمت لاتستطيع أن تقدم فئجان شأى .. أو

تصنع فئجان قهوة .. أو تتنقل بالبروفات بين المطبعة والتحرير .

ومد عبد الراضى يده ففك الحزام الذى يشده إلى الفراش .. وفجأة ..

وجد نفسه يثب إلى أعلى ..

وإذا بجسده يعوم على الفراش ..

وحاول أن يطبق بكفيه على طرف الفراش ... وهو لا يجد أسفله شيئا

يستند جسده ..

وصاح فى فزع :

.. أستاذ .. ياأستاذ .

ووصل إليه صوت الأستاذ فى القمرة المقابلة يهتف به :
 - ماذا بك يا عبد الراضى .. ماذا حدث ؟
 - الحقنى يا أستاذ .. جتنى عامت على السرير .
 - وفيها إيه ؟
 - جتنى متلبشة .. جتنى ليست خالصة .
 - لماذا ياغبى ؟
 - قلت لك يا أستاذ لاشىء يسندنى .. أنا معلق فى الهواء .
 - طبعا ..
 - طبعا .. كيف ؟
 - لأننا فى منطقة اللاجاذبية .
 - الا إيه ؟
 - اللاجاذبية .
 - يعنى إيه ؟
 - هذا شىء يطول شرحه يا عبد الراضى .. المهم .. تعال .
 - كيف ؟
 - أمش .
 - أمشى كيف ؟
 - كما يمشى الناس ..
 - يا أستاذ .. الناس يمشون على الأرض .. وأنا ليس تحت قدمى أرض
 .. كيف أمشى ؟
 - فى الهواء .
 - لم أتعلم المشى فى الهواء .. لم أعمل فى سيرك من قبل ..
 - اعقل يا عبد الراضى وامش .. لا بد أن تتعلم المشى فى الهواء ..
 قدم رجلا .. بعد رجل ..
 - لأستطيع .. إنى أعوم فى الهواء يا أستاذ ..

.. إذن عم ..

.. لقد غرقت مرة فى شبر ماء .. فى ترعة بلدنا .

.. لن تفرق فى شىء يا عبد الراضى .. تحرك كما تشاء .. شوح بيديك .. وساقيك .. اترك نفسك تنساب فى الهواء .. كما تتحرك السمكة فى الماء .. والعصفور فى الهواء .

وتحرك عبد الراضى ..

ترك نفسه يتساب فى الهواء ..

سار بحذر فى أول الأمر .. كان يخشى أن يهوى فى أية لحظة . رفع قدما ليهبط بها محاولا الاستناد إلى الأرض .. ولكنها لم تهبط .. ظلت معلقة فى الهواء .. لم يفلح ثقله فى إنزالها إلى الأرض .. إما لأن شيئا صلبا فى الهواء يقاومها .. أو لأنه لم يكن له ثقل .

اضغط على قدمك يا عبد الراضى لتوصلها إلى الأرض .. فغير معقول أن تظل معلقا فى الهواء .. فمن يدريك .. أن يظل الهواء هكذا قادرا على حملك كالريشة .. احذر جيدا .. يا عبد الراضى .. فأنت لم تتعود شغل البهلوانات .

تحرك يا عبد الراضى .. أجل .. هكذا قدم الرجل الأخرى .

تأبى قدمك أن تهبط إلى الأرض ..

أنت خفيف يا عبد الراضى ..

خفيف كأنك تطير فى أحلامك .. أو فى غيبوبتك إياها .

وأنت تميل إلى الأمام فلا يختل توازنك ولا تهوى على عنقك . بت سمكة يا عبد الراضى .. تعوم فى الهواء .. وأنت الذى كنت تفرق فى شبر ماء .

تحرك خارج القمرة .. وقمايل وتبختر .. وتأرجح كأنك فى مرجيحة الوزة ..

لذيذ هذا المشى يا عبد الراضى .. لذيد هذا التطوح والتمرجع .

رفع الله عنك عبء جسدك .. الذى أنقض ظهرك .. ويت تسرى كالنسمة الخفيفة ..

عظمك ولحمك .. والشحم الذى يكسو كرشك .. باتت بلا وزن .. لم تعد مسئولا عن حملها فى كل خطوة تخطوها .

ياهاى .. خمسون سنة ياعبد الراضى وأنت تحملها على قدميك .. بكل مافيها من أحشاء وكرشة وفشة وكلاوى .. تحملها معك فى كل مشوار ..

كم صعدت بها .. درج المجلة .. تحملها مع البروفات .. وتهبط بها مع الأصول ..

كنت تضيق أحيانا بماتحمل .. فتحاول أن تخلص منه إلى حين .. تقذف به فى قرف .. فوق مقعد .. أو تلقى به فى يأس على المرتبة .

لكن هذا الكوم من اللحم الغليظ والشحم المتراكم والعظم الثقيل لم يدر بخلدك مرة أن تخلص منه نهائيا .. على طول ما أرهقك .. لأنه منك .. وعليك .. هو أنت ياعبد الراضى .

ولكنك الآن تسير بدونك .

حملة لم يعد من وأجبك ..

شئ ما يحملك عنك .. ويجعلك تتحرك بغير تبعيته وبدون ثقله .

جميل .. جميل .. أن تسير بلا جسد .. بلا عرق يقطر من جلدك .. وأنفاس تتلاحق من شفثيك .

ونفذ من باب القمرة اليسرى إلى القمرة المواجهة .. حيث صيحات الأستاذ تتلاحق :

.. ياعبد الراضى .. أنت فىن ؟

.. أنا هنا ياأستاذ ..

ووجد الأستاذ يقف فى مواجهته ..

ليس فى مواجهته بالضبط .. بل كانت قدماء فى مواجهته .. ورأسه

فى مواجهة قدميه ..

واحتار عبد الراضى ماذا يفعل وهربجد الأستاذ يقف على رأسه ..
وانتظر لحظة لعله يعتدل .. وتنحنح . وقبل أن ينطق صاح به الأستاذ فى
غيظ :

— أستظل هكذا متشقلبا ؟

— أنا ؟

— أمال أنا ؟

ماذا يقول له .. وهو يقف على رأسه ويتهمه بالشقلبة ويطلب منه أن
يعتدل .. هل يتشقلب مثله ؟ وهل يواصلان حديثهما وعملهما فى هذا
الوضع المقلوب ؟

ولكن أيهما المقلوب .. وأين السقف وأين الأرض .. بعد كل هذه
المرجحة والمطوحة والعموم فى الهواء .. وبعد أن خلص من هذا الشيء الذى
يلصق جسمه بالأرض .. وتساوت الأرض مع الحائط مع السقف .. فى
مسألة .. الانعبدال والاتقلاب .

أنت يا عبد الراضى تستطيع أن تكون معدولا .. فى أى وضع تشاء
.. بعد أن فقدت ارتباطك بالأرض .

فانقلب لتواجه الأستاذ .. وليكن هو مقياس الانعبدال بالنسبة لك .

ووقف عبد الراضى أمام الأستاذ عبد اللطيف .

ونظر الأستاذ إليه متسائلا فى غيظ :

— لم تستطع أن تحضر معك عدة الشاي يا خائب .

— كيف أحضرها .. بعد أن أدخلونا فى حجرة التجهيز وجرودنا من كل

شيء وأدخلونا فى هذا الجراب .. كيف أستطيع أن أحضر أى شيء معي ؟

— كما أحضرت أنا زجاجة الويسكى .

وانحنى الأستاذ ومد يده أسفل الفراش فأخرج زجاجة ويسكى وقذفها

إلى عبد الراضى .

ومد عبد الراضى يده فى سرعة محاولا تلقفها قبل أن تسقط .. وضربه الأستاذ على يده وهو يقول ضاحكا :

— ماذا تفعل ياغبى ؟

وعاد عبد الراضى يحاول الإمساك بالزجاجة والأستاذ يجذب يده والزجاجة معلقة فى الهواء .. وقال عبد الراضى فى خوف :

— أمسكها قبل أن تسقط . ويضيع الويسكى .

— يا جردل .. لا شىء هنا يسقط .. ولا شىء يضيع .

ومد الأستاذ يده فدفع زجاجة الويسكى فتحركت قليلا ولكنها لم تسقط .. وظلت معلقة فى الهواء .

وأمسك بالزجاجة ثم رفع السدادة وأمالها قليلا وعبد الراضى يصيح

— ماذا تفعل ياأستاذ ؟

— اسكت أنت .

وهبطت بضع قطرات ظلت معلقة فى فوهة الزجاجة كأنها حبات الكهرمان .. ومد الأستاذ شفتيه فالتقط الحبات وقال باستطعام :

— لذیذة .. تأخذ رشفة ؟

— لا .. ليس لى فيه .

— لماذا ؟

— حرام .

— والأشياء التى تلبعها ؟

— لم يرد بخصوصها نص .

وعاد الأستاذ يميل الزجاجة ويلتقط من فوهتها الحبات الصفراء .. وهو

يقول :

— شىء على ما قسم .. نغير به الريق بدل الشاى .

ومر الأستاذ بلسانه على شفتيه يمسح به ماعلق بهما من قطرات السائل

الأصفر .. وعاد يقول :

..والآن ماذا سنفطر ؟

وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى قمن :

.. لو ساندوتش فول من على ناصية الشارع ..

.. لا تذكرنى يا عبد الراضى .. ليس أماننا غير أنابيب المعجون ..

ولكن لماذا لا نرى الجماعة .. فقد يكون أحدهم أخفى شيئا كالزجاجة
التي أخفيها فى الجراب .. دعنا نحاول المقايضة .. كأس الويسكى بواحد
فول ..

وسرى الأستاذ من باب القمرة ووراء عبد الراضى .. وقال الأستاذ :

.. لم يعد يعرف الإنسان رأسه من رجليه .. أين السقف وأين الأرض يا

عبد الراضى .. هل نسير عدل .. أم نحن فى حالة شقلبة ؟

.. سنعرف عندما نرى أول شخص نصادفه .

ولم يكذب عبد الراضى ينتهى من قوله حتى أبصر بالسيدة شهيرة

تقترب منهما .. وقال الأستاذ وهو يراها فى وضع مائل على وضعهما :

.. عجيبة .. لا هى مقلوبة ولا معدولة .. إنها تسير بالورب .

وقال عبد الراضى فى ثقة الخبير:

.. تسير على المحيط !! فى الأرض .. عندما كنا ندخل قافية .. كان

أحدنا يقول للآخر .. أملك .. إشمعنى .. تمشى على المحيط .

وهنا .. لم يعد الأمر نكتة .. إن الأستاذة تمشى فعلا على المحيط .

وقالت شهيرة مجيبة :

.. صباح الخير يا أستاذ عبد اللطيف .. صباح الخير يا عبد الراضى ..

كانت رحلة عجيبة .. كانت فظيعة فى أولها .. كنت أشعر أن المقعد
سيتحطم من أسفلى من فرط الضغط عليه .. وكنت أشعر بقوة هائلة تجذبنى
إلى المقعد .

وهمس عبد الراضى متمتما :

.. لم أشعر بشيء .. بعد البلوعة التي تناولتها .. إنها الشيء الوحيد

الذى استطعت إخفا ..

وعادت شهيرة تقول :

.. ولكن الثقل أخذ يخف .. وبدأت أرى الأرض بأنهارها وجبالها
وبحورها وقاراتها الخمس .. وبالسحب وظلالها الخفيفة تنعكس عليها ..
وجدت البحار قائمة تلمع فيها نقط بيضاء ..
ولم يبد على أحدهما الاهتمام كثيرا بالبحار التى تلمع فيها النقط
البيضاء ..

فإن ما يشغل الأستاذ هو شيء يفطر به غير هذا المعجون .

واعتمدت شهيرة لتواجههما قائلة وهى تضحك :

.. أول مرة أمشى على الحائط .

ثم أردفت وهى تحاول جرهما إلى قمرتها قائلة :

.. هل رأيتما منظر السماء والنجوم والأرض ؟ .. سأسجل سبقا صحفيا
رائعا .. بكل هذا الذى أراه .. هل تريان كيف تلمع النجوم ؟ وكيف تبدو
الأرض كلؤلؤة تحاط بهالة زرقاء خفيفة تتدرج إلى اللون التركوازى ثم الأزرق
الداكن ثم البنفسجى ثم يلفها بعد ذلك السواد الفاحم .. هل رأيتما مجموعة
ألوان أجمل من هذه ؟ .. أى رسام يمكن أن يبدع مثل هذا المنظر الرائع ..
وكان عبد الراضى يعرف المنظر جيدا .. منظر البطيخة المنفضة المعلقة
فى سقف الشادر .. وكان كل ما يشغله .. هو كيف تقف الكرة فى مكانها ؟
.. وكيف تلم كل ما عليها من ملايين المخلوقات .. دون أن تتزحلق من على
سطحها ؟ .. وكان كل ما يريد معرفته .. هو أين القصر العينى .. وأين قم
الخليج ؟ ..

وتظاهر عبد اللطيف بمشاركة شهيرة الإعجاب بالمنظر وهو يقول :

.. رائع .. عجيب .

وردت شهيرة وهى تشهق فى إعجاب :

.. سيوحى إليك هذا كله .. بقصة لم تكتب مثلها .. وسيلهمك بقصائد

رائعة .. منظر السماء .. والنجوم والأرض .. بما يحيط بها من ألوان
عجيبة .

وقال عبد اللطيف مرددا دون أن يعرف ماذا يمكن أن يكتب عن هذا
.. أكثر مما قالته :

.. طبعاً .. طبعاً .. وإلا لما كانت للرحلة فائدة ولذهب كل هذا المجهود
سدى ..

وانتفت إليها قائلاً ببساطة :

.. هل لديك شيء يؤكل ؟ ..

وتساءلت في دهشة :

.. هل أكلت كل ما عندك ؟

.. أقصد شيئاً يؤكل .. بما نأكل على الأرض .. شيئاً .. لا يذكرنا ..

بالكولينوس .. والبالموليف ..

.. ماذا تقصد ؟ ..

ورد عبد الراضى ببساطة :

.. الأستاذ يريد .. ساندويتش فول .

ويدت على شهيرة الدهشة .. وفتت قائلة :

.. عبد اللطيف .. أتريد ساندويتش فول .. هنا فى القضاء ؟

ورد عبد اللطيف :

.. ليس بالضبط .. أريد أى شيء يؤكل .. فول .. جبن .. طعمية ..

بسطربة .. أى شيء غير هذه الأنابيب السخيفة .

.. تاخذ أقراص ؟ ..

.. أقراص إيد يا شهيرة .. أريد شيئاً يغمس .. إن شالله بامية .

.. تريد بامية فى مركب فضاء يا أستاذ عبد اللطيف .. لو سمعك قائد

المركب .. لظنك جنتت ..

وقال عبد اللطيف فى يأس :

... خلاصة القول إنك لم تهربي شيئا معك ؟
... أهرب شيئا .. أهرب أكل ؟ .. طبعاً لا .
ونظر عبد اللطيف إلى الأحمر فى شفتيها .. وإلى الكحل فى جفنيها
ورد مؤكداً :
... طبعاً .. لم تهربي أكل .. هربت أشياء أهم من ذلك .. رغم أن
عينيك وشفتيك فى غير حاجة إلى ماهرته من أجلها .. إنها ما زالت أحلى
.. ما فى الكون ..
وردت شهيرة باسمه :
... كنت أظنك ستجد إلهاً جديداً .
... مازلت عند رأى الكاتب « الإنسان قبلة الإنسان ومالذ الأدمى
كالأدمى » .
... حتى فى الفضاء ؟
... لا يمنح الكائنات التى حولنا قيمة .. إلا إنسان نحب .. فى أى مكان
حتى فى الفضاء .
... مازلت تتحدث كإنسان على الأرض .
... وهل غير البعد عنها تركيبتنا ؟
... لا أظن ..
ثم أردفت ضاحكة :
... وإلا لما أصرت على ساندويتش الفول ..
... إذن دعينا نذهب إلى أبيك لعل عنده شيئا مفيداً .
وهز عبد الراضى رأسه فى يأس :
... نجد عند الدكتور عبد الحبير .. ساندويتش فول .. أهذا معقول ؟
... عالم كبير ومخترع خطير مثله .. لا يستطيع أن يطعمنا شيئا غير هذه
الأنابيب ؟
وأجابت شهيرة :

— سيطعمك أقراصا .

— ياساثر ..

وعاد عبد اللطيف يقول :

— قد نجد عند الباشمهندس عبد القادر شيئا ..

وردت شهيرة :

— لو عند الباشمهندس .. ساندوتش فول .. فلماذا يعطيه لك .. إنه إما

يعطيه للقائد .. أو يأكله ..

وقال عبد اللطيف :

— إذن نسأل القائد ..

وردت شهيرة :

— القائد رجل جد .. ولا يحب الغلط .. إنه يحب الضبط والربط .. أكل

من الأنابيب يعنى أكل من الأنابيب .

— وإلى متى سنظل نأكل .. هذا المعجون ؟

— حتى نهبط إلى الكوكب الآخر ..

وتسالم عبد الراضى :

— وفى هذا الكوكب .. هل سنجد عيش وغموس .. هل سنجد للأستاذ

ساندوتش ؟

— من يدري يا عبد الراضى .. قد نجد كل ما نريد وقد لا نجد شيئا أبدا .

٢ - الزوجة السادسة

استقرت مركبة الفضاء بمن فيها في مدارها داخل منطقة اللاجاذبية استعدادا للتزول إلى الكوكب الآخر .

وعاد عبد اللطيف يسرى مع عبد الراضى فى ممر المركبة بعد لقاء مع الدكتور عبد الحبير العالم الألكترونى والمهندس عبد القادر مهندس السفينة والكابتن عبد المهيمن قائد السفينة .

وقال عبد اللطيف وهيتجه إلى قمرته :

- تذكرنى المركبة بديزل أسوان ..

- لم أجرب غير قطار الصعيد .. نمت به مرة على رف البضائع وأنا طفل .. ومرة تكومت تحت أحد المقاعد ... هنا نعمة .. المهم ربنا يستر حتى نعود إلى الأرض سالمين .

ودخل عبد الراضى إلى قمرته .. واستقر على فراشه .. طافيا فوقه .. ناظرا بعينه إلى ما وراء النافذة ..

إلى الكرة المستديرة الرمادية المحاطة بألوان الطيف .

أو إلى بطيخة الفرج .. الفضية المعلقة فى سقف الشادر .

كان هناك بالأمس . كبقية خلق الله المحشورين على سطحها .. فى دورها وأسواقها .. وأوتوبيساتها .

وضاقت به .. أو ضاق بها ..

وسأله الأستاذ ذات ليلة وهوىجلس فى حجرة مكتبه بالمجلة بعد أن دفع المقعد بجسده الممتلىء إلى الخلف ومد ساقيه فى استرخاء وتناول رشقة طويلة من فنجان الشاي الذى أحضره إليه .

.. هل تأتى معى يا عبد الراضى ؟

.. إلى أين ؟

.. بعيدا عن هذه الأرض .

وهز عبد الراضى رأسه وابتسم .

كان الأستاذ دائما يتحدث عن السماء .. والموت .. والجنة ..
والجحيم . ويخبره مازحا .. أنه لا يستطيع أن يترك الأرض بدونه .. وأن
عليه أن يدبر أمر اللحاق به عندما يموت .. وأنه سيحجز له مكانا فى
الجحيم .. ثم يتوسط له للذهاب إلى الجنة بعد أن يقضى مدته فى الجحيم ..
وكان عبد الراضى يحب الأستاذ .. يحب فيه صفاء ونقاء ..
وطيبته ومرحه ..

وكان يشعر أنه الوحيد الذى يستطيع أن يلجأ إليه .. ليشكو همه ..
ويطلب عونه عندما تتأزم به الحياة .. وهى كثيرا ما تتأزم .

كان شيئا آخر غير بقية المحررين والموظفين الذين تمتلئ بهم الدار .. لم
يكن يجد حوائل من الكلفة يمكن أن تحول بينهما .. كان يستطيع أن يترك
نفسه معه تنساب على سجيتها .. دون حرج أو تهيب .. كان بينهما ما بين
الأب والابن .. ولم يكن يستطيع أن يحدد بالضبط من منهما الأب ومن
الابن ..

كان يقف منه موقف الأب عندما يراه مرهقا بالسهر أو بالعمل أو
بالشراب فيقول له أمرا :

.. قم يا أستاذ .

.. إلى أين ؟

.. إلى البيت .. وكفاك سهرا .

.. ولكنى على موعد مع ..

.. لن تلقى أحدا بعد الآن .. سنذهب لننام .. وسأذهب معك حتى أبیت

عليك .. وأغلق عليك باب الشقة .

— اذهب أنت ونم إن كنت قد تعبت .. أو كنت قد اشتقت إلى زهرة ..
— لم أتعب ولم أشتق إلى أحد .. لقد أصبحن كلهن كالهم على
القلب .. ولكنى أريدك أن تستريح .
وعندما كان يطرق باب الأستاذ سائل .. يخرج المحفظة ليعطيه ما بها ..
كان يدخل ليقول ناهرا :
— هل تجد النقود في الطريق ؟
— لماذا ؟

— هذا الذى أعطيته .. نصاب ابن نصاب .. قال لك إن أمه مريضة
بالمستشفى .. وأنا أعرف أنه أخذ إعانة من الإدارة في العام الماضى لدفتها .
— لابد أن تكون المشكلة التى لديه أخطر عنده من أمه مادام يستعين
على حلها مرة بموتها ومرة بمرضها ... كل إنسان وله مشكلة ياعبد
الراضى ..

وكان عبد الراضى يقف منه موقف الابن المذنب عندما تمسك المشكلات
بخناقه .. فتأتى أم عبده لتشكوه لأنه ضربها علقه ساخنة .. فيناديه الأستاذ
لتقريبه وتأنيبه ..

وكان يقف أمامه كالطفل عندما يطلب منه جلبها على العيد ..
أو يعتذر عن نومه للظهر عقب سهرة فى حلقة ذكر أو مولد أو فى غرزة .
وتوثقت أواصر الصلة بين الاثنين . على فرط التباين والتناقض بينهما
حتى لم يعد لأحدهما غنى عن الآخر . وبات الأستاذ يشعر بأن شيئا ينقصه
فى غياب عبد الراضى ... وأصبح عبد الراضى لا يكاد يتصور كيف يكون
العمل فى المجلة بغير وجود الأستاذ عبد اللطيف .

وفى تلك الليلة عندما سأله أن يأتى معه بعيدا عن الأرض لم يشك فى
أنه يمزح فأجابه كمادته :
— اذهب معك .. حتى إلى الجحيم .. فالحياة بدونك لاتسوى بصلة .
ونظر إليه الأستاذ قائلا :

.. لن تذهب إلى جهنم يا عبد الراضى ..

.. بعد كل ما فعلناه ؟

وضحك الأستاذ قائلا :

.. لم يحن الوقت بعد .. مازالت فى العمر بقية .

.. إلى أين سنذهب إذن ؟

.. إلى السماء .

.. تعنى إلى الجنة ؟

.. أعنى ما أقول يا عبد الراضى .. إلى السماء فقط . لاجنة ولا جهنم .

وأحسن عبد الراضى أن الأستاذ ليس لديه عمل وأنه يريد أن يضيع وقتنا فى الدردشة .. ولم يكن لديه القابلية لكلام ولكن كره أن يصده فقال يسايره :

.. تعنى أننا سنمكث .. تحت الحساب ؟

.. أى حساب يا غبى ؟

.. مادمتا سنصعد إلى السماء دون أن نذهب إلى جهنم أو الجنة فلا بد أن تكون وقتنا فى انتظار الحساب .

.. لن نصعد إلى السماء أمواتا .. بل أحياء .

وهز عبد الراضى رأسه موافقا وأجاب فى اقتضاب لكى ينهى الحديث:

.. حاضر .. سأتى معك إلى السماء وقتما تشاء .. عن إذنك الآن ..

لأن أم عبده تماركت مع زهرة .. وهى مصرة على أن تذهب إلى البوليس .

وهم بالانصراف ولكن الأستاذ هتف به فى غيظ :

.. يا غبى أحدثك عن الصعود إلى السماء فتحدثنى عن أم عبده

وزهرة .

.. السماء تنتظر فى أى وقت يا أستاذ .. ولكن أم عبده ستخرب بيتى

إذا لم ألحق بها وألها ..

.. السماء لن تنتظر .. لقد حدد موعد الرحلة . هل تريد أن تأتى معى

وأجاب عبد الراضى لينهى الحديث :

— أجل .. أجل .. سأذهب معك فى أى داهية ... فقط دعنى الآن ألقى بالولية ..

لم تكن حياة عبد الراضى بالحياة السهلة ..

وهو يعرف أن الحياة بالنسبة لأى إنسان فى هذا الزمن لم تعد بالأمر البسيط الهين .. ولكنه مع يقينه من هذا يأبى إلا أن يزيدها تعقيدا بتصرفاته الحمقاء التى لا يدرك حماقتها إلا بعد أن تغرقه فى المشاكل حتى أذنيه ..

بدأ عبد الراضى العمل فى المجلة منذ سنوات عديدة .

حضر إليها أول مرة عندما كان يعمل عتالا فى مخزن الورق محتطيا صهوة إحدى بومينات الورق المحملة على عربة كارو خرجت تحمل الورق من المخزن فى شارع فاروق .. متجهة إلى العتبة فشارع عبد العزيز مشترقة عابدين إلى الدواوين إلى القصر العينى .. ووقفت به أمام البناء العتيق الذى تشغله المجلة والذى علقت على بابه لافتة عريضة كتب عليها اسم المجلة « الزمان » .

وتعود بعد ذلك أن يحضر إلى المجلة كل أسبوع ليحمل الورق من العربة إلى البدروم ، حيث مخزن الورق والمطابع . ويتناول فتجان شاي مع عم جودة . حارس الدار وفراشها الوحيد ..

وذاث يوم حضر قلم يجد جودة ..

وعلم من الحاج عبد العزيز ريس المطبعة أن جودة مات ودفن منذ بضعة أيام .. وإنهم فى حاجة إلى من يحمل محله .

ولم يطل التفكير بعبد الراضى ..

هذه فرصة العمر .. أتاحها القدر له لكى يخلص من مشقة الحمل الذى يكاد يتقضم ظهره .

إن عمل جودة ليس بالعمل المرهق .. وإن السن تتقدم به .. وذراعيه لم تعودا تقويان على رفع الأحمال التي تعود حملها بسهولة فيما مضى .. وساقيه أصبحتا ترتجفان أسفل الحمل كلما خطا بهما خطوة أو صعد بهما درجة .

قد تكون السن لم تتقدم به إلى حد الاعتزال .. فما زال رفاقه من العتالين .. والحمالين .. يؤدون مهمتهم في يسر .. ولكنه هو قد أنهك بدنه .. استغله كثيرا في أشياء غير واجبات المهنة .. أشياء أكثر متعة .. من ثقل البضائع ..

النساء قد استنفدن قدرا من قواه .. وسببن له قدرا من المشاكل .. ولكنه لا يستطيع الاستغناء عنهن .

تزوج حتى الآن خمسا .. خلى نهائيا من ثلاث . وانتهى من كل مشاكلهن .. مات من مات من الأولاد وكبر من كبر .. فاشتغل الأولاد وتزوج البنات . وخرج الجميع من حسابه .. ولم تعد تربطه بهم إlarابطة الذكرى .. أو الصدفة .

أما الرابعة - زنوبة - فهي تأبى أن تخلصه .. وهي تشده بأولادها .. إلى المحكمة من يوم إلى آخر .. وتهده في كل وقت .. والخامسة تعيش معه بأولادها الثلاثة في سبى الطيبى قرب فم الخليج ..

مشكلته معها الآن قد باتت تنحصر .. في إصرارها على تعليم أولادها الثلاثة لكي يصبحوا أفندية وموظفين .. بينما هربصر على إلحاقهم بمهنة من المهن .. ترزى أو نجار أو مكوجى لكي يتعلموا شيئا يرتزقون منه ولكي يساعده على تكاليف الحياة .

ولقد اضطر أن يخضع لها حتى يخلص من إلحاحها .. وذهب الولدان الصغيران حسن وسيد إلى المدرسة .. ورفض عبده الأكبر الذهاب إلى المدرسة وأصر على أن يعمل صبي نجار عند الأسطى زينهم .

وأم عبده تظنه يجلس على كنز .. فهي لا تفتأ تخرج له كل يوم بطلب جديد
من أجل المدرسة .. يوم ثمن مرايل .. ويوم ثمن صنادل .. ويوم كراريس .
وزنوية تهده بين يوم وآخر بحكم النفقة .. لها ولأولادها .. وهو لا
يعرف إلى متى سيظل مشدودا من عنقه إلى هذا القطيع ..
لقد كان كل ما يريده منهن .. لئالى بمتعة .. يستمتع فيها .. بأجسادهن
الطرية المثلثة .. ولكنه لم يكن يدرك .. أنها ستقلب عليه بمثل هذا الهم
والغم .

وهو لا يتعظ بعد كل ما خاض من تجارب الزواج ..
ولكن ماذا يفعل .. ولا سبيل إليهن إلا بالزواج ؟ !!
على أية حال .. توبة ..
المهم الآن أن يستقر فى هذا العمل المريح .. الذى يلوح له به القدر ..
لقد مات جودة !! رحمه الله رحمتين .. رحمة على فناجين الشاى التى كان
يقدمها إليهم .. ورحمة على العمل المريح الذى يورثه إياه .
المهم هو ألا يترك الفرصة السانحة تفلت .
وقلف عبد الراضى باليوينية من فوق ظهره إلى الأرض ونظر إلى الحاج
عبد العزيز وهو يرتدى البذلة الزرقاء الملونة بأحبار المطبعة وقال متسائلا :
- هل أستطيع أن أعمل عندكم بذل جودة الله يرحمه ؟
ونظر إليه الحاج عبد العزيز نظرة فاحصة ثم هز رأسه موافقا :
- ولم لا ؟ .. أنت رجل طيب .. ولست أظن فى العمل شيئا
يستعصى عليك ..
- ربنا يكرمك يا حاج ...
- كل ما هو مطلوب منك هو أن تقضى حاجات المحررين والموظفين ..
وتحرس النار ..
- سأضعها فى عيني .
- وأن ترتدى ثوبا غير هذا الثوب الممزق .

- عندى جلباب يعجبك أرتديه فى الخروج .
 - انتهينا .. تعال غدا وسأخبر مرزوق أفندى المدير . .
 وفى اليوم الثانى بدأ عبد الراضى عمله فى الدار ..
 بدأ بشيء من الرهبة ..
 خشى فى أول الأمر أن تكون هناك أشياء تحتاج إلى خبرة لا يملكها ..
 وكل خبرته السابقة لا تتعدى حمل الأشياء ونقلها إلى مكان آخر ..
 ولكن بمرور الأيام .. ألف الدار .. واعتاد العمل .. ولم يكن فيه شيء
 يحتاج إلى خبرة جديدة ..
 مجرد انتقال بين الحجرات وبين الأدوار .. وتقديم فناجين القهوة والشاي
 .. ونقل أوراق من هنا إلى هناك .. وشراء سجائر من بائع السجائر .. أو
 إحضار ساندوتشات الفول والطعمية .. من دكان الحاج زكى على الناصية .
 وعرف عبد الراضى بقية الشخصيات التى تدور فى محيط عمله ..
 عرف قيمتها وأهميتها .. وطبيعتها ..
 كان أهمها طبعاً فتوح بك صاحب المجلة والمقرر لمصائر كل العاملين بها
 .. وكلمته فى النهاية هى الأخيرة .. هو الذى يعين وهو الذى يفصل . وهو
 الذى يرقى ويكافئ ويجازى .
 ولم تكن علاقة عبد الراضى تتعدى تقديم القهوة أو الشاي أو حمل
 الأوراق من مكتب سكرتيته أو إلى مكتب سكرتيته .
 ولقد أحس منه برهبة فى أول الأمر .. باعتبار أنه البعيد الكبير .. أو
 صاحب الدار ..
 ولكن الأيام أضاعت الرهبة الموهومة .. فقد كان الرجل خلال العلاقة
 الضئيلة القائمة بينهما .. رقيقاً كريماً .. هاشاً متواضعاً ..
 يشكره إذا قدم له القهوة .. ويمتنحه قرشاً بين آونة وأخرى .. وفى
 الأعياد لا ينسى العيدية .. وبين آونة وأخرى يسأله عن أولاده .. بصفة
 عامة .. أشاع الطمأنينة فى نفسه .. ولم يحس له ماتوهمه من خطورة ..

وماتوقع من عجرفة ..

الرجل الذى بدا أشد خطورة وأكثر عجرفة هو الأستاذ مرزوق المدير ..
فلقد كان فعلا يمسك بيده بالإضافة إلى المنشأة البيضاء التى تخلع عليه نوعا
من المهابة .. السلطة التنفيذية فى الدار . هو الذى يوصى بالمذكرات وهو
الذى يطلب العقاب أو يسأل الترقية أو المكافأة .. وهو الذى يمنح القروض ..
والأذونات والإجازات ..

وكان عبد الراضى يتجنبه ما أمكن .. فهو لا يتوقع منه خيرا .. وكان
يحس أن عليه أن يخصصه بمزيد من الاحترام والتناق .. خشية أذاه واصطياد
لمرضاته .

وثالث الكبراء فى الدار كان الأستاذ زهران .. رئيس التحرير .. ولم
يكن عبد الراضى .. يخشاه .. ولم يكن يحبه ..
لم يكن يخشاه لأن الرجل لم يكن به ما يفرض على الناس خشيته ..
بل على النقيض .. كانت كل مظاهره .. محاولة ملحة لاستجلاب حسب
الناس ...

بالإبتسامة الواسعة .. والكف المرحية .. وبكلمات الإعزاز ..
والمجاملة .. لكل الناس .

ولكن الجهد المبذول فى استجلاب الحب .. لم يكن يسنده فى التركيب
الطبيعى له .. ما يفرض هذا الحب على نفوسهم ..
ولم يكن عبد الراضى يعرف لماذا .. لا يحبه .. رغم تحياته الرقيقة
وابتسامته المرحية .

ربما لأنه لم يكن يحس وراء مظاهر الحب المفرطة .. قلبا تتبع منه
المحبة بفيض تلقائى .. وبغير هدف تريد أن تحققه .. وإنما وراءها ذهن ذكى
.. يلغح بها بطريقة معينة مقصودة لتحقيق رد فعل مطلوب ومحتاج إليه .
كان عبد الراضى يدرك هذا بحسه .. ومن أجل هذا لم يستطع أن
يحبه ولا استطاع أن يحدد لنفسه لماذا يحبه ..

ورابع كبراء المجلة .. أو السلطة الرابعة .

كان مخلوقا بلا سلطة .. وبلا قيود .. وبلا مواعيد .. وبلا شيء غير القلب التابع بالحب .. لكل الناس .. والنفس المقبلة على الحياة .. فى لهفة وشوق ..

كان الأستاذ عبد اللطيف .. الكاتب .. والشاعر .. وصاحب المكتب الشبيه بالمصطبة .. والبيت الشبيه بالدوار .. يجتمع فيه الأصدقاء .. من كتاب وفنانين .. ملحنين .. وممثلين .. ومطربين .. ومتعطلين .. يأكلون ويشربون .. ويمزحون ويضحكون .. ويفتابون الغير .. ويطلقون التشنيمات .. ويدبرون المقالب .. ويطلقون آخر التكت والإشاعات .

كان الأستاذ عبد اللطيف .. بلا زوجة ولا أولاد .. ومع ذلك لم تسلم من حبه حسناء .. ظهرت فى المجال العام .. من سينما أو مسرح أو تليفزيون .. أو صحافة .. أو مفتى رقص .

وكان محبا محبوبا .. بالمعنى العام الشامل للحب .. يحب كل الناس .. ويحبه كل الناس ...

ولم يملك عبد الراضى إلا أن يحبه ..

وقاز عبد الراضى منه بشيء من التخصيص .. بحيث لم يعد عبد الراضى مجرد قراش مجلة الزمان .. بل أصبح أيضا .. التابع الخاص للأستاذ عبد اللطيف .

وبدأت علاقتهما بخناقة ..

أراد عبد الراضى عند بدء تعيينه .. أن يظهر قدرته فى العمل للمدير .. فبدأ فى القيام بعملية نظافة فى الدار رفع المقاعد فوق المكاتب ودفع المكاتب جانبا .. وغسل الأرض ونظف الشبايك ..

قام بهذا فى غرف المحررين .. حتى حل الدور على حجرة الأستاذ عبد اللطيف .. فوجد أكواما من الكتب والمجلات مرصوفة على الأرض وعلى الأرفف وأدوات مكندسة على المكتب ويجوارها زجاجات فارغة وملبثة

بسوائل وأقراص وحبوب وعلى المتضدة أكوام من العلب فارغة وملأى ..
وحذاء ومنشفة وبذلة معلقة . ولم يعرف كيف يمكن أن يقوم بتنظيف الحجرة
وهذه الفوضى تشيع فى أرجائها .. ووقف يفكر برهة .. وكاد اليأس يعجزه ،
ولكنه كان يعلم أنها مسألة مستقبل .. ولم يلبث حتى هجم على أكوام
الكتب والمجلات وأكداس الورق فجمعها فى بضعة شوالات وألقى بها تحت
السلم ثم بدأ فى عملية النظافة .. وبعد أن انتهى الغسل والمسح نظر فى
رضا ، إلى الغرفة وقتم قائلا :
- راقى الحجرة .

ولم يكذب ينتهى من كلمته حتى وجد شخصا يقتحم الحجرة ، ويقلب
البصر فى أرجائها فى دهشة شديدة ويقول متسائلا :
- ما هذا .. أين مكتبى ؟

ثم نظر إلى عبد الراضى فى استنكار :
- من أنت ؟

- محسويك عبد الراضى .

- وماذا تفعل هنا ؟

- أنظف الحجرة .. كان بها بلاوى .

- بلاوى ؟ !!

- لو رأيته قبل أن أنظفها .. كانت تعيش فيها العناكب والفيران
كدت أتركها وأمشى .. ولكنى قلت لنفسى .. عيب ياعبد الراضى وهجمت
على أكوام الكتب القديمة والمجلات المقطعة .. وقلدت بها تحت السلم .
وقفر الأستاذ عبد اللطيف فاه من الدهشة ثم صاح مذهولا :
- أنت فعلت هذا ؟

- أجل ..

وهز رأسه مفاخرا وهو يرد قائلا :

- لم تأخذ المسألة متى أكثر من نصف ساعة .. وراقى الحجرة .

واقترب منه الأستاذ عبد اللطيف وأمسك برقبتة وهو يهزه قائلا :
- قل .. من سلطك على .. قل الحق .
- سلطنى عليك .. لقد فعلتها من نفسى والله .
- إذن لن يشفى غليلى منك .. إلا أن تهبت فى السجن .
ودون أن يترك عنقه رفع السماعة وأدار القرص ثم هتف صائحا :
- بوليس النجدة .. أنا عبد اللطيف إبراهيم .. أجل أجل .. هو أنا ..
اسمع من فضلك .. سطا على مكتبى لص . سرق جميع كتبى .. إنه هنا ..
إنى أمسك به من عنقه .. لا .. إنه لا يقاوم .. يقول إن اسمه عبد الراضى ..
من فضلك لا تتأخروا .. سأتحفظ عليه حتى تحضروا .. أجل مكتبى فى مجلة
الزمان .

روضع السماعة والتفت إلى عبد الراضى قائلا :
- إن شاء الله ستبيت فى السجن .
وهتف عبد الراضى :
- ولكنى لم أسرق الكتب .. إنها موجودة تحت السلم .
- حتى تثبت أنها تحت السلم .. تكون قضيت لك ليلة فى السجن أو
ليلتين .. لكى تتعلم عدم التهجم على مكاتب الناس .
- ولكنى كنت أنظفها .
- من قال لك نظفها ؟
- إن عملى أن أنظف المكتب .
- إن مكتبى لم ينظف منذ عشرين سنة ... كان جودة رحمه الله يعرف
هذا .. حتى لا ينقل ورقة من مكانها .. أو يرفع كتابا عن موضعه .
- ولكنى لم أكن أعرف يا أستاذ ..
- هذا درس سيعلمك ألا تقرب المكتب .
وتصور عبد الراضى نفسه والبوليس يجره من يده إلى القسم .. فهتف
مستعظفا :

.. تبت يا أستاذ .. أقسم أنى لن أدخل مكتبك بعد هذا .
 .. تدخل للشاي والقهوة فقط .. ولكن للتنظافة لا .. فاهم ؟
 .. فاهم يا أستاذ .
 وترك الأستاذ عبد اللطيف عنقه قائلاً :
 .. اذهب وأحضرك الكتب والمجلات ..
 ثم أردف فى غيظ :
 .. من الذى سيعيد رصها كما كانت ؟
 .. أنا يا أستاذ .. وسأرش عليها التراب .. وأنسج عليها العناكب .
 وجلس الأستاذ على مكتبه الخالى النظيف .
 واستمر عبد الراضى واقفاً أمامه فصاح به :
 .. ماذا تريد ؟
 .. بوليس النجدة ۱۱۴
 .. ماله ؟
 .. قل له ألا يحضر .
 .. ومن قال لك إنه سيحضر ؟
 .. ألم تكلمه ؟
 ورد الأستاذ مستغرقاً فى الضحك :
 .. لم يكن بوليس النجدة ياغبى .. لقد أدت رقمى الساعة .. لأن
 ساعتى واقفة .
 وتعلم عبد الراضى بعد تلك المعركة .. ألا يرفع ورقة من فوق مكتب
 الأستاذ أو يبدل وضع كتاب أو يحرك مقعداً .
 وتعلم أيضاً ألا يأخذ تهديدات الأستاذ مأخذ الجد .
 وتوطدت أواصر الصلة بينهما .. حتى أصبح عبد الراضى المسئول
 الأول عن الأستاذ عبد اللطيف فى بيته وفى مكتبه .. وحتى أضحي كاتم
 أسرارهِ .. وموضع ثقته ..

ويات الأستاذ عبد اللطيف .. بدوره .. ملاذ عبد الراضى .. وملجأ ..
من عراصف الحياة .. ومشاكلها .

ولم تكن مشاكل عبد الراضى .. رغم تعددها بالشئ المستعصى الحل
على الأستاذ فقد كانت كلها مشاكل مادية تحل بالنقود .

ولم تكن النقود ذاتها بالشئ المستعصى على الأستاذ .. فقد كانت
تجبرى فى يده بسهولة .. تأتى بسرعة وتذهب بسرعة .. وعندما تتجاوز
سرعة ذهابها سرعة مجيئها .. وتغلب حاجته إليها لغض مشاكله أو مشاكل
غيره قدرته على توفيرها .. لم يكن أسهل عليه من الاقتراض .. وليدبرها
الله بعد ذلك .. المهم ألا يشعر بالعجز إزاء حاجة يقضيها لنفسه أو للغير .

وكانت آخر مشاكل عبد الراضى مشكلة النفقة التى تطالب بها فى
المحكمة زنية زوجته قبل الأخيرة . ورغم أن الحكم كان بتأجل مرة بعد مرة
فقد كان يعرف أن عليه أن يدفعها أو يسجن .. وكان قد استنفد كل
إمكانات القروض من الدار وكانت أم عبده تستنزف هى وأولاده ثلاثة أرباع
ماتبقى من مرتبه بعد تسديد القروض .

ولم يكن عبد الراضى يواظب على الذهاب إلى أم عبده فى سبى
الطبيب بعد أن ضاق بها وبالأولاد ومدارسهم وطلباتهم . وبدأ يبيت فى حجرة
فوق سطح الشقة التى يسكنها الأستاذ .. حيث كان السكن قريبا من المجلة
وكان يوفر بذلك أجر المواصلات ومشقتها بالإضافة إلى أنه يمنحه حرية السهر
فى ليالى الذكر والموائد ومهرات الكيف التى كانت تتساح له بين آونة
وأخرى .

وكان يخجل أن يطلب القرض من الأستاذ عبد اللطيف .. فقد سبق أن
حصل عليه منه منذ بضعة أشهر عندما أفهمه المحامى أن عليه أن يجهز المبلغ
ومعه المصاريف فى خلال أسبوع . ولكن الحكم تأجل بعد ذلك .. وكانت أم
عبده تعرف أنه حصل على النقود من الأستاذ فطلبت منه أن يعطيها إليها
حتى لا يضيعها .

وفى اليوم التالى .. اشترت بها راديو ترانزستور .. ولم يتضايق عبد
الراضى . فقد كان امتلاك راديو إحدى أمنياته التى لم يحاول تحقيقها ولم
يجد بدا من استغلال الراديو الذى دفع فيه نقود النفقة أقصى استغلال فكان
يحملة معه معلقا فى عنقه بحيث أصبح عبد الراضى محطة إذاعة متحركة .
وقال له الأستاذ عبد اللطيف ضاحكا وهو يراه يحمل فنجان القهوة والراديو
معلقا فى عنقه :

- خسارتك يا عبد الراضى فى مجلة الزمان .
- خسارتى فى السجن يا أستاذ .
- ألم تدفع النفقة ؟
- الحكم تأجل .
- والنقود ؟
- اشتريت بها الراديو .
- الحمد لله إنك لم تتزوج بها .
- الزواج لا يحتاج إلى نقود يا أستاذ .. الزواج لا يكلف .. الطلاق هو
الذى يكلفنا كثيرا .
- لعلك لا تنوى الزواج مرة أخرى ؟
- لقد كفرت من أم عبده .
- كلهن كذلك يا عبد الراضى .. كان يجب ألا تتزوج من أول الأمر ..
- كان يجب أن تفعل كما فعلت أنا ..
- ولكننا لانستغنى عنهن أبدا يا أستاذ .. إن أمامى زوجة لقطة .
- أتتكلم جادا يا عبد الراضى ؟
- أجل يا أستاذ ..
- ومن هى ؟
- زهرة .. خادمة السيدة الفرنسية التى تقطن الشقة التى تحت شقتك .
- وماذا يعجبك فيها .

.. إنها لن تكلفني شيئا .. ستدفع ثمن المأذون .. وستتركني قبل
الفرار وتأتى إلى بعد العشاء .. وستعطينى خمسة جنيهات مرتبها من المدام
التي تخدم عندها .

.. ما شاء الله يا عبد الراضى .. لم أكن أعرف أنك كازانوفيا إلا الآن .
.. من هو كازانوفيا ؟

.. رجل كانت تعشقه النساء ..

وبدا الخجل على عبد الراضى وطأطأ رأسه قائلا فى تواضع :

.. العفو يا أستاذ .. على رأى المثل تأتى مع العمى طابات .

وضحك الأستاذ متسائلا :

.. وماذا ستفعل أم عبده ؟

.. مالها أم عبده .. إنها تأخذ تقودها على داير مليم ..

.. وأين ستقطن بزوجتك الجديدة ؟

.. إذا سمحت سأسكن وإياها الحجرة التى فوق .

ولم تأخذ المسألة جهدا من عبد الراضى .. بعد يومين كان قد تزوج من

زهرة . دفعت له أجر المأذون .. ولم تكلفه مليما واحدا .. كانت تتركه قبل

الإفطار .. وتحضر .. ليس بعد العشاء .. بل فى موعد العشاء .. ومعها

العشاء الذى استطاعت أن تحضره من السيدة الفرنسية التى تعمل عندها .

وأضاف عبد الراضى إلى زوجاته الخمس .. زوجة سادسة .. لم تكلفه

فى زواجها شيئا .. ولكن يعلم الله . ماذا ستكلفه عندما يحين وقت الخلاص

منها .

٣ - مجرد إنسان

بالزوجة السادسة بدأت موجة جديدة من مشاكل عبد الراضى الاجتماعية والاقتصادية . حضرت أم عبده إلى المجلة وأجرت معه تحقيقا عن زيجته الجديدة ..

بدأ التحقيق بصرخة فى فناء المجلة الخارجى .

.. عبد الراضى ..

وكان الوقت قبل الضحى والمحررون قد أخذوا فى التوافد على دار المجلة . وهبط عبد الراضى مهولا عندما سمع صرخة أم عبده فى بئر السلم . وأجابها فى غضب :

.. ماذا تريدين .. يا ولية ؟

ويسؤال مباشر انفجرت فى وجهه :

.. انت تجاوزت يا عبد الراضى ؟

.. من قال هذا الكلام الفارغ ؟

.. يعنى لم تتزوج !!

.. ولماذا أتزوج ؟ .. أينقصنى الهم والتكد ؟

وكان الراديو معلقا فى عنق عبد الراضى فمدت أم عبده يدها وجذبت الراديو فخلعته من عنقه قائلة :

.. إذن هات الراديو .. اذهب وابحث عمن ترضى بزواجك .

وكان الراديو فى نظر أم عبده هو أهم وسائل الإغراء فى عبد الراضى

ورغم أن زهرة - الزوجة الجديدة - كان المفروض أن تذهب عن عبد الراضى قبل الفطار وألا تحضر إليه قبل العشاء حتى لا تكلفه مليما واحد ثمن طعامها .. وفوق هذا تمتنحه أجراها الذى تشاؤله من السيدة الفرنسية التى تقطن أسفل الأستاذ عبد اللطيف .. رغم كل هذا فقد زادت أعباء عبد الراضى المالية .

لم يكن المرتب - رغم كل ما منح من علاوات بعد تنظيم الصحافة . ورغم ما يحصل عليه من الأستاذ عبد اللطيف من هبات وقروض لا ترد - بالمبلغ الذى يمكن أن يفى بالتزاماته المتعددة ومستوليياته المتشابكة .. كان عليه أن يدفع أجرة سكن سيدى الطيبى الذى تقطنه أم عبده وأولادها . وكان عليه أن يهيب - لهم المأكول والملبس واحتياجات المدرسة ، وكان عليه أن يهيب - لنفسه ثمن الدخان والكسوة والطعام وما يبتاعه بين آونة وأخرى لشبكة زهرة .. نظير كل ما قدمته إليه كزوجة .. وما صرفته عليه .. سواء فى تكاليف المأذون .. أو فى ليلة الدخلة التى قضاه فى لوكاندة الهنا بسيدنا الحسين .. بعد أن ارتدى الجلباب الصوقى واللينة وارتدت زهرة بالطو السيدة الفرنسية والطرحة البيضاء وأكلوا فته كوارع فى مصمت الحسين . وتناول عبد الراضى ما تيسر من بلاييع أهداها إليه صديقه القديم كساب العتال فى إحدى وكالات العطارة .

ولقد عاودت نبوية مشاكلها معه عندما سمعت بالزيجة الجديدة ، وبدأت علاقات الصداقة تثبت بينها وبين أم عبده بعد طول خصومة ونشأ بينهما حلف هجومى ضد عبد الراضى وزوجته الجديدة زهرة .

ومع الأيام ازدادت المشاكل تعقيدا لدى عبد الراضى فلقد بدأت زهرة تطالب بحقها كزوجة .. حقها فى المرتب وفى السلطة الزوجية .. وأخذت تناقش عبد الراضى فيما يدفعه لأم عبده وأولادها .. وتحرم عليه زيارتها التى كان يقوم بها بين آونة وأخرى .

وفقدت زهرة ، بحكم الامتلاك الشرعى ، متعتها كانشى - ولم يبق

منها كأية زوجة سوى مشاكلها والتزاماته قبلها ..

وبدأ الصراع بين زوجات عبد الراضى ينتقل إلى ساحة المجلة عندما ترك حجرته التى كان يقطن فيها فوق شقة الأستاذ عبد اللطيف ليستقر وحده فى حجرة المرحوم جودة فوق سطح المجلة .. هاربا من جميع زوجاته .. وهكذا حاول عبد الراضى النجاة بجلده من مجتمعه العائلى .. ليقضى حياته ما بين دار المجلة وشقة الأستاذ عبد اللطيف .

وباستقرار عبد الراضى فى المجلة معظم وقته .. بدأ يمارس مشاكل من نوع جديد . ووجد نفسه من حيث لا يدرى . ينج إلى معارك .. لم يفكر يوما فى الاقتراب من ساحتها .

بدأ الأمر عندما أعلن تنظيم الصحافة .

ولم يعرف عبد الراضى معنى لتنظيم الصحافة إلا ما تردد حوله على ألسنة العمال والمحورين والظهورات أو من يسمونهم محررى القطعة إلا أن الأستاذ فتوح صاحب المجلة « خلاص .. راحت عليه » وأنه لم يعد يملك شيئا فى الدار .. وأنه بات مجرد موظف كغيره من الموظفين ..

وانقسم العاملون « فى الدار » إلى شامت يردد :

— ربنا خلصنا منه .. لم تعد المجلة بعد .. عزبة يديرها حسب هواه .
وآخر يمصص شفتيه :

— خسارة .. لن يجدوا أحدا قلبه على المجلة مثله .. إنها قطعة منه ..

وقسم محايد يهز رأسه فى غير اكتراث :

— يا أخى .. كله محصل بعضه ..

ولم يتصور عبد الراضى .. أن مشاعر الناس يمكن أن تتغير بحجرة قلم .. وأن قرارا لم يكن لأحدهم دخل فيه يمكن أن يجعل أحدهم يتقلب فجأة .. تجاه الآخر .. فيقلب اهتمامه تجاهها .. وهشاشته عيوسا .. وتواضعه .. تكبرا وصلفا .

لم يتصور عبد الراضى هذا حتى وجد مرزوق أفندى المدير الذى كان

يستقبل الأستاذ فتوح كل صباح عند باب المجلة .. ويتلقى منه الملاحظات والأوامر .. يصبح بأعلى صوت من أعلى الدرج .. عندما سمع الأستاذ فتوح يهذى ملاحظة لعبد الراضى أن فناء المجلة غير نظيف .
.. هذا ليس اختصاصك .. إنه عمل المدير .. وأنت مجرد عضو مجلس إدارة .

وصعد الرجل على الدرج وهو يتنفض غيظا ..
لم يخطر بباله أن الأستاذ مرزوق الذى كان يرجوه فى علاوة بالأمس يمكن أن يشور عليه هذه الثورة لمجرد أنه أبدى ملاحظة على فناء المجلة .
ووقف أمام مرزوق وهو يحاول أن يكبح جماح غضبه قائلا فى نبرات جاهد أن يمنحها ما استطاع من الرقة والهدوء ..
.. الفناء قدر يا أستاذ مرزوق .. وليس من اللائق أن نستقبل زوارنا بمثل هذه القذارة .. قصاصات ورق .. وقشر لب ..
.. إن هذا عملى أنا يا أستاذ فتوح .
.. عمالك أو عملى .. إننا جميعا مسئولون عن المجلة .
.. لكل منا مسئوليته ..
.. ألا أستطيع أن أبدى ملاحظة عندما أجد شيئا يضر بمصلحة المجلة؟
.. تبديها فى اجتماع مجلس الإدارة .. ونناقشها ثم نصوت عليها .. فإذا كانت الأغلبية فى جانبها .. نقلها الشخص المسئول .
.. هكذا ؟

.. أجل هكذا .. أنت لم تعد تملك ملطمة إلامن خلال وجودك فى مجلس الإدارة .

ودخل الأستاذ فتوح مكتبه وهو يرتجف ..
وفى اليوم التالى .. بدأت المعركة الثانية مع الأستاذ زهران رئيس تحرير المجلة .

لم تكن معركة صاخبة .. فقد كان الأستاذ زهران يكره الصخب

والضجيج .. ولم يحاول أن يوقف الأستاذ فتوح عند حده .. بالصياح ..
وإنما بمجرد تأشيرة كتبها على مقالة أرسلها الأستاذ فتوح للمطبعة للجمع ..
« لا يجمع أى حرف قبل الحصول على إمضاء رئيس التحرير بالموافقة » ثم
أعادها إلى الأستاذ فتوح بورقة صغيرة كتب عليها « معادة برجاء عدم
التدخل فى شئون التحرير » ..

ولم يجد فتوح من يشتكى إليه سوى الأستاذ عبد اللطيف . وحاول
الأستاذ عبد اللطيف أن يسوى المشكلة وينهى سوء التفاهم بين الاثنين .
ولكن الأستاذ زهران رده فى حزم .

— لقد صدر قرار بتنظيم الصحافة وإننى أمارس سلطتى الكاملة .

— ولكن المسألة تحتاج إلى نوع من المجاملة .

— العمل ليس فيه مجاملة .. إنه مسئولية .

وحمل عبد اللطيف المقال ووضعه فى درجه وهو يتمتم .

— معه حق .. ولكن الأستاذ فتوح . لا يستطيع أن يصدق .. لقد كان
بالأمس رب هذه الدار .. كان الأستاذ زهران لا يجرؤ أن ينشر كلمة إلا بأمره
.. وكان يؤكد له أن مقالاته هى سبب رواج المجلة .. ولم يخطر ببال فتوح
قط أنه بعد بضع ساعات من تزلف زهران إليه .. يمكن أن يصده بمثل هذه
القسوة ..

وعاد عبد اللطيف يهز رأسه وهو يتناول فنجان القهوة من عبد الراضى .
— حقيقة أن الأصول هى الأصول .. وأن كل إنسان يجب أن يوضع
فى موضعه حسب التنظيم .. ولكن لماذا كل هذه العجلة .. لماذا لا نتصرف
بإنسانية ؟ ..

ورد عبد الراضى ببساطة :

— هذه هى الإنسانية يا أستاذ ..

— للأسف يا عبد الراضى ..

ومع الأيام بدأ عبد الراضى يحنى ثمار التنظيم .. زاد مرتبه إلى

الضعف .. بعد أن طالب العاملون ببحث الحالات الصارخة .. وإنصافها ..
واتضح أن جميع مرتبات الدار .. حالات صارخة تقتضى التعديل ..
فتضاعفت المرتبات .

وتلت الحالات الصارخة .. إنصاف العاملين الذين يبذلون جهدا أكبر من
غيرهم . فرفعت بعض المرتبات نظير ما يبذله أصحابها من جهد ومايقومون
به من عمل ممتاز .

وكانت الموجة الثالثة لإنصاف الذين لم تزد مرتباتهم .. ولمساواتهم
بهؤلاء الذين حصلوا على مكافآت تميز فأضاعت العدالة بين العاملين فى
الدار ..

وهكذا رفعت مرتبات الجميع مرة ثانية ..
وبدأت المطالبة بمكافأة المتميزين من جديد .. واستمرت سلسلة
المطالبات فى حلقة مفرغة .. تبدأ بالحالات الصارخة ثم بالمساواة ثم بمكافأة
المتميزين ثم بتطبيق العدالة بين المرتبات ..

وفى نهاية العام .. لم تحقق الدار أرباحا .
ولكن العاملين طالبوا بنصيبهم فى الأرباح .. حسب قرار التنظيم ..
واحترام مجلس الإدارة واتصل بالوزارة .. فأمرت بصرف ثلاثة آلاف جنيه ..
ستصرفها الوزارة . نظير إعلانات تنشرها المجلة لمؤسسات الوزارة ..
وبدأت الانتخابات بين العاملين للمشاركة فى مجلس الإدارة .

ولم يأبه عبد الراضى للمسألة فى أول الأمر .. فقد أحس أن كل
العاملين سواء .. وأن الشخصيات التى تقدمت للانتخابات كلها شخصيات
لا بأس بها .. من بينها الحاج عبد العزيز ريس المطبعة وعبد الرحيم عامل
التليفون والأستاذ سليم المحرر السياسى والأستاذ نوار مدير التحرير .
وبدأت المعركة الانتخابية ..

وفجأة اكتشف عبد الراضى .. أن جميع المسئولين فى الدار والمرشحين
فى الانتخابات مجرمون يستحقون الشنق .

بدأت المنشورات المضادة .

اتضح حسب المنشورات أن الحاج عبد العزيز يسرق اللبن الذي يصرف لعمال المطبعة ويستبدل به لبن زيادى يأخذه لأسرته .. ويبدو أن الحاج عبد العزيز حسب كلام المنشور إما أنه لم يكن يأكل وقتذاك غير اللبن الزبادى هو وجميع أقاربه أو أنه فتح دكانا لبيع اللبن الزبادى .

واتهم عبد الرحيم عامل التليفون الأستاذ نوار مدير التحرير بأنه رجعى واستشهد بفقرات كاملة من الميثاق على رجعية الأستاذ نوار واستغلاله لمركزه وأعماله ضد الاشتراكية .

وبنفس الفقرات المنتقاة من الميثاق .. استطاع الأستاذ نوار أن يدلل على أن عبد الرحيم انتهازى ومتسلق وأنه يستغل العاملين فى الدار للحصول لنفسه على مركز فى الإدارة .

ولم يجد الأستاذ سليم المحرر السياسى يعمل بالسياسة .. بل أضحى أخصائى انتخابات .. يمارسها من مقهى عويس أمام الدار .. حيث يجتمع بالعمال .. ليعدد لهم العلاوات والمكافآت والأرباح التى سيحققها لهم بمجرد وصوله إلى مجلس الإدارة . ويعدد لهم الجرائم التى ترتكبها الإدارة فى حقهم .. وكيف تحرمهم من حقوقهم المشروعة .. وتضيق عليهم الخناق .. وتوقع عليهم الجزاءات بلا مبرر .

وهكذا انقلبت المجلة إلى مجموعة من المجرمين يكشف بعضهم جرائم البعض الآخر .

وكان عبد الراضى يرقب المعركة وكأنه يرقب حلبة مصارعة .. من ضرب من .. ومن صرع من ؟

ولم يكن يخطر بهاله أن دوره سيتعدى دور المتفرج حتى فوجئ ذات يوم بالأستاذ سليم يطلبه فى مكتبه .

وطرق عبد الراضى الباب ودخل .

وحياه الأستاذ سليم فى رقة وبشاشة وتواضع دأب عليها فى معاملة

العاملين منذ أن رشح نفسه فى الانتخابات .
 ولم يشك عبد الراضى أن الأستاذ سليم يطلبه لكى يشرح له قيمة
 انتخابه فى مجلس الإدارة . وأهمية إعطائه صوته .
 وأشار سليم إلى مقعد بجوار المكتب قائلا :
 - تفضل يا عم عبد الراضى .
 - العفو يا أستاذ .
 - اجلس يا عبد الراضى ..
 وجلس عبد الراضى منكشعا على المقعد .
 وعاد سليم يردد فى رقة :
 - تأخذ قهوة ؟
 - العفو يا أستاذ .
 - اسمع يا عبد الراضى .. أنا أعرف أننا لن نأخذ راحتنا هنا فى
 الحديث وأنا أريدك فى أمر هام .. هل تستطيع أن تقرأ على فى المقهى الساعة
 الرابعة ؟
 - أمرك يا أستاذ .
 - إنها مسألة غاية فى الأهمية ..
 - خاصة بالانتخابات ؟
 - طبعا .
 - إننا معك كلنا يا أستاذ ..
 - ليست المسألة خاصة بى .. إنها خاصة بك .
 - بى أنا ؟
 - أجل .. إننى أريدك أن ترشح نفسك للانتخابات .
 - أنا .. فى الانتخابات ؟
 - أجل أنت ..
 - غير معقول يا أستاذ .

.. اسمع كلامى ..

.. ولكن .

.. لا تتردد .. إن باب الترشيح مازال مفتوحا حتى بعد غد .. تقدم ..
وأنا سأضمن لك النجاح .. سأقدم أنا وأنت فى قائمة واحدة أنت تضمن لى
العمال وأنا أضمن لك المحررين .

.. ولكن .. كيف أضمن العمال ؟

.. لقد اتضح أنهم ضد كل المرشحين .. بعد كل ما قيل عنهم من تجريح
وتهم .. إنهم لا يريدون الحاج عبد العزيز .. ولا عبد الرحيم .

.. ولكن الحاج عبد العزيز رجل طيب .

.. إنهم يتهمونه بسرقة لبن العمال .

.. حرام يا أستاذ .. كيف يسرق اللبن .. وكل عامل يعرف نصيبه جيدا ؟

.. ولقد تسبب فى فصل أحد العمال .

.. بسطاويسى الذى سرق رصاص المطبعة ؟ .. مادامت السرقة قد ثبتت
عليه فقد استحق الفصل .

.. وقد تسبب فى جزاء بعض العمال الآخرين .

.. لأنهم تسببوا فى عطل المكنة عن عمد حتى يجلسوا بلا عمل ..

.. المهم أن العمال يكرهونه .. وكذلك لا يطيقون عبد الرحيم .

.. ولكنه يفهم فى القانون والميثاق .. ويتحدث فى الاشتراكية جيدا .

.. يقولون إنه خبيث وانتهازى وأنه تعود الرشاية بهم لصاحب المجلة قبل

التنظيم .

.. ولكن أنا .. مادخلى فى كل هذا ؟

.. إنهم على استعداد لانتخاب أى إنسان ليس له ماض معهم .. ولقد

جسست النبض .. فقال عنك معظمهم إنك طيب وابن حلال .

.. أنا .. فى مجلس الإدارة ؟

.. ولم لا .. هل تقل عن عبد العزيز أو عبد الرحيم ؟ .. المهم أن

تعمل معى .. ضد الأستاذ نوار ..

.. ولكن .. لماذا أعمل ضد الأستاذ نوار ؟

.. لأنه سيكون خصمنا فى الانتخابات .. ويجب أن نحارب بكل ما
نملك .

.. ولكن ماذا نقول عنه ؟ .. أنا لا أعرف له سيئة .. وهو رجل طيب
وشغال .. ويعمل من أجل مصلحة المجلة .

.. أنت على نياتك .. اترك المسألة على وسأوضحها . إننى أجهز
منشورا ضده من عشرين صفحة .. سأنشر عنه كتابا أسود .. عن العمولات
التي أخذها .. عن الرشاوى .. والسهرات الحمراء التي يقضيها مع
الفنانات ..

وتذكر عبد الراضى .. صاحبه وولى نعمته الأستاذ عبد اللطيف ..
إذا تحدث أحد عن السهرات الحمراء .. ألا يمكن أن يجره فيها ؟
وهز عبد الراضى رأسه فى حزم قائلا :

.. لا يا أستاذ أنا لا أقبل أن يكتب شىء عن الأستاذ عبد اللطيف .

.. ولكن من الذى يتحدث عن عبد اللطيف ؟

.. ألم تذكر أنت الآن .. السهرات الحمراء والفنانات ؟ ..

.. أجل ولكنى لم أقل شيئا عن عبد اللطيف .

.. ولكن ليس هنا من يسهر سهرات حمراء سوى الأستاذ عبد اللطيف ..
إننى أدري الناس بهذا ..

.. ياعم عبد الراضى . إننا الآن لا نتحدث عن الأستاذ عبد اللطيف ..
إننا نتحدث عن الأستاذ نوار .. وسأعرف أنا كيف أدير الحملة ضده .

.. وهل هو يسهر مع الفنانات ؟

.. يسهر أو لا يسهر .. سأجعله أنا يسهر .. ويعر يد ويحشش ..
ويرتشى .. هذا عملى أنا .. دع الأمرلى ..
.. ولكن هذا اقتراء ..

— إنها الانتخابات يا عبد الراضى .. افتراء أو غير افتراء .. المهم أن نكسب
المعركة .

— وماذا تريد منى ؟ ..

— لاشيء أكثر من أن تمضى على المنشور .. وتدعولى بين العمال ..

— وهل سيصدقون ؟

— أجل . إنهم يحبونك .. ويشقون فى حسن نيتك .

— بعد هذا لن يشقوا فى حسن نيتى .

— المهم أن نكسب المعركة الآن .. وبعد هذا .. سنعرف كيف نكسب
ثقتهم .

وفى الساعة الرابعة التقى عبد الراضى بالأستاذ سليم .. وبدأ يخوض
معه معركة الانتخابات .

ومرت الأيام .. وعبد الراضى لاعمل له إلا أن يلف مع الأستاذ سليم
بين العاملين ..

وفى يوم الانتخابات فاز عبد الراضى .. بأكثر الأصوات .. لأن
العاملين أصروا على ألا ينتخبوا الآخرين .. ولأن عبد الراضى رجل طيب ..
لم يسرق اللبن ولم يعمل ضد الاشتراكية .. ولا ضد الميثاق .. ولأن أحدا لم
يستطع أن يتهمة بسوء .. أو ينسب إليه إتهاما .

ولم يدهش الأستاذ عبد اللطيف .. عندما أنبأه أنه سيخوض
الانتخابات .. ولادهش عندما أبلغه أنه فاز بعضوية مجلس الإدارة ..
ولكنه سأله : هل سيجد وقتا لرعاية شئونه ؟ فزد عبد الراضى مؤكدا :

— أنت قبل كل شيء .. أنت أبى وسيدى وحبيبى .

— وما رأيك فى الأستاذ سليم ؟

— مفتري .. وهاوى .. يلعب بالبيضة الحجر ..

— ولماذا قبلت العمل معه ؟

— كما قبلت كل شيء فى حياتى .. إنه قدر .. قدر ميسى ..

... ألا تخشى أن تنتقل إليك عدواه ؟
... مادمت معك فأنا أستطيع أن أقاوم كل الشرور .
وهز الأستاذ عبد اللطيف رأسه وقال باسم :
... تجربة لا بأس بها .. تضيقها إلى تجاربك مع زوجاتك الست .
وبدأ عبد الراضى يحضر جلسات مجلس الإدارة .. استعصى عليه
فهم الكثير مما كان يدور فيه .. ولكنه كان يؤمن على ما يقول الأستاذ
سليم ..

ومع الأيام .. بدأ هجوم العاملين على عبد الراضى وزميله ..
لأنهما لم يحققا للعمال ما وعداهم به .. لزيادة فى الأجور .. ولا ..
ولا ..

واحتار عبد الراضى بين مجلس الإدارة والعاملين ..
عرض عليهم المدير فى مجلس الإدارة أن تمارض العمال قد زاد وأن
بعضاً منهم يعملون فى أعمال خارجية ويحصلون على إجازات مرضية تمكنهم
من مباشرة هذه الأعمال . وأن نسبة الغياب تصل فى بعض الأيام إلى أكثر
من النصف مما يضطرهم إلى تشغيل الموجودين وردية أخرى بأجر حتى لا تتعطل
المجلة .

وعرض المدير أن ثمن الأدوية التى استهلكها العاملون بلغ فى العام
الماضى ثلاثة آلاف جنيه . وأن بعض العمال يتهمون البعض الآخر ببيع
الأدوية . وإنه تقرر من أجل ذلك أن تصرف الصيدلية الزجاجة بعد أن تمزق
علبتها .. حتى لا يمكن بيعها ثانية .

وقرر المدير أن عليهم الاستمرار فى بيع ما يتبقى من حصة المجلة من
الورق فى السوق السوداء حتى يمكن موازنة الميزانية وصرف أجور الموظفين
والعمال ..

ولم يعرف عبد الراضى كيف يطالب بزيادة الأجور والمكافآت ..
ولم يعرف أيضاً ماذا يقول للعمال الذين يلقونه بعد كل اجتماع لمجلس

الإدارة ليسألوه عما فعل .

إنه لم يفعل شيئا .

وهو لا يستطيع أن يفعل شيئا .

وعندما حدثهم عن الإفراط فى الإجازات والإهمال فى معاملة
الماكينات إهمالا يتسبب فى عطلها وفى العجز عن مواجهة التزامات الطباعة
المطلوبة من الدار ..

عندما قال لهم هذا « شتموه » وقال له أحدهم :

ـ طبعاً .. لقد أصبحت عضو مجلس إدارة .. أصبحت تشكلم بلسان

أعضاء مجلس الإدارة .. وملعون أبونا .. لكن الحق علينا .

ولم يعرف عبد الراضى كيف يجيب .

وعندما شكوا للأستاذ سليم قال له :

ـ ولماذا قلت لهم هذا ؟

ـ وماذا أستطيع أن أقول لهم ؟

ـ قل لهم إننا نطالب فى المجلس بزيادة الأجور .. ولكن لأحد يستمع
إلينا ..

ـ ولكننا لم نفعل .

ـ يا أخى قل هذا واخلص .

ـ وإذا سأل أحدهم ؟

ـ اسمع .. فى أول جلسة .. سأطالب بزيادة الأجور .. حتى نريح

ضعائنا .

ـ ولكن كيف نطالب بزيادة الأجور .. ونحن نعرف الحالة جيدا ؟

ـ هذا ليس من شأننا .. إنه شأن الإدارة .. يجب أن تدبر أمرها ..

ـ ولكن كيف ؟ .. والفوضى شائعة فى المجلة .

ـ هذا ليس من شأننا .. إنها مسئولة عن ذلك ..

وصمت عبد الراضى برهة ثم أجاب :

.. إذن يجب أن يأخذوا العاملين بحزم .. ويوقعوا العقاب على
المهملين ..

ورد عليه سليم فى غيظ قائلا :

.. مالك أنت ولها .. أنت معنا والا مع الإدارة ؟

وأطرق عبد الراضى مفكرا ثم رد قائلا :

.. أنا مع المجلة .. لكى نحصل على علاوات وأرباح .. يجب أن نعمل
.. لقد بتنا أصحاب المجلة .. وكل أرباح تجنى من عملنا .. فهى ستعود
إلينا .. أم أنا مخطيء ؟

.. تفلسف يا عبد الراضى .. لكى تودى نفسك فى داهية .. إن شاء
الله لن ترى مجلس الإدارة بعد التوبة ..

.. ولكن كل العمال الطبيين الذين يعملون فعلا .. يعرفون هذا .. وهم
يكرهون البلطجية .. والمواطلية .

.. ولكن هؤلاء هم الذين اشتغلوا لنا فى الانتخابات . هم الذين
نستطيع أن نعتمد عليهم فى المرة القادمة .. ويجب من الآن أن نعمل على
معاونتهم .

.. كيف ؟

.. لن ندع أحدا يوقع عليهم عقابا ..

.. رغم كل مايفعلونه ؟

.. هذا ثمن جهدهم معنا .. ويجب أن نعمل من الآن على استمرار
مسبهم إلى جانبنا .

هذه مشكلة يا عبد الراضى ..

أعتقد كثيرا من مشكلة زوجاتك الست . ومرتبك الذى لايفى
بالالتزاماتك .

لكى تكون لك القدرة على أن تعمل عملا نافعا للعاملين فى المجلة ..
يجب أن تكون عضوا فى مجلس الإدارة ..

ولكى تبقى عضوا فى مجلس الإدارة يجب أن تساعد محترفى الانتخابات .. لكى يساعدوك .

يجب أن تمتنع عقاب المسىء .. وتتغاضى عن إهمال المهمل ..
يجب أن تطالب بالمكافآت والعلاوات .. حتى ولو لم تحقق المجلة .
ربحا .. لا تهم الميزانية .. فالبنك يستطيع أن يمنح قرضا .. والوزارة
تستطيع أن تمنح مساعدة ..

ـ وعندما يحل الخراب فى النهاية ١٢
وأشار إليه الأستاذ سليم فى ضيق وملل قائلا :
ـ يا أخى .. لاتعقدها .. عندما نصل إلى المراكز الرئيسية فى المجلة
رينا يفرجها ..

وطالب الأستاذ سليم بدوره بزيادة الأجور ..
كما طالب بإعادة السارق الذى فصل .. ورفع الجزاء عمّن جوزوا بسبب
الإهمال .

ولم يوافقه المجلس .
ولم يوافقه عبد الراضى .
وخرج الأستاذ سليم إلى العاملين ليعلن ما فعل .. ويعلنهم بخيانة عبد
الراضى ..

ولعن أبو عبد الراضى .. لأنه جبان ..
وأحس عبد الراضى بالظلم الذى وقع عليه ..
وسأل الأستاذ عبد اللطيف وهو يدخل عليه دافع العين :
ـ هل أنا جبان حقا .. أنا لأخشى المدير ولا أخشى أحدا .. ولكنى
أعرف أن الذى سرق .. حقا قد سرق .. وأعرف كيف كسر عباس الماكينة
عمدا . وكيف التقى مع محمود الميكانيكى فى قهوة عويس .. واتفق على
أن يتقاسم معه أجر التصليح .. أعرف كل هذا يا أستاذ عبد اللطيف ..
وأعرف أن تعطيل الماكينة أضاع علينا صفقة طبع كتب وزارة التربية

والتعليم ، وأخذتها منا مطايع النصر .. أعرف الكثير يا أستاذ عبد اللطيف ..
فهل أنا جبان لأننى لم أوافق الأستاذ سليم ؟
- لست جباناً يا عبد الراضى .. مادمت مقتنعاً بما فعلت .. فلاتندم عليه .

وهكذا أحاط السخط بعبد الراضى .
سخط العاملين عليه .. لأنه جبان منافق .
وسخط الزوجات الثلاث اللاتى لا يعرف كيف يواجه مطالبهن .. بمرتبه الضئيل ..

إنه يستطيع أن يترك مجلس الإدارة ..
ويستطيع أن يطلق من تبقى على ذمته من زوجات ..
وبعد هذا ترد إليه حريته .. يفعل ما يشاء وقتما يشاء ..
تغضب أم عبده .. وتضرب زهرة .. وتشور زنوبة ..
وتقضى المحكمة بالنفقة لهن .. وأمامها مرتبه تفعل به ما تشاء .. فلن
يعدم كرها من الشاى .. ولقمة تسد رمقه .. ولن يعدم عطف صديقه الأوحـد ..
الأستاذ عبد اللطيف .. وهو يسأله الآن أن يذهب وإياه بعيدنا عن الأرض ..

فى أى داهية سيذهب معه ..
إلى جهنم ..
إلى الجنة ..
إلى السماء تحت الحساب ..
المهم أن يبعد به عن كل هذه المشاكل الأرضية التى تقسك بخناقك ..
وعندما لقيه الأستاذ فى الصباح وأعاد عليه السؤال :
- ها .. هل استقر رأيك على مصاحبتي ؟
- أجل ..
- هل تعرف إلى أين ؟

- قلت لى بالأمس .. إلى السماء .
 - أتعرف أين فى السماء ؟
 - وأنى لى أن أعرف ؟ .. السماء واسعة .. إلى أى مكان تذهب ..
 سأكون فى صحبتك ..
 - هل تعرف كيف ستذهب ؟
 - ليس مهما .. مادمت معك .. ومادمتا سنبعد عن هذه الأرض ..
 - سنذهب فى صاروخ .
 - إن شالله فى عربة كارو ..
 - ألا تخشى أن تتركب الصاروخ ؟
 - ألن تكون معى ؟
 - أجل ..
 - إذن فلن أخشى شيئا .. مايجرى عليك يجرى على ..
 - بعد بضعة أيام سيأخذوننا إلى القاعدة .. وسيجرون علينا بضعة
 اختبارات .. وسيقومون بتدريبتنا بعض الوقت ..
 - أنا تحت أمرك ..
 - انتهينا ..
 - بقى أمرهم .
 - ما هو ؟ ..
 - لم يعد عندى رصيد من الإجازات . وأخشى أن تحسب المدة غيابها
 بدون أجر .. وأنت تعرف حاجتى إلى المرتب .. لسد نفقات القبيلة التى
 تنتمى إلى .. زنوبة وأخواتها ..
 - لانهمل هما .. سنعمل الترتيب اللازم .. إنك ستصبح إحدى
 الشخصيات الهامة .. سيكون سفرك دعاية للمجلة .
 - هل أطلب إذن ؟
 - لست أظن أن الإدارة ستعتبرك غائبا .. فأنت ستكون فى عمل

رسمي طوال الوقت .

— إذن هل سيصرف لى أجر إضافي ؟

وضحك الأستاذ عبد اللطيف قائلا :

— سأكلم الأستاذ رزق .

وفكر عبد الراضى برهة ثم تساءل فجأة :

— ولكن لماذا سنذهب إلى السماء ؟

— لقد سألتنى أن أذهب ككاتب لكى أعكس ما أرى فى رحلتى ..

— وأنا .. ما فائدتى ؟ ..

— يريدون انعكاس الرحلة فى نفس بشر عادى .. إنسان .. مجرد

إنسان .. وأنت خير من يمثل الإنسان يا عبد الراضى .. بكل ما فيه من

مركبات الخير والشر .. بكل ما فيه من نزوات .. وفضائل .. أأست كذلك ؟

٤ - بلا أسرة بلا سمعة

هكذا انطلق عبد الراضى مع الصاروخ .. ليمثل الإنسان .. مجرد إنسان .

وعاد عبد الراضى يشرد ببصره خلال نافذة المركبة .. ويتأمل الكرة الرمادية .. التى حوت ماضيه .. بكل ماقيه من مشاكل .. ومتاعب ..

وفى القمرة المجاورة استقر الأستاذ عبد اللطيف .. طافيا فى استرخاء بجوار نافذة قمرة .. محدقا فى الفضاء القسيح تتناثر فيه ملايين النجوم . ولم يحس عبد اللطيف بقرية .. فى عالمه الجديد .. كان دائما يتوق إليه .. ويخلق فيه ..

لم تكن الأرض بكل ما فيها من وسائل الجذب .. بقادرة على شده إليها .. وربطه بها .. كان دائم التارجع .. بين الأرض والسماء .
ينجذب إلى الأرض بكل ماتتعطش إليه حواسه من نعم الأرض .
وينطلق إلى السماء بكل ماتتوق إليه روحه من رغبة فى الافتتاح على الكون والتحرر من قيود الأرض ..

كم خلا إلى نفسه بعد أن انفض عنه الجمع ليروى إلى السماء . ويخلق بين النجوم .. وكان يمسح جبينه فى صدر الله الخنون الغفور الكريم .. ويهدأ إلى رحمته .. ويسرى بلا أعباء .. فى رجايه . ويستريح بلا خوف ولا قلق .. فى ساحته .

ولقد رحب بهذه الانطلاقة الحقيقية إلى السماء .. بغير خوف .. ولاجزع ..

فهى لا تعدو أن تكون انطلاقة من انطلاقاته المتعددة بالذهن والروح أو
تجربة لانطلاقة أخيرة ينهى بها رحلته على الأرض .. وهى رحلة مهما
طالت .. ومهما بدا من بريقها ورويقها .. لا تعدو أن تكون مجرد عبور أو
وقفة .. يذهب بعدها إلى حيث كان .. ويعود من حيث أتى ..

هو لم يكن يملك .. سوى الانطلاق .. لأنه لا يتصور أنه يمكن أن يبقى
على الأرض بدونها .. حتى ولو ذهب إلى السماء ..

حقيقة أن السبب الظاهر لإقدامه على الرحلة . هو رغبة المسؤولين عن
الرحلة فى أن يرسلوا فنانا تواقا إلى الانفعال قادرا على التعبير .. فلقد
اقتصرت رحلات الفضاء فيما مضى على التسجيلات الآلية .. من تصوير
وتسجيل ووصف ظاهرى .. ولكن أحدا لم يسجلها بحسه .. لم يعرف
العالم شيئا من كل هذه الأشياء الباهرة من خلال فنان .. يمكن أن يرى فيها
ما لا يراه غيره .. وينقل إلى البشر انفعال الإنسان بالعالم الجديد عالم
الفضاء الفسيح الباهر الرائع .

لقد أقدم عبد اللطيف على الرحلة ليكون ذلك الفنان الذى سيرى العالم
.. الكون من خلاله ..

عرف الناس هذا ..

ولكن لم يعرفوا .. أنه فى قرارة نفسه .. أقدم على الرحلة .. ليس
ولعا بالفضاء .. وإنما ولع بإنسان يوشك أن يهجره إلى الفضاء .. وهو يكاد
لا يطيق فرقة على ظهر الأرض .

كان عبد اللطيف يعيش على الأرض بقلب لا تكف أجاسه عن الدق ..
لحبيب ما ...

ولقد بدأ ممارسة الحب فى السنة السادسة من عمره .

كان حبه الأول .. فتاة سيرك .. تغطى ظهر فيل .. لتستعرضه أمام
باب السيرك .. فى الخلاء القائم وراء الدراسة ..
كانت ابنة مدرب الفيل .. الأرمنى ..

وكان عملها الركوب على ظهر الفيل لجذب الرواد قبل بداية اللعب ..
أو التجول به حول السيرك .. يسحبه أبوها .. وهي مستقرة على ظهره ويده
جرس .. يدعو به الناس إلى السيرك .

وكان عبد اللطيف ينطلق من بيته في الدرب الأحمر بعد أن يعود من
الكتاب ليستقر أمام السيرك يرقب الفتاة الأرمنية على ظهر الفيل .. أو
يلحق الفيل وهي تمتطي صهوته .. وكلما تجمع في جيبه أجر الدخول ..
اندفع إلى السيرك ليقضى أطول مدة يحملق في الفتاة ..

تلك كانت بداية معرفته بالحب .. ويبدو أنه قد استمرأ مرعاه فانطلق
يرتع فيه بقية عمره .. ومنذ ذلك الحين لم تكف أجراس قلبه التي دقت لفتاة
السيرك على ظهر الفيل .. عن مداومة الدق .. لمحبة ما .. تعبر حياته ..
فتشير في نفسه النشوة والضحى .. تسعد أيامه وتورق لياليه .

وأحب عبد اللطيف كل الناس .. وغفر لهم ما أصابه من سيئاتهم ..
وهي كثيرة .. إذ لم يقابها قط .. فقد كان أعلم بالتركيب المعقد للإنسان
.. اعلم بخليط الحب والكراهية والطيبة والحقد والسناجة والمكر الذي يشكل
التركيبة الإنسانية وكان يعتقد أن لكل إنسان في تركيبه المعنوي أو الخلقى
وجها وظهرا كما أن لشكله وجها وظهرا .. وأن عليه عندما يتعامل مع
الناس أن يواجه ما أمكن وجوههم المعنوية ويتجنب ما أمكنه أقفيتهم
الخلقية .. لكي يلقى منهم أطيب ما فيهم .. ويكون أقدر على حبهم ..

وكان يؤكد لنفسه أنه ما من إنسان إلا وله ناحية معنوية طيبة .. ووجه
خلقى جميل .. وأنه ليس هناك سوى بعض شواذ ليس لهم وجوه ..
ولا يستطيعون بالتالي أن يواجهوا الغير إلا بأقفيتهم المعنوية .. على كلا
الوجهين .. فمركبات السوء أغلب على تكوينهم .. لا تستطيع مهما حاولت
بحسن التعامل أن تستدر حسنة من نفوسهم فليس بها سوى مزيج من البغض
والحقد والكراهية واللؤم والحسة .

وانطلق عبد اللطيف في حياته الدراسية .. ضمن آلاف التلاميذ .

ولم يكن هناك شيء يميزه .. سوى ذلك الشيء الخافق في حناياه .
يهفو لوردة تتمايل في نسمة الصباح يقطر الندى من أكامها ..
ويهتف لمغرب الشمس تجر أذيالها الحمر من وراء الأفق .. ويدق
لطف جميل .. يلوح بابتسامة مشرقة .. أو همسة عذبة .. تملأ أرجاء
الكون نشوة وطربا .

ولم ينغمه ذلك القلب الخافق النشوان .. في الدراسة .. فقد جعل منه
تلميذا خائبا .. بكاد .. يلحق في آخر العام بذيل الناجحين .
واشتهر الولد عبد اللطيف في الأسرة الطيبة بأنه ولد (مش فالح) ..
وكان يستمع إلى الحوار المستمر بين أمه وأبيه عندما تشكو إليه ..
تقول أمه وقد جلست على الكنبه وأمامها كوم من البامية تتشاغل
بتقميمها .. موجهة الحديث إلى الشيخ سليمان وقد انتهت من صلاة العشاء
وأخذ يقرأ بعض الأوراد .

— وبعدين ياسليمان ؟

ويلتفت إليها سليمان متسائلا :

— بعدين في ماذا ؟

— في الولد ..

— ماله الولد ؟

— كل شهر يتأخر عن الشهر الذي يسبقه .

ويضحك الشيخ سليمان قائلا :

.. أما زالت لديه فرصة للتأخر ؟

— ماذا تقصد ؟

— ظننته يبلغ نهاية الفصل منذ شهرين .. ولست أجدر لديه فرصة للتأخر

بعد ذلك .. إلا إذا حاول أن يكون أيضا آخر الفصل المجاور .

— أهذا موضع سخريه ؟

— مادام قد أصبح الأخير .. فماذا نخشى بعد هذا ؟

- نخشى أن يرسب فى آخر العام .

- وماذا تريد أن أفعل ؟

- كلمه .. لعله يستحى على دمه .

- حاضر ..

وينصت عبد اللطيف إلى الحديث الدائر بين أمه وأبيه وهو يجلس فى
الحجرة المجاورة يتظاهر بالانكباب على كتاب الجغرافيا وعيناه مسلطتان من
مشربية النافذة المقابلة حيث لا يفصل بينهم عن البيت المقابل سوى بضعة
أمتار هى عرض حارة الروم فى الدرب الأحمر .. وفى النافذة تقف سعاد ..
وهى تصبح بأختها :

- ويعدين معاكى يا تحية ..

وأحس عبد اللطيف بصوتها رنين الموسيقى وشدو الليل وود لو مد يده
عبر الحارة من خلال النافذة ليتحسس شعرها ..

مسة واحدة من شعرها .. بكل أيامه الماضية والمقبلة .

كيف يستطيع أن يشب عينيه على سطور الجغرافيا .. وطيفها الساحر
يتهادى أمامه .

فداها الجغرافيا .. بكل قاراتها .. والتاريخ بكل ملوكه .. فداها
نفسه وامتحاناته .

وأقبل عليه أبوه يكر حبات السبحة فى يده .. وقف بجواره يرمقه وهو
يتظاهر بالانكباب على الكتاب :

- ماهى أخبارك يا عبد اللطيف ؟

- الحمد لله .

- كيف حال الدراسة ؟

- رينا يسهل .

وتناول الشيخ سليمان كتاب الجغرافيا من يده متسائلا :

- ماذا تستذكر ؟

وسقطت من الكتاب ورقة .. وتناولها الأب فقرأ ما بها .. كان بها
بضعة أبيات من الشعر كتبها عبد اللطيف فى فاتنته سعاد .
وهز الأب رأسه وهو يردد أبيات الشعر ثم يتساءل :
- أنت كتبت هذا ؟

ورد عبد اللطيف بالإيجاب دون أن يحاول الإنكار .
وقال الأب وهو يعيد الورقة إلى مكانها بين طيات الكتاب :
- البيت الثانى مكسور .. والفعل فى البيت الثالث فعل متعد ..
وليس فعلا لازما .. والمعنى معاد سبق أن قاله الشريف الرضى .
وناوله الكتاب وهو يردف قائلا :

- وذاكر جغرافيا أحسن لك من نظم الشعر .
وهز عبد اللطيف رأسه قائلا فى اقتضاب :
- حاضر ..

- أمك تقول إنك تتأخر شهرا بعد شهر .
- توقفت عن التأخر منذ شهرين .
- لأنه لم يكن هناك بعدك أحد .
- كان بعدى تلميذ .. غاب طول الشهر لمرضه .
- وتقول أمك إنك سترسب آخر العام .
- إن شاء الله أكذب ظننا .
- إذا سمعت نصيحتى .. دعك .. من هذه الأشياء التى لا تنفع حتى
تأخذ الشهادة ..

ثم اتجه إلى النافذة وأغلقها قائلا :
- وأغلق هذه النافذة .. لتجنب تيار الهوى .
- ولم يستمع عبد اللطيف لنصح أبيه ..
استمر يمارس هذه الأشياء التى لا تنفع .. استمر يكتب القصائد ..
والقصص . ولم يحاول أبدا أن يتجنب تيار الهوى .. وفى النهاية أخذ

الشهادة ..

وأصبح يحترف هذه لأشياء التى لاتنفع ..
وأصبح يمارس التعرض لتيار الهوى هواية .. أو كعادة مزمنة لايمكن
الخلاص منها .

ولم تكن قدرته كطرف من أطراف لعبة الهوى التى يمارسها .. يمكن
أن تنبع من شكله .. فهو يعرف جيداً .. أن شكله لايمكن أن يكون أحد
عناصر الجذب للطرف الآخر ..

ومنذ الصغر وهو يحاول عبثاً .. أن يجعل لشكله قيمة .
بدأت المحاولة عندما أبصر رسماً فى إحدى المجلات لرجل ذى
عضلات بارزة وجسد ضخم يلتف حوله ثعبان هائل وهو يطبق على عنقه
بقيضته الحديدية محاولاً أن يفتك به وأسفل الصورة إعلان عن معهد القوة
والجمال لصاحبه فائق الجوهري وكيف يمكن بالمراسلة أن يصبح للإنسان مثل
هذا الجسد القوى .. والشكل الرائع .

وقال عبد اللطيف لنفسه وهو يتأمل الصورة فى إعجاب :
— هل يمكن أن يصبح للمرء حقيقة مثل هذا الجسد الرائع ..
وتخيل نفسه وقد انتفخت عضلاته واستطالت قامته وبرز صدره .. وهو
يسير فى الطريق .. وسعاد تستنجد به من معاكسة غليظ ثقل الدم كان
لافتاً يعاكسها .. وهو يهجم عليه فيمسك به من عنقه ثم يرفعه فى يده
ويقذف به فى برميل الطرشى .. ثم يهم بالانصراف فى تواضع ولكن سعاد
تلتحق به وتشكره وتسأله أن يتفضل بزيارتهم ..

ويعاود عبد اللطيف النظر إلى الإعلان مردداً لنفسه :

— أمعقول هذا !

ولم لايجرب .. إن كل ما هو مطلوب منه هو أن يفصل قصاصة
الإعلان عن المجفة ويرسلها فى ظرف بعد أن يملأ ما بها من بيانات خاصة
بالاسم والسن والعنوان ويطلب الاشتراك فى المعهد نظير بضعة قروش يرسلها

فى صورة طوايح بريد ويحدد فى طلب الاشتراك ماذا يريد ..
وأخذ يملأ البيانات فى القصاصة .. وطلب كل ما يمكن أن يحققه ..
طولا .. رشاقة .. ذراعين قويتين .. صدرا عريضا ..
ووضع الظرف فى أقرب صندوق بريد وهو فى طريقه إلى المدرسة ..
هانت يا عبد اللطيف ..
بعد بضعة شهور .. ستصبح كما يقول الإعلان .. رجلا قويا وسيما ..
فارع الطول عريض المنكبين ..
ستصبح كذلك الرجل الذى فى الصورة .. هكذا يقول الإعلان .. بغير
الشعبان بالطبع ..
ولو أصبحت تصفه .. لكان فى ذلك الكفاية كل الكفاية .. لكى تنهى
لعبة الحب التى تمارسها من طرف واحد .. ترقب من بعيد .. وتقرض الشعر
.. وتطلق الآهات .. وتتاجى النجم تعذبه .. وتقيم الليل وتقعده ..
لن تصبح اللعبة .. مجرد طيف يلوح لناظريك من نافذة .. وصوت
يشنف ترديده مسامعك عبر الطريق .. وأنت قابع ترقب فى خوف ..
ستخرج إلى الميدان بجسدك الرائع .. تمارس اللعبة فى غير حشية ..
ولاحياء .. ولاخوف من صد أونفور ..
ومرت الأيام .. وهو ينتظر الرد من معهد القوة والجمال ..
وفى ذات اليوم دخل أبوه وهو يحمل فى يده ظرفا .. قائلا فى نبرات
هادئة :

— أنت تريد أن تطيل جسدك ؟

وفى هذا البيت الدينى .. والأسرة ذات التقاليد .. كانت عملية إطالة
الجسد وتربية العضلات .. تبدو .. إن لم تكن ذنبا .. فهى على الأقل شيئا
يدعو إلى السخرية ..
وأحس عبد اللطيف كأنما قد ارتكب منكرا يدعو إلى الخجل .. وقال
متسائلا فى استحياء :

.. أنا .. أطيل جسدى ؟

ومد أبوه يده إليه بالظرف قائلا :

.. هذه رسالة وصلت إليك من معهد الجمال والقوة ..

وأمسك عبد اللطيف الظرف وهو يتساءل فى دهشة :

.. لى أنا ؟

.. أجل .. تقول إنهم قبلوا ضمك إلى المعهد .. ويشرحون لك التمرين

الأول فى إطالة الجسد ..

ولم يحاول عبد اللطيف أن يفتح الظرف .. وألقاه أمامه فى غير

اكتراث .

وأردف أبوه يقول فى هدوء :

.. بدل هذا العبث الذى تضيع به وقتك .. افعل شيئا مفيدا أحسن لك .

وعندما خلا عبد اللطيف إلى نفسه أقبل على الرسالة يقرأها .. كان

بها التمرين الأول .. ثم طلب اشتراك إضافى لابد من تسديده .. قبل

مواصلة الدروس .. وحاول عبد اللطيف أن يقوم بالتمرين .. أمسك بالورقة

فى يديه ثم بدأ يثنى جذعه فانقلب على الأرض ..

وحاول ثانية .. وثالثة ..

وبعد الرابعة .. أمسك بالرسالة فمزقها .. قائلا فى يأس :

.. لا فائدة .

ومن يومها .. رضى بجسده كما هو .. لم يحاول أن يمتدحه أى نوع من

الرشاقة .. أو الاستطالة .. بل تركه يتشكل كما يتراءى له .. دون أى نوع

من أنواع الضغط عليه .. يهرز حيث يريد أن يهرز .. ويضيف إليه من

الشحم ما يريد .. وحيث يريد ..

لم يحاول أن يعذب نفسه بتلك الحركات المعذبة التى يسمونها

« ألعاب رياضية » .. فلم يكن يحسن أن رحلة العمر المرهقة تحتل مزيدا من

الإرهاق المتعمد بالرياضة أو غيرها من أنواع الحرمان من هذا الطعام أو ذاك

الشراب ..

وهكذا ترك جسده ينمو كما يشاء .. دون أن يقيده بأى أسلوب من
أساليب التهذيب .. أو يفرض عليه أى نوع من أنواع الحظر .. بعد أن يشس
من أن يجعل منه وسيلة جذب فى لعبة الهوى .

ورغم ذلك .. فقد وجد عبد اللطيف نفسه .. دون أن يدري .. ودون
أن يعتمد .. من أشد الناس جاذبية للناس ..

لقد تحول التلميذ الخائب .. بمجرد أن أنهى دراسته .. بخيابة .. إلى
مخلوق .. ناجح جذاب ..

ومن عجب .. كانت عناصر النجاح والجذب فى نضجه .. هى نفسها
عناصر .. الحية والفشل فى صباه ..

المخلوق الحساس الشفاف .. اللذائب من ترنيمه شاد .. النائح من
تنهيدة محزون أو موجوع .. بات لكلماته التى كانت تضيق وقته .. وتصرفه
عن درسه .. طعم .. وقيمة .

بات .. العبث الذى كان يمارسه .. خلال الدروس .. هو الأصل فى
حياته .. وياتت الدروس بالنسبة له عبثا أضاع فيه أيامه الخوالى .

وسبحان مغير الأحوال .

واحترق الكتابة .

وباتت كلماته .. سر جاذبيته ..

وبذلك .. ومشاعره الحارة ..

بنقاء ذهنه .. وصفاء قلبه .. أصبح إنسانا جذابا .. على الورق ..

وبين الناس ..

لن يشعر أبدا بحاجة إلى جاذبية الشكل .. بعد أن طغت جاذبيته
المعنوية على كل ماعداها .

وانطلق يعيش بحرارة .. يحب وينفعل ويكتب .. ويستمتع بكل ما فى
الحياة .. من جمال .. ويقاسى كل ما فيها من مرارة ..

ولم يحاول أن يزج بنفسه فى معترك الزواج ..
ولم يكن يحس بنفسه القدرة على تحمل مسئوليته . ولا كان يعتبره الحل
النهائى .. لمشكلة الرجل والمرأة .. بل لم يكن يعتبره أصلا حلا لمشكلتهما
معا .. بل كان يعتبره بداية حقيقية لهذه المشكلة .

وكان يعرف بحكم التجارب التى عاشها من حوله .. أن الزواج ليس
هو المحقق لأمانى المحبين .. بل هو المنتهى الذى تقف عنده أمانيتهم ..
ويتحول إلى شركة يتحتم لنجاحها صفات هى أبعد ما تكون عن الصفات التى
يتلطف عليها كل المحبين خلال لווثة الحب . وهو يعرف أن المحب النموذجى
.. لا يشكل بالضرورة زوجا نموذجيا ..

قد تتوافر فى مخلوق بالصدفة .. صفات المحب النموذجية .. وصفات
الزوج النموذجية .. فينتهى الحب إلى زواج سعيد .. فإذا لم تتوافر صفات
الزوج النموذجى .. فى المحب .. وهى صفات أبعد ما تكون عن أن تخطر
ببال المحبين .. أهمها الإحساس بمسئولية الشركة - تحول الحب بعد الزواج إلى
كارثة ..

وإذا كان عبد اللطيف محبا نموذجيا .. فهو قطعاً .. لم يكن بالذى يمكن
أن يصبح زوجا نموذجيا .. بكل ما فيه من رغبة فى أن يفعل ما يشاء حينما
يشاء .. دون التقيد بنظام ما .. أو ارتباط بشخص ما ..
كان يستيقظ فى الظهيرة وينام قبيل الفجر .

وكان يحب الليل .. بسكونه .. ولجوده .. يحبه بكل ما فيه من مجون
.. وأشجان .. يحب دفئه بين الجدران فى الليالى القارصة .. ويحب نسماته
الرطبة الطليقة .. فى لياليه الدافئة .

وكان يقول لأصحابه دائما :

- لا يقيد الإنسان فى حياته .. غير الأسرة .. وحسن السمعة .

وهكذا انطلق يتجنب بقدر ما يستطيع الارتباط بحمل الأسرة .. أو
الاكتساء بحسن السمعة .

وظل يتنقل من دار جريدة .. لدار جريدة أخرى .

ومن حبيبة إلى حبيبة .

حتى استقر أخيرا في مجلة الزمان .. كمكان عمل .

واستقر على شهيرة .. كمرتج حب .

أما عن الزمان ..

فقد وجد فيها دنياه الحافلة .. بالمخلوقات والأحداث .. دنيا الصحافة بكل مافيهها من تناقضات .. دنيا السلطة الرابعة بكل مافيهها من سطوة .. وحق .. وقوة .. وكبرياء .. وشجاعة .. وضعف .. ورياء .. وخداع .. وكذب .. وتضليل .. وإرهاب .. ويلطجة ..

ومارس عبد اللطيف حياته فيها .. ممارسة المجرب .. المحنك .. الخبير بكل النماذج البشرية .. يقبلها في ترحاب .. ويتلقى مساوئها .. تلقى المنتظر المتوقع .. لا يستغربها ولا يستنكرها .. مهما بلغت من سوء .. يقبل السيئة بغير أسف .. ويمنح الحسنة .. بغير انتظار رد أو اعتراف بالجميل .. وعندما يلومه لائم على عبطه ويلاهمته .. لاستمراره في مساندة من خذله وكفر بنعمته ، يقول ببساطة « لا تجعل سيئات الغير .. تبدل خلقك .. وتغير معالم نفسك » .

. واحتل في المجلة مكان « العمدة » .. وجعل من مكتبه مصطبة .. ومن بيته .. دوارا .. يلجأ إليه كل متعب .. أو شاك .. أو مظلوم .. أو قرفان من الحياة ..

وأقبل عليه الجميع .. بوجوههم مكشوفة .. بلا خوف ولا خجل .. أقبلوا عليه .. بذنوبهم .. ومساوئهم .. وفضائحهم .. فقد كانوا يجنون عنده .. دائما .. العثر .. والراحة .. والأمان .

ولقد حاول أن يقدم النصيح لكل منهم .. عيشا .. فانتهى الأمر به إلى أن يأخذهم على علائهم .. ويقبلهم .. بكل ما فيهم من سخافات .. كأمر مسلم به وكشكل لا يبدل له .. ولا مفر منه .

ألم يكن هو نفسه .. صاحب سيئات ؟ ..
هل أتعظ بنصح أحد ؟ ..
قالت له أمه ذاكر .. فلم يذاكر ..
وقال له أبوه .. دعك من هذه الأشياء المضیعة للوقت .. فزاد إقبالا
عليها ..
ثم كبر .. وأصبح .. ما هو عليه .. بكل مافيه من سيئات .. ولو
استطاع أن يغير نفسه .. لما أضحي ماهو .. بل أضحي شيئا آخر .. ربما
أفضل .. وربما أسوأ ..
ولكن الإنسان .. يصبح ماهو عليه .. بكل مافيه من سيئات وحسنات
.. تركيبة متناقضة .. وخليط عجيب .. يشكل منه .. المخلوق الذى يقذفه
القدر إلى الحياة .. وإلى الناس ..
لماذا ينصح الناس أن يكفوا عن سيئاتهم .. وهو لم يستطع بعد هذا
العمر أن يخلص من سيئاته ..
السهر .. والشرب .. والحب .. والمزاح .. والمقالب ..
أليست تلك هى سيئاته ؟ ..
ولو خلس منها .. فماذا يبقى له ؟ ..
ماذا يبقى له .. يواجه به الناس .. كشخصه ؟ .. لا كمخلوق آخر ..
يختلف عنه جد الاختلاف .. كعبود أفندى كاتب الحسابات .. أو الأستاذ
شكرى .. رئيس قلم القيودات ..
لم يستطع أن يغير نفسه .. ولن يستطيع أن يغير الناس .. فليأخذهم
على علائهم .. كما أخذوه على علائهم ..
كان عليه أن يأخذ الأستاذ عبيد بكل مافيه من غرور واستعلاء ..
كظاهرة لامر من قبولها .. كما هى ..
كان عبيد يقبل عليه بجسده الطويل وقامتة الزعامية وشعره المنكوش
فوق رأسه .. ويجلس واضعا ساقا على ساق قائلا له :

.. مارأيك في الهسة التي كتبتها اليوم ؟
ولم يكن عبد اللطيف قد فهم منها شيئا . كان يعرف أن عبيد ..
يحاول أن يكون صاحب أسلوب .. فكان يحول الكلام المفهوم الذي يريد أن
يقوله .. إلى كلام غير مفهوم .. وقال له عبد اللطيف ذات مرة :
.. لماذا لا تكتب كلاما بسيطا كالذي تتكلمه ؟
.. أكتب كما أتكلم .. كيف ؟
.. حتى يفهمك الناس .
.. ولكن الكتابة شيء والكلام شيء آخر .. يجب أن يكون الكاتب
صاحب أسلوب .
.. الكاتب بطبيعته صاحب أسلوب .. ولكن غير الكاتب لا يستطيع
بتكلفه أسلوبا ما .. أن يصبح كاتباً ..
.. ماذا تعنى ؟
.. أعنى أنك لست كاتباً .. فلا داعى لأن تجهد نفسك .. وتتكلف
أسلوباً .. فيصبح كلامك غير مفهوم .
وغضب الأستاذ عبيد .. واستمر يكتب كلامه غير المفهوم .. ومن
يومها .. لم يحاول عبد اللطيف أن يردعه .. بل تركه وأسلوبه للقارىء ..
يفهم منه ما يشاء .
وأقبل عليه الأستاذ جاد الله وقال له متفاخراً :
.. كان عندى بالأمس .. كمال عبد الرحيم المخرج ورجانى أن أنشر
وجهة نظره فى معركته مع المنتج البشلاوى ..
.. ونشرتها ؟
.. لا بالطبع . لأنى قررت أن أتخذ موقفاً محايداً .
.. عملت طيب .
وفى العدد التالى .. لم يجد فقط وجهة نظر المخرج بل وجد حملة
شعواء على المنتج ..

وبعد بضعة أيام عرف أن الأستاذ جاد الله يكتب سيناريو الفيلم الجديد الذى سيخرجه المخرج كمال عبد الرحيم .

ولم يجد عبد اللطيف ما يقول له سوى :

.. مبروك الفيلم الجديد .. لم أكن أعرف أنك كاتب سيناريو ..

وضحك جاد الله قائلاً :

.. هى شغلانة .. أهى كلها كتابة .

ولم يكن عبد اللطيف يجد فى هذه السيئات البسيطة من الخطورة .. أكثر مما يجد فى بقية سيئات الناس الطبيعية .. ولكن أفسى الخطر الذى كان يحس منه .. هو ما لمسه من خروج أحقاد البعض .. من مجالاتهم الخاصة .. إلى المجال العام .. عن طريق الكلمة المطبوعة فى الصحافة .. التى يسلم الناس بها .. كحقيقة واقعة .

أقبل عليه الأستاذ سرحان وعلى وجهه سيماء الشماتة والفرحة قائلاً :

.. سبق صحفى يا أستاذ حققتك لمجلة هذا الأسبوع .

.. ماهو ؟

.. مدير مؤسسة سرق أموال المؤسسة .

.. سرق أموال المؤسسة ؟

.. أجل .

.. هل صدر عليه الحكم ؟

.. إنه مقدم للتحقيق .

.. ولكن قد يبرأ ..

.. لا .. لا .. بل سيدان ويحكم عليه .

.. من عرفك ؟

.. أنا واثق .

.. هل اطلعت على أدلة الاتهام .. واطلعت على مستندات الدفاع ..

.. يا أخى .. لقد سرق الرجل أموال المؤسسة .. إنى أعلم ذلك يقينا .

- وإذا يرى ؟
 - تبقى كارثة ..
 - هل تحب أن يدان ؟
 - طبعاً .. لقد نشرنا عنوانا كبيرا .. مدير مؤسسة يسرق مائة ألف جنيه .
 - هل كتبت « يسرق » أو يتهم بالسرقة ؟
 - كتبت يسرق ..
 - الله يخرب بيتك .. ألا تدري أنك تسدين الرجل قبل أن يديسه القضاء ؟ ..
 - يا أخى .. فوت .
 - أفوت ازاي .. هل تحب أن ينشر عن أبيك أنه مجرم .. لمجرد اتهام يوجه إليه ؟ ..
 - وماله أبى فى هذا الموضوع ؟
 - ياسيدنا .. هذا رجل له أولاد .. فى المدارس أو فى الرظائف .. كيف يواجهون الناس ؟ .. وإنك قد أثبت على أبيهم تهمة السرقة .. وأدنته .. بمجرد الشبهة .
 - ماذا كنت تريد منى أن أكتب ؟
 - تكتب الحقيقة .. بدقة .. كما عرفتھا .
 - ولكنها لن تكون مثيرة .. هل تريدنى أن أقول أن تحقيقا يجرى مع مدير إحدى المؤسسات .. لبعض مخالفات اكتشفت بواسطة ديوان المحاسبة ؟
 - ولم لا .. إن الأمانة الصحفية تقتضينا هذا .. يجب أن نجعل الناس يحترمون كل مانقول .. ويصدقونه بدقة ..
 - ولكنهم يصدقونه .. كما هو .
 - هذه هى المصيبة .
 - ولم يستطع عبد اللطيف أن يوقف .. نفث الأحقاد من بعض الصدور

على الورق .. ولا استطاع .. أن يقنع زملاءه .. أن صفحات المجلة ليست ..
إقطاعات خاصة يمارس كل منهم فيها سلطاته بغير حدود .. يمنح المديح لمن
يحب .. ويصب السخط على من يكره .. ينشر بها الهيئات وينفث منها
الأحقاد ..

ولا استطاع أن يقنع بعض المستخفين بمسئولية الكلمة .. أنها كحد
الموسى .. لا تقذف باستخفاف ذات اليمين وذات اليسار .. لأنها قد تجرح
وقد تذبح .

لم يستطع أن يقنع الأستاذ صلاحوى .. بأن القلم ليس .. بلطة فى يده
يقذف بها من يشاء .. لحساب من يشاء ..

أقبل عليه صلاحوى ذات يوم ضاحكا وهو يقول :

.. قتلت مدير مؤسسة النقل فى المقالة التى كتبتها اليوم .

.. لافائدة منك يا صلاحوى .

.. لماذا ؟ .. لقد أعجب المقال كل من قرأه .. قالوا لى إن دمه خفيف

جدا ..

.. إن من يشنكل إنسانا فى الطريق .. أو يصفع ممثلا على المسرح ..

يضحك الناس ..

.. ولكنى لأصفع .. إنى أذبح ..

.. لوعرفت أن الذى تذبحه يمكن أن يذبحك .. لما وجهت السلاح إليه ..

.. من هو الذى يستطيع أن يذبحنى ..

.. أنت تعرفهم تماما .. وتعرف كيف تقدم إليهم أغصان الزيتون .

ولم يقل له شيئا بعد هذا ..

ولا قال لغيره ..

أخذهم على علاتهم .. لأنه لم يستطع أن يقدمهم بتغيير أنفسهم ..
لأنهم بشر .

ولأنه هو نفسه .. كان يمارس بعض خطاياهم فى بعض الأوقات ..

ألم يكن يكتب فى نثاته .. مناجاته الخلوة إلى حبيباته .. ألم يكن يث
على صفحات المجلة لوعته .. ويسطر وجيعته ؟
ألم يكن يمدح من يحب .. ويهجو من يكره ؟
ألم يكن يخدم القريبين إليه .. بنشر صورة أو بكتابة خير ..
ألم يكن يجمال فى صفحته .. وكأنها عزة يملكها ؟ ..
الفارق بينه وبين غيره .. أن الناس تحب ما يكتب .. وتقبل عليه فى
شغف .. وطرب ؟

ألم تكن قصائده التى غناها .. وقائع حال .. ينفث به عما فى صدره
.. من حرمان ولوعة ووجيعه وضنى .
بل ألم يفسح المجال لشهيرة - آخر من أحب - على صفحات المجلة .. لكى
تنشر من المقالات والآراء والأحاديث .. مالم يستطيعه .. عشرات الكتاب
الذين يقفون بباب المجلة .. يطرقون الباب فى إلحاح دون أن يؤذن لهم ..
بالدخول إلى صفحات المجلة التى ترتع فيها شهيرة .. بما كتبه ومالم تكتبه ؟
لقد كان عبد اللطيف بشرا .. ولقد كان أدرى الناس بميول البشر ..
وسينات البشر ..

فأخذ الجميع على علائهم .. وقبلهم بكل ما فيهم من سينات ..
والتفوا حوله .. بنفوس مكشوفة .. لاتستحي من سيناتها لأنه كان
يعرفها .. ويففها ويمارس بعضها .
ولم يحاول أن يكتسى بحسن السمعة ... لأنه كان يكره النفاق ..
ولأنه .. كان يجد أن سوء السمعة وقاية من الإشاعات ..
لقد كان يقول عن نفسه أسوأ ما يمكن أن يقوله مروجو الإشاعات
لقطع بذلك الطريق عليهم .

وهكذا اكتسب شجاعته بمواجهة القدر بلا أسرة يصوب إليها طعناته
.. ومواجهة الناس بلا سمعة .. يصوبون إليها ألسنتهم .
شئ واحد لم يستطع أن يواجهه .. وهو قلبه .. مكن الضعف فيه .
وكان آخر ما تصيده منه شهيرة .

٥ - شركة بالإكراه

كان أول لقاء لعبد اللطيف بشهيرة في ليلة من ليالي الصيف . كان يجلس في مكتبه وقد انتهت من قراءة بروفة مقالته وسلمه لعبد الراضى قائلا :

- سلم المقال للأسطى عبد العزيز لأنه ينتظره منذ المغرب وطباعة الملزمة معطلة من أجله .

وتناول عبد الراضى الورق من عبد اللطيف متسائلا :

- أتريدنى بعد هذا فى شىء .. هل أجهز لك العشاء ؟

- لا .. تستطيع أن تذهب حيث تشاء .

- وأين ستتبعشى ؟

- عندى دعوتان للعشاء .. وأنا حائر إلى أيهما أذهب .. هل أذهب

إلى حفل تكريم الشاعر اللبناني زهير . أم أذهب إلى عيد ميلاد الأستاذ صلاح شوكت المخرج ؟

وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى هدوء :

- اذهب إلى البيت ونم أحسن لك .. لقد مضى عليك أسبوع لم تنم

ساعة واحدة بالليل .. حتى بت لاتعرف النوم إلا بالأقراص .

- غدا مستنم كثيرا يا عبد الراضى .

وقال عبد الراضى وهو يتجه إلى الباب :

- أبعد الله عنك نومة القد وأمد الله فى عمرك .

ودق جرس التليفون فرفع عبد اللطيف السماعة قائلا :

.. أهلا فتوح .. من أين تتكلم ؟ ..
- من بيت هالة .
.. وماذا تفعل هناك ؟
- كنت مدعوا إلى حفل أقامته جمعية الطفولة المشردة .. وقد التقيت
بها هناك فأصرت على دعوتنا للعشاء .. ماذا تفعل أنت ؟
- انتهيت من تصحيح المقال .. وحائرا هل أذهب إلى حفل زهير أم إلى
ميلاد صلاح شركت .. أم أذهب لأنام كما ينصحني عبد الراضى ؟
وصمت فتوح لحظة كأنه يكلم أحدا بجواره ثم قال :
- اسمع .. ما رأيك فى أن تدعك من هذا كله وتأتى إلينا ؟ ..
وأجاب عبد اللطيف فى صوت يقلبه الحزن :
- لا داعى يا فتوح لهذه المتاعب .. لقد انتهينا .
ورد فتوح فى صوت خفيض :
- أى متاعب ؟ انتظر لحظة على التليفون حتى أنقله إلى الحجرة الأخرى
لأعرف كيف أكلملك على راحتى .
وبعد لحظة سمع صوته يقول :
- اسمع يا عبد اللطيف .. إن هالة تريدك .. إنها هى التى طلبت منى
أن أدعوك .. بل أؤكد لك أنها لم تدعنا إلا من أجلك .
.. ماذا تريد منى .. بعد كل ما فعلت ؟
- إنها تريد أن تتفاهم معك ..
- لم يعد هناك سبيل للتفاهم .. دعنا من هذا كله أرجوك .
- اسمع .. سادعها تكلمك بنفسها .
وأحس عبد اللطيف بالأحمق الذى يسكن صدره .. يندق بهتف عندما
سمع صوت هالة يهتف فى رقة :
- لطيف ؟ ! .. أهنت عليك إلى هذا الحد ؟ ..
قطعا لم تهن .. إنها مجرد محاولة فاشلة للاحتفاظ بالكرامة .

كان عليه أن يحاول الهجر والقطيعة .. بعدما أبصرها تجلس في
شرفتها في حالة وله مع جمال مخرج آخر أفلامها .. وهي حبه المقدس ..
والهته التي تغنى بها ورفعها إلى السماء ونظم في حبها القصائد ..
ورصع بصورها الصفحات .

وأحس عبد اللطيف ليلتناك بالطعنة تدمى قلبه ..
وتحولت طعنة الخيانة الدامية .. إلى قصائد .. تنشد .. ونفثات ..
تروى .. وأثبات تتصاعد بين السطور .

ومرت الأيام .. وهو مصر على القطيعة والبعد .. والحرمان يورقه ..
والهجر يسهد ليالیه .. وراح يحاول التعزى .. بهذه الحبيبة وتلك .. من
رصيده الاحتياطي من الحبيبات .. حتى هتف به صوتها تسأله عما إذا كانت
قد هانت عليه .

كيف تهون عليه ؟ .. وهي روحه وقلبه .. رغم كل خياناتها .. قداها
نفسه .. وعمره .. وكرامته .. قبل أن تهون .
هبط الدرج وهينادي عبد الراضى لكى يطلب له تاكسى .. وتسامل
عبد الراضى :

- إلى أين قررت المضى يا أستاذ ؟

- إلى الجيزة .

وابتسم عبد الراضى فى نوع من الشماتة :

- قلت هكذا .. قالوا اطلعوا من البلد .. عادت رجمة لعادتها القديمة .

جلس عبد اللطيف فى التاكسى وهو يهتف بالسائق :

- إلى الجيزة يا أسطى .. أمام جنينة الحيوانات .

وضرب عبد الراضى كفا بكف وهوىقول :

- كان لزومه إيه .. الفضايح التي عملتها فى القصائد ؟ ..

ودلف عبد اللطيف من باب العسارة .. وحمله المصعد إلى أعلاها فى

الدور العاشر حيث تقطن هالة .

ووقف يندق جرس الباب وبعد لحظة فتحت له أم حكمت الخادمة وهتفت
به مرحبة :

... أهلا .. أهلا .. أهلا وسهلا .. عاش من شافك يا أستاذ .. لماذا
هذه الغيبة .. بعد أن عودتنا على رؤيتك كل يوم ؟ ..
وحيا عبد اللطيف أم حكمت فى حرارة ثم اتخذ طريقه من الصالة إلى
الشرفة الكبيرة المطلّة عبر الشارع على الحديقة الكبيرة بأشجارها الممتدة
المتكاثفة .

وأقبلت هالة تحييه بحرارة ولهفة ..
ورد هو تحيتها بلهفة أشد وكان شيئا لم يقع بينهما .. واتجه إلى
الحاضرين يحييهم فى مرح .
ومن بين الحاضرين .. كانت شهيرة .

ومن النظرة الأولى .. نسى قلبه الأحق دقاته لهالة .. ونسى أشواقه
ولهفته وعنايه وحسابه .. وانحرف عن طريقه فجأة .. كما تنحرف عربة
السكة الحديد عن الشريط .. واتجه بكل نبضاته .. ليندفع هاويا .. إلى حبه
الجديد .

كانت شهيرة تجلس بجوار سور الشرفة ..
ومن ورائها يمتد الطرف الشرقى للقاهرة .. يبدأ بالأشجار المتكاثفة
لحديقة الحيوانات والأورمان .. تلفها الظلمة .. وتخسّش أوراقها من هبات
النسيم .. ومن ورائها تبدو قبة الجامعة .. والأبنية والمزارع .. حتى
الأهرام .. تلوح وسط الظلمة فى ضوء أصفر باهت .. يسلطه عليها مشروع
الصوت والضوء .

وكانت شهيرة تتكىء بينماها معتمدة على السور الحديدى للشرفة ،
وقد أستندت رأسها مائلة على ذراعها .. وانساب شعرها يغطى نصف وجهها
ثم يتهدل على كتفها ، وعندما أقبل عليها وثبت من مكانها تحييه فى
حماسة مرحبة :

.. تمنيت دائما أن أراك .. لا تتصور كم سعدت عندما قالوا إنك ستأتى.
ولم يكن فى حديثها تكلف .. بل كانت تغلب عليه خفة ونزق لم
يتعوده من الإناث الجميلات .

وكانت أبهى جميلة ما فى ذلك شك .. رغم كل تصرفاتها التى تبديها
كولد شقى .

كانت حلوة .. بعينيها السوداوين المرسومتين جيدا .. تظلهما أهداب
تشرك فوقهما كالمروحة .. وتكاد تمس وجه المتحدث إليها فى كل طرفة
عين ..

ولم يكن أحلى .. مافيها تقاطيع وجهها .. فقد كانت لأنفها طرطوفة
مقصومة إلى أعلى .. وكان فمها أميل إلى الاتساع .. فى شفتين مملكتين
تنفرجان عن أسنان منتظمة بيضاء ..

ولكن وجهها .. على بعضه .. كان شيئا شديدا الجاذبية .. فى ابتساماته
ولفتاته .. قادرا على أن يشد الانتباه وسط غيره من الوجوه التى قد تفوقه
بمقاييس الجمال العادية المصطلح عليها .

وكان جسدها أميل إلى النحول .. وإن بدا ممتلئا فى الأماكن الواجبة
الامتلاء .. سواء كان ذلك امتلاء طبيعيا .. أو مصنوعا .. بالحشو أو
بتفصيله الثوب .. كما بدت ساقاها طويلتين مستقيمتين فى غير عجف ..
ولا اعوجاج ..

واستطاع عبد اللطيف أن يلمح ذلك كله فى نظرة خاطفة .. فقد كان
يملك قدرة خارقة بالنظر والحس .. فى استيعاب الجمال .. والحكم عليه .
واستقرت يدها فى يده .. وهو ينظر إليها مشدوها .

ورد على ترحابها قائلا فى رنة أسف :

.. كنت تتمنين أن ترىنى .. وأنا لا أدرى .. بالضيقة العمر الذى مضى
قبل أن ألقاك ! ..

وضحك فتوح وقال وهو يصفق بيديه :

.. مطلع أغنية جديدة ..

وأكمل صلحاوى يقول وهو يغمز بعينه :

.. للمهمة جديدة ..

ثم مال نحو هالة وهو يردف قائلا :

.. راحت عليك ياست .

ولم يبد أن هالة قد أخذت الأمور مأخذ الجد فقد ردت مازحة :

.. عبد اللطيف سيبقى صديق العمر .. إنه أخى .

وقال عبد اللطيف مؤكدا وهو مازال ممسكا بيد شهيرة :

.. طبعا .. إن هالة أعز من أخت .

وسحبت شهيرة كفها من يده وقد أحست بشىء من التوريط والأنظار

تحدق فيها . واستقرت على مقعدها . وشد عبد اللطيف مقعده واستقر
بجوارها .

وعاود الحاضرون اهتمامهم بما كانوا يباشرونه قبل وصول عبد اللطيف

.. من شرب ومناقشة والتقاط لقمات المزة من فوق المنضدة .

ونسى عبد اللطيف .. كل ما كان قد أعده من عتاب لهالة .. ونسى

كل مشروعاته التى خططها لعلاقتها المستقبلية .. وبدأت هالة وكأنها قد

أرضتها مجرد عودته .. ولم يضايقها إقباله على شهيرة .. بل لقد أحست

بامتنان لها .. وهى تريحها من عناء لهفته وفرط إقباله .. وحرارة حبه .

وأقبلت شهيرة عليه بابتسامتها الحلوة التى تشيع الإشراق فى كل

وجهها وقالت فى فرحة :

.. لا أكاد أصدق أنى أجلس معك .

ورد ببساطة :

.. ولا أنا ..

وعاد يتأمل وجهها وهى مازالت مبتسمة ثم تسامله قائلا :

.. أول مرة أراك هنا .

- لأنها أول مرة آتى إلى هنا
- وكيف حدث ذلك ؟
- محض صدفة .. كنا فى اجتماع على الشاى فى نادى الجزيرة لهذه
- الدعوة لحملة التبرعات لجمعية الطفولة المشردة ..
- أنت عضو فيها ؟
- اشتركت منذ بضعة أشهر عن طريق خالتي عليه ذكرى وكيلة الجمعية
- .. فقد أحسست أن لدى فراغا لابد أن أشغله .
- ألا تعملين ؟
- تزوجت بعد أن تخرجت فى الجامعة مباشرة .
- ولم يحس عبد اللطيف بارتياح عندما علم أنها متزوجة .. وداخله
- شعور بخيبة الأمل ..
- ولم يستطع أن يخفى دهشته وهو يتسائل :
- أأنت متزوجة ؟
- وضحكت شهيرة وتساءلت فى اغتباط :
- ألا أبدر كذلك ؟
- مطلقا ..
- ماذا تقول إذا عرفت أنى أم ؟
- غير معقول ؟
- لاثنتين .. ولد .. و بنت .
- أنت أم ؟
- ولم لا .
- تبدين وكأنك لم تتجاوزى السابعة عشرة .
- وضحكت شهيرة وأجابته وهى تبسط كفيها إلى أعلى :
- رينا يجبر بخاطرك .
- وعاد عبد اللطيف يتسائل وقد أطربه أسلوبها البلى فى الرد عليه :

- متى تزوجت .. ومتى أنجبت .. وما عمر ولدك ؟
 - إلى هنا وكفى .. رينا أمر بالستر .
 - لاأظنهما يزيدان على ستة وستين .
 واستغرقت شهيرة في الضحك وهي تقول :
 - يبدو أنى لا أستطيع أن أنستر .. لقد فضحنى القرد الصغير لأنه
 ذهب إلى المدرسة منذ عامين .. وراوية قد لحقت به هذا العام .
 وألقت بشعرها إلى الوراء وهي تعاود الضحك قائلة :
 - المفروض أن أدعى أنى تزوجت فى السادسة عشرة وأن محمود
 لايتجاوز الخامسة .. فأضع نفسى بذلك فى الواحدة والعشرين .. ولكن
 المصيبة أنى لم أتزوج إلابعد أن تخرجت فى الجامعة ..
 وقال عبد اللطيف وهويتأملها فى إعجاب زائد :
 - سنك لاتهم .. المهم أنك رائعة .
 وأحست شهيرة أنها قد تفالت فى تكبير سنها فاستدركت قائلة :
 - على أية حال .. مازال أمامى بضعة أعوام حتى أصل إلى الثلاثين ..
 ورد صلاحوى وهويلتقط حديثها قائلاً :
 - ولاأظنك بعد هذه الأعوام ستبلغينها . إن الثلاثين سن عسيرة البلوغ
 على السيدات .. وإنما يقفن دورتها فلا يتجاوزنها أبداً ..
 وقالت هالة مقاطعة :
 - هيا يا جماعة .. إلى العشاء .. إن الطعام موجود على المنضدة ..
 فليعرف كل منكم لنفسه مايشاء .. أنت لستم غرباء .
 ونهض عبد اللطيف وهو يقول لشهيرة :
 - استريحى أنت .. سأحضر أنا الطعام لكلينا .. هل تريدن شيئاً
 خاصاً ؟
 ووثبت شهيرة من مكانها فى خفة وهي تقول ضاحكة :
 - أهلاً معقول ؟ ..

.. ولم لا .. الرجال .. قوامون على النساء .
.. يا أستاذ عبد اللطيف . إني سيدة بيت .. لاتنس أننا فى مجتمع شرقى ..
تخدم المرأة فيه الرجل ماداما فى البيت ..
.. لست أتصورك تخدمين أحدا .. بل أتصور كل الناس فى خدمتك .
.. الله يخليك ..
.. إنى أتكلم جادا .
.. لاتدعنى أخدع فى نفسى ..
.. بل إنى أعرفك بنفسك ..
.. إنك لطيف .. ألطف مما كنت أتصور .. رغم كل إعجابى بك .
وأحس عبد اللطيف بنشوة من إطرائها له .
لقد أراحته كلماتها .. وأزالت عنه كل ما كان يشعر به من تعب
وإرهاق ..

عجب ما تستطيع أن تفعل به الكلمات الطيبة ! .
وعجب مما تفعل به الكلمات السيئة .
رغم أنها .. هذه .. أو تلك .. مجرد كلمات .
وهم بالاتجاه نحو حجرة الطعام ولكنها أمسكت به من يده وهى ترجو
قائلة :

.. أرجوك .. دعنى أمارس مهمتى الطبيعية ..
وعاد عبد اللطيف يستقر على مقعده .. وهو يحلق فى الفراغ المنبسط
أمامه .. الأشجار .. والأنوار .. والقباب .. والأفق الذى يمزج الظلمة فيه
سماؤه بأرضه .. وتختلط لمجىء السماء المرتجفة .. بذبالات الأرض
المتراقصة .

وود لو أضحى جزءا من هذا الفراغ .. ليتحرك بلا حدود .. ولا قيود
.. نسمة طليقة .. تسرى بين المسحب .. وتنساب بين الدور .. وتنطلق إلى
أمواج البحر .. حرة .. بلا قيد يشدها إلى الأرض .. وبلا عبء يشغلها عن

الانطلاق والسريان ..

ولكن .. فى الأرض أشياء جميلة .. لا يستطيع أن يمارسها .. إلا هو
فى قيد جسده .. لا بد أن يتشكل .. لكى يكون شيئاً منظوراً .. ملموساً
.. لكى يلتقى مع هذه الأشياء الجميلة المنظورة الملموسة .. لكى يتبادل
وإياها .. متعة الوجود بالنظر واللمس ..

ومن بين هذه الأشياء الجميلة .. هذه المخلوقة الرائعة .. التى تجسد
أجمل الأشياء المنظورة الملموسة .. أجمل ما يرتبط بهذه الأرض ..
وعادت شهيرة تحمل طبقين فى يدها ووضعتهما على المنضدة الصغيرة
وهى تتسائل :

— أرجو أن أكون عند حسن ظنك فى الانتقاء .

— فتنتك شغلتنى .. عما سواها .. ولم يعد لى قدرة على التمييز بين
هذا الطعام وذاك .. ولاعدت أذكر ما أحب وما لا أحب .

وابتسمت شهيرة وهى تتخذ مقعدها بجوارها :

— رويدك على .. أنا لست حملك .

— لست حملى أنا ؟

— أجل .. لا تمارس فى كل قدرتك كشاعر .. فأنا لا أحتمل .

— إنى أتحدث كإنسان .. ولست كشاعر .

— أجمل شىء قبك أنك إنسان ..

وصحنت برهة وهى تتشاغل بطبقها ثم أردفت :

— ولكن مع ذلك .. أسألك الرفق .. فإنى لم أعود كل هذا التدليل ..

— عجيب .. من الذى يدل إن لم تدلى أنت ؟ ..

وردت ضاحكة فى شىء من السخرية :

— قل لهم ..

— لاتدعبنى أتهم بالقصور .. أولئك الذين لا يعرفون قدرك .

ومس قوله من نفسها موضعاً حساساً .. وشردت برهة .. ثم نفضت

عن نفسها الشرود .. وعادت تقول ضاحكة :

— شاعر الحى لا يسليه .

وتناول عبد اللطيف شيئا من طبقه فى غيراكثر من ثم أقبل عليها فى
اهتمام أشد قائلا :

— حدثينى .

— عن ماذا ؟

— عن شاعر الحى .

— حدثنى أنت عن شاعر البلد ..

— لا أظن أن لدى ما أقول عن نفسى .. أكثر مما نشرت .. إنى ..
أحيا حياة علنية .. أعربها أولا بأول على الصفحات أمام عيون القراء .. ثم
يعد لدى شيء أخفيه ..

— حدثنى كيف تعيش حياتك فى البيت ..

— يعرف هذا أفضل منى .. عبد الراضى .

— عبد الراضى من ؟

— صديقى فى المجلة وفى البيت .. أول من يوقظنى .. وآخر من
يودعنى قبل الانطلاق إلى حياة الليل .

— وماذا يعمل ؟ ..

— كبير فراشى .. مجلة الزمان ..

وضحكت شهيرة قائلة :

— لا بد أنه مخلوق متميز .. هذا الذى يعطى بصحبته ؟

— لست أظنه متميزا فى شيء .. سوى أنه إنسان طبيعى تستطيع أن
تلمس فيه بوضوح كل خصال الإنسان الطبيعى .. بحسناته وسيئاته ..
يستمتع بحياته بقدر ما تسمح به قدرته .. ويمارس جميع النزوات التى يبيعها
له مجتمعه .. وعندما يرغب فى امرأة يتناولها .. كما يقول .. على سنة الله
ورسوله .. وقد تزوج حتى الآن ستا .. طلق منهن ثلاثا .. ويحاول الخلاص

من الباقي .

واستغرقت شهيرة فى الضحك قائلة :

— يبدو أنه إنسان عجيب .

— إن خبر ما فيه .. أنه يتعامل مع المجتمع .. بأسلوب هذا المجتمع .

— لا أظن التعامل مع مجتمعنا بالأمر السهل .

وأطلقت شهيرة تنهيدة غمت عما تختزنه فى صدرها .

وعاود عبد اللطيف التساؤل :

— لم تحدثينى عن شاعر الحى بعد .

— ماذا تريد أن تعرف .

— شيئا أكثر مما عرفت .

— وماذا عرفت ؟

— عرفت أنك متزوجة .. ولك ابن وابنة .. وأنتك ست بيت .

— وماذا أيضا ؟

— شيئا يتناقض مع كل ما قلت .

— وهو ؟

— أن لديك فراغا من الوقت .. لا تعرفين كيف تشغلينه .

— حاولت أن أشغله فى العمل فى الجمعيات .

— هل هذه أشياء تملأ الفراغ حقيقة ؟

— وكيف يمكن أن أشغله ؟

— السؤال الأهم من هذا ؟ .. كيف يمكن أن يوجد فراغ لست بيت وأم

أولاد .. وزوجة سعيدة ؟

ورفعت شهيرة حاجبيها فى دهشة وأطلقت ضحكة قصيرة من أنفها

وتساءلت :

— لماذا سعيدة ؟

— المفروض أن تكونى هكذا ؟

- وهل كل مفروض واقع بالفعل ؟
- وماذا يمنع المفروض من أن يقع لك ؟
- ولماذا يتحتم وقوعه ؟
- لأنك .. لأنك جميلة .. وذكية .
- مجرد وجهة نظر ..
- بل حقيقة واضحة .
- لا أظن الطرف الآخر .. يراها بنفس الوضوح ..
- إذا لم يرها .. يكون هو المخطئ ..
- عندما يختلف طرفان في شركة .. تصبح الشركة متعذرة .. بصرف
النظر عن أى الطرفين مخطئ ..
- وهل أصبحت الشركة متعذرة ؟
وبغير رعى قفز السؤال إلى شفتيه .. وكأنما يتمنى أن تكون الشركة
أضحت متعذرة فعلا .
وقللك إحساس بتأنيب الضمير .. وهو لا يملك إخفاء أمنية السوء التى
تحركت فى داخله .
ولكن الرد .. لم يترك فرصة لضميره لكى يمارس تأنيبه .. فقد جاء
.. أكثر حسما .. مما يتصور .
قالت شهيرة وهى تهز رأسها فى شئ من الحيرة :
- لم تصيح فقط متعذرة .. بل أضحت مستحيلة .
- كيف ؟
- إننا فى شبه انفصال .
وحاول عبد اللطيف جهده أن يكبت ذلك الإحساس بالارتياح الذى عاد
يراود نفسه .. فقد كره من نفسه أن يسعد بفشل الآخرين وشقائهم .
وزجر نفسه عن هذا الإحساس الأحمق الذى لا مبرر له . وقال فى
صوت غلبه الحزن :

.. شىء مؤسف .

وهزت شهيرة رأسها فى اعتداد قائلة :

.. عندما يصبح ارتباط اثنين سببا للتغيب عن عليهما .. فخير ما يفعلانه .. هو أن يفترقا ..

.. ولكن أليس هناك سبيل للتفاهم ؟

.. التفاهم لم يعد وسيلة للتقارب .. بل أضحت وسيلة لمزيد من الخلاف .. أو للجدل الذى لا ينتهى ..

.. والنتيجة ؟

.. وصلت إلى نقطة اليأس .. وأخذت الولد والبنت وذهبت إلى بيت أبى .. الدكتور عبد الحبير زكى .. أستاذ العلوم فى الجامعة .. لعلك تسمع عنه .

.. أبوك .. الدكتور عبد الحبير ؟

.. أجل .

.. إنه عالم كبير .. لقد علمت أن له سمعة عالمية طيبة .. وأنه دعى للمشاركة فى أحد البحوث التى أوصى بها مؤتمر العلوم الإلكترونية .

.. أجل .. لقد حضر هذا المؤتمر وطلبوا إليه فعلا المشاركة فى البحث .

.. ألم يحاول أن يتدخل فى مشكلتك ؟

.. حاول كثيرا .. نصحنى مرة .. ونصحه مرة .. وجلس معنا عدة مرات .. ولكنه مل من كثرة الخلاف وكثرة الشكاوى .. وقال لى أخيرا . ليس كل زوجين على ظهر الأرض يمكن أن يشفقا فى حياة واحدة فى بيت واحد .. مدى الحياة .. من الجائز أن يحتفل كل منهما الآخر بعض الوقت ومن الجائز أن يحتفل بعضهم البعض الآخر كل الوقت .. أما أن يتفق كل زوجين على ظهر الأرض كل الوقت .. فهذا أمر مستحيل .. فإذا كنتما قد عجزتما عن أن يحتفل كل منكما صاحبه بعد هذه المدة من الارتباط .. فكفى أنكما قد احتملتما عشرين عاما السنين التى مضت . ولن يكون أمرا عجيبا إذا

افترقتما .

— أقال لك أبوك هذا ؟

— أجل .. لأنه منذ خمسة عشر عاما .. يعيش فى شقة وحده ..

— وأمك ؟ ..

— تعيش فى شقة مقابلة فى نفس الدور فى نفس العمارة .. على

النيل فى الزمالك ولقد ظللنا نعيش معها فى الشقة المقابلة لأبى . حتى

تزوج منا من تزوج وسافر من سافر .. وبقي من بقي .

— وهو يعيش فى شقته وحده ؟

— بل يعيش مع زبيدة .

— زبيدة من ؟

— دادة عجوز سوداء .. قامت بتربيتهما ونحن صغار . وعندما بدأ

الخلاف يدب بينه وبين أمى .. قال لها ببساطة .. إنه لم يتعود أن يحتمل

رفقة إنسان أكثر من عشرة أعوام وأنه بعد أن أمضى معها خمسة عشر عاما

رأى .. بعد أن طالعت عشرينهما .. وبدأ الضيق والملل يثيران كلا منهما على

صاحبه .. أن يعيش وحده .. وحتى لا يساء تأويل فرقتهما من الناس .. قرر

أن يقطن فى الشقة المقابلة .

— وماذا قالت أمك ؟

— وماذا كانت تستطيع أن تقول .. إنه يأتى فى مواعيده ويخرج فى

مواعيده .. ولا يرتكب أى شىء يمكن أن يلام عليه .. لاشىء أكثر من أنه

يستمتع بالعيش وحده ..

وضحك عبد اللطيف قائلا :

— لقد انتهى أبوك .. إلى حيث بدأت أنا ..

— أتستمتع أنت بالعيش وحدك ؟ ..

— ليس بالضبط .. ولكنى فقط أحسست من أول الأمر .. أننى

غير قادر على حمل مسئولية الشركة .. وأنى لا أكاد أحمل مسئولية نفسى

- .. حتى أحملها مسئولية الغير .
- تعنى مجرد هروب من المسئولية .
- شيء كهذا .
- ولكنك مع ذلك .. لا تكف عن حمل مسئوليات الغير ..
- أحملها بإرادتى .. وليس بالإكراه ..
- وضحكت شهيرة قائلة :
- إذا فأنت تجدد الشركة نوعا من الإكراه .
- مع الوقت قد تصبح كذلك ..
- ولكننا نستطيع أن نتخلص منها .
- كما فعل أبوك ؟
- هذه طريقة ؟
- أو كما تفعلين أنت ؟
- وتنهدت شهيرة قائلة وهى تحاول أن تتخلص من رنة الحزن فى صوتها :
- إننى أحاول .
- أليس هناك سبيل لإعادة المياه إلى مجاريها ؟
- لا أعتقد .
- وما هو موقف أمك ؟
- فزعمت أول الأمر .. ولكنها تعودت .. وملت من كثرة ذهابى إلى بيتى وعودتى إليها .. واستراحت أخيرا إلى وجودى معها بعد أن يشتت من إصلاح الأمر .. إنها تحب الأولاد .. وأنتا لملأ عليها البيت .
- ولكن .. ما هو سبب الخلاف ؟
- ونظرت شهيرة إلى الفراغ الفسيح الذى اختلط فيه الشجر بالسماء ..
- وتناثرت فيه النجوم والمصابيح .
- وأطلقت تنهيدة ثم أردفت وكأنها تحدث نفسها :
- إنها قصة طويلة .

.. أحب أن أسمعها .

.. لماذا تفسد الليلة الجميلة .. بحديث المتاعب والأشجان ؟

.. لا أريد أن أضايقك .. ولكنى فقط تمنيت أن أعلم عنك المزيد ..
لعلنى أستطيع أن أصنع لك شيئاً .

ولقد عرف بعدها عن شهيرة كل شيء .. وصنع لها كل شيء ..
وعندما انطلقت إلى السماء ..

لم يستطع أن يبقى على الأرض لحظة بدونها بل انطلق وراءها ..
فلا شيء يمكن أن يكون له قيمة بدونها فى الأرض .. أو فى السماء .

٦- حب أفضى إلى زواج

أنهى عبد اللطيف جولة ذهنه الشارد عبر ماضيه .. وعاد يحدق من جديد فى الفضاء المنبسط وراء نافذة السفينة .. فى حقل السماء المترامى الأطراف .. بذرت فيه النجوم كأنها حبات اللؤلؤ .

رائع هذا الفضاء .. لو أنهم تركوه يفلت من هذا الكوكب ؟ .. ليسرى فيه حرا طليقا .. يسبح كما تسبح الكواكب والنجوم .

ولكنه بشر .. مازالت له احتياجات البشر .. وقدرة البشر .

قد يكون أعفى من حمل جسده .. ولكنه لم يعف بعد .. من مطالبه الملحة .. فهو ملزم أمام هذا الجسد البشرى .. بأن يقدم له الطعام والشراب .. والحب ..

وإذا كان يعاف ابتلاع الأكل من الأنابيب .. وامتنصاص الشراب بالشفاطات .. فهو مضطر لقبول ما ليس منه بد .. تحت إلحاح هذا البدن .. الذى إن خلاص من عبثه .. فهو لم يخلص من عبء مطالبه .. بأكل يقيم الأرد .. وشرب يطفىء الغلة .

أما الحب .. فهو خير ما تستطيع السفينة أن تقدمه .. يحملها الأنشوى الجميل .. يشنع فيها .. بل فى الفضاء كله .. حلاوة وبهجة .

لقد ترك الأرض سعيا وراحا ..

أمعقول بعد هذا أن يتركها فى السفينة ويسرى وحده إلى الفضاء ؟ وأحس بالحنين إليها .. وأخذ يحرك أطرافه سابحا فى الهواء .. وسرى فى خفة إلى المر وتوقف أمام قمرتها فوجدتها خالية . وواصل الحركة عابرا هجرة أبيها الدكتور عبد الحبير فلم يجد أحدا .

وامتدر يسرى حتى بلغ مقدمة السفينة وعبر الباب إلى مايسمونه
بـ « غرفة العمليات » فوجد شهيرة مع الثلاثة الآخرين حول منضدة مستطيلة.
جلس على رأسها الكابتن عبد المهيمن قائد السفينة ويجواره المهندس عبد
القادر ، وأمامه الدكتور عبد الحبير وشهيرة .

وابتسم عبد المهيمن وهو يجد عبد اللطيف مقبلا يحرك ساقيه ويديه
وحياه ببشاشة قائلا :

.. أهلا أستاذ عبد اللطيف .. أرجو ألا يكون هناك ما يزعجك .

.. مطلقا .. إنى أحس بنشاط عجيب .. أتحرك كالريشة .

وضحك عبد القادر قائلا :

.. وتستطيع أن تأكل كما تشاء .. دون أن نحس بتبيل أو وخم .

.. أكل كما أشاء ؟ .. وأين منى ما أشاء ؟

وتساءل عبد المهيمن ياسما :

.. وماذا تشاء ؟

وردت شهيرة :

.. ساندوتش فول .

وأخرج عبد الحبير قرصا من زجاجة صغيرة قائلا :

.. هذا القرص يحتوى من البروتينات ، وفيتامينات ا ، ب ، ج .. ما

يعادل طبق فول وطبق سلاطة ورطل لحم مشوية وتفاحة .

وأجاب عبد اللطيف وهو يستقر بخفة على أحد المقاعد المحيطة

بالمنضدة :

.. المسألة ليست مسألة بروتينات وفيتامينات .. ليست ملء أنسجة

ودعم خلايا وتقوية عظام وشد عضلات .. فالإنسان ليس بناء أجساد ..

يحتاج إلى مجرد مونة .. وإنما هو مجموعة مشاعر .. تهفو إلى الاستمتاع

بنعم الحياة .. ومن بينها شهى الطعام .. ولذيق الشراب .. ولو لم يكن

الطعام متعة .. لما كانت به لهفة إليه .. لو أنه مجرد أقراص بروتينات ..

وفيتامينات .. لنسى تناوله .. وهزل .. وذوى .. إنه لا يهوى الحياة .. لمجرد
الحياة .. ولكن لينعم بما فيها .. وإذا كان يكافح من أجل اللقمة . وإذا
كان يأكل ليعيش .. فهو يعيش بعد ذلك لينعم بكل مافى الوجود من نعم
.. الطعام والشراب والراحة والحب والجمال بكل صوره .. والعمل من أجل
استنباط المزيد من النعم .

ونظر إليه عبد الخبير وكأنه ينظر إلى مخلوق غريب يتحدث بكلام غير
مفهوم ثم قال له باختصار وهو يمسك القرص بين أصبعيه :

.. أتريد القرص أم لا ؟

.. هاته .. أحسن من قلته ..

وقال المهندس عبد القادر :

.. ليس هذا وقت استمتاع بالأكل ..

ورد عبد اللطيف :

.. مفهوم .. مفهوم .. أهو كلام .. مجرد كلام .

وأجاب عبد الخبير :

.. ولاهو وقت استرسال فى كلام ..

ورفع عبد اللطيف حاجبيه فى دهشة وقال فى احتجاج :

.. لاأكل .. ولاكلام .. ماذا أستطيع أن أفعل إذن .. وذلك هو كل ما

أملك فى الحياة .

وقالت شهيرة ضاحكة :

.. تكتب ..

.. أكتب ماذا ؟

.. تكتب عن كل ماثرب من تجارب .. وتراه من روائع .

.. أنا لست آلة تصوير .. إنى أختزن ما أراه . وما أحس به .. وأجتره

وقت الحاجة .. إنه يبقى فى باطنى رصيذا .. أصرفه وقتما أشاء .. وليس

كل ماترونه رائعا .. يمثل عندي بالضرورة شيئا ذا قيمة .. وقد يكون أقيم

ما ألتقطه .. لا يلتفت نظر أحدكم .. لما قد يبدو لكم من تفاهته ..
وتسأله عبد القادر قائلا :

.. وماذا يكون دورك فى الرحلة إذن ؟
.. أرقب وأفكر .

وقال عبد المهيمن فى لهجة تأكيد :
.. نحن لا نريد منك أكثر من هذا .. أنت فنان .. ولا أحد هنا يلزمك
أكثر من أن ترقب وتفكر .. وتقول ما نريد .. وقتما نريد ..
وقالت شهيرة مقاطعة :

.. لقد سجلت أنا كل شيء منذ أول لحظة .. لن يصبر على أحد .. حتى
أرقب وأفكر .. ثم أقول ما أريد وقتما أريد .. ولو كنت أفعل .. لفصلت
من التليفزيون .. ولما نشرت لى الصحافة شيئا .. إنى أريد أن أحقق سبقا
صحفيا عالميا ..

ونظر عبد الحبير إلى أحد الأجهزة ثم قال وقد بدا عليه الشرود :
.. المهم أن تجدى شيئا .. يستحق السبق .
.. لقد وجدت أشياء رائعة .
.. كل ما وجدته .. ليس فيه جديد .. المهم هو ما يمكن أن تجديه بعد
ذلك .

وقال عبد المهيمن وهو يرقب الأجهزة :
.. أجل .. المهم هو ما سنقوم به فى المرحلة التالية .. مرحلة الهبوط إلى
الكوكب .. ستكون مرحلة مثيرة .. أرجو أن تتم بنجاح .
وقالت شهيرة فى حماس :
.. سنكون أول الهابطين إلى الكوكب .. سنخلد أسماؤنا فى التاريخ ..
ككولومبس ..

وقال عبد اللطيف :
.. كولومبس .. اكتشف مجرد قارة .. نحن سنكتشف كوكبا .

وقال عبد المهيمن فى هدوء :

.. سيصبح كوكبنا .

ورد عبد اللطيف ضاحكا :

.. لم أفصح فى شراء قطعة أرض أبنى عليها بيتا فى الكرة الأرضية ..

وهنا سأملك كوكبا .. سبحان العاطى ..

ثم التفت إلى عبد القادر متسائلا :

.. هل أستطيع أن أبنى عليها فيلا صغيرة ؟

.. تستطيع أن تبنى فيه مدينة إذا شئت .. سنصبح فيه أصحاب

سيادة ..

وتساءل عبد الخبير :

.. متى ستفعلون كل هذا .. إن التعليمات تحتم أن نعود خلال

أسبوع ..

وقال عبد القادر :

.. التعليمات تمنحنا مرونة فى العمل .. إن الاتصال بيننا وبين القاعدة

مستمر .. وهم لا يريدون تقييدنا بجدول زمنى محدد .. وقد تركوا لنا حرية

اختيار وقت الهبوط ..

وقال عبد اللطيف :

.. على أية حال .. نحن مقيدون على الأقل بما لدينا من طعام .

وردت شهيرة :

.. ومن قال إننا لن نجد طعاما فى الكوكب .. ألايحتمل أن نجد طعاما

كافيا يجعلنا ندير إقامة أطول .

ونظر إليها عبد الخبير فى دهشة :

.. إقامة أطول ؟ .. أتظنيتها نزهة .. إننا مقيدون ببرنامج محدد .. إن

العالم كله يرقبنا .. أم تظنيتنا سنهرب بالسفينة إلى الكوكب كالقراصنة ..

وتعلمنا هنا دولة مستقلة .

ورد عبد اللطيف ضاحكا :

ـ والله مسألة تستحق التفكير .

ونظر عبد القادر إلى عبد المهيم نظرة متسائلة . وقال عبد المهيم في

هدوء :

ـ دعونا نهبط أولا.. ولنتحدث عن المصير بعد ذاك .

ثم ألقى نظرة سريعة على الساعة قائلا : '

ـ أوشك الوقت أن يحين .. ليذهب كل إلى موضعه .. وسأعلنكم بدء

المرحلة الثانية .. حتى يستعد كل منكم ..

وأمسك القلم المعلق في الهواء وضغط على كراسة تعوم فوق المنضدة ثم

أخذ يخط بضع كلمات .. قائلا لعبد القادر :

ـ أرسل هذه الإشارة للقاعدة ..

وسارعبد اللطيف وراء شهيرة في المر وكان عبد الراضى قد أقبل

يبحث عنه متسائلا :

ـ كنت أبحث عنك يا أستاذ .

ـ ماذا تريد ؟

ـ هل سبقى هكذا بلا عمل ؟

ـ وماذا يضايقك في ذلك .. ألسنت مستريحا في فراشك .

ـ من جهة مستريح .. مستريح .. ولكن أخشى ..

ـ ماذا تخشى ؟

ـ أخشى أن يخضم اليوم على .. وأنا راقد هكذا بلاعمل .

ـ لا تخش شيئا ..

ـ ولكن إلى متى سبقى هكذا مستريحا ؟

ـ حتى نهبط إلى الكوكب ..

ـ ثم ..

ـ نشغل .

— نشتغل ماذا ؟ .

— الله أعلم .. يتوقف الأمر على ماذا ستجد في الكواكب .. وإلام
سنمكث ..

وقالت شهيرة في حماس :

— إذا وجدنا أرضا صالحة .. وجوا معتدلا .. فلا بد أن نقضى فترة
نستكشف فيها الكوكب .

وقال عبد اللطيف :

— وهنا يصبح عليك يا عبد الراضى .. أن تزرع .. وتقلع .. وتطبخ
وتكنس .. وتفعل كل ما كنت تفعله على الأرض .

وقال عبد الراضى :

— وحدي ؟

وردت شهيرة مؤكدة :

— بالطبع لا .. سنساعدك جميعا .. بل على كل واحد أن يتولى
أمر نفسه .

— لا أقصد هذا يا ست شهيرة ..

وتسأل عبد اللطيف :

— ماذا تقصد يا غيبى ؟

— أقصد .. ألن يكون هناك حريم .. تحضر إحداهن تساعدنى فى
الخدمة .

— وتتزوجها بالطبع ؟

— ليس القرض .. ولكن ..

— اسمع يا عبد الراضى .. نحن لا نريد فضايح فى الكوكب ..

— فضائح لماذا .. ما دامت على سنة الله ورسوله ..

— وتأخذها معك إلى الأرض ؟

وفكر عبد الراضى برهة ثم قال :

.. نشوف ..

وضحكك شهيرة وهى تدخل قمرتها قائلة لعبد اللطيف :
.. لعلك تجد فى الكوكب أحدا يعجبك .

.. ليس فى قلبى متسع لأحد .. فيه من الأرض .. ما يغنيه عن كل ما
فى الكواكب والنجوم ..

ودخلت شهيرة قمرتها ووقفت برهة وراء النافذة المستديرة ترمق الفضاء
ثم استقرت على فراشها .. وأسندت ظهرها .. ومدت ساقها .. وشرذ
ذهنها يعبث فى دروب الماضى والحاضر .. ويتوآب إلى المستقبل ..
هذا الرجل الذى انطلق وراءها إلى الفضاء .. مصر على حبها فى
إلحاح شديد .

متح أن يلقى الإنسان مثل هذا الحب العجيب ..
ويغير مقابل .. فهى تتلقى منه هذا الفيض من الحب دون أن تجد فى
نفسها من مشاعر الحب ما ترد عليه به .. قد تجد فى قلبها المودة .. والعطف
.. والامتنان .. والتقدير له كفنان .. أما الحب إياه فقد بات أمره متعذرا ..
نضب الحب من نفسها .. بعد التجربة الكبيرة التى مرت بها
تجربة الزواج !!

بدأت التجربة منذ زمن بعيد .. بعيد .. وهى تقف من الدنيا على
حافة الأمانى الوردية .. والآمال المشرقة .
كانت تقبل على الحياة فى لهفة وثقة .
وكان كل ماحولها يمنحها الإحساس بالأمل ..
فى الكلية .. فى النادى .. وفى البيت .. وفى الطريق .. كانت
تشعر أنها شيء ما .. أهم من كل ماحولها .

ورغم أنها لم تكن راضية عن شكلها عندما تقف لتأمل وجهها فى
المرآة .. ورغم أنها كانت تكتشف عيوب جسدها عندما ترتدى المايوه
والبنطلون فقد كانت لا تملك إلا أن ترفع كتفها وتقلب شفتها السفلى وكأنها

تقول لنفسها :

« وماذا أفعل إذا كنت أعجبهم هكذا » .

وكان أبوها الدكتور عبد الحبير زكى الأستاذ فى كلية العلوم أول المعجبين بها . كان يقول وهو يشير إليها فى إعجاب :
- هذه البنت .. خسارة .. فى أى زوج .

وملأها الإحساس بأنها خسارة فعلا فى أى إنسان .. وهى تحس بنفسها متريعة على عرش من التميز .. يرفعه إليه كل من حولها .. وانتخبت فتاة الجامعة المثالية .. وبرزت فى كل نواحى النشاط فى كليتها .. فى الدراسة .. وفى الرياضة .. وفى فرقة تمثيل الكلية .

ورآها أحد كبار المخرجين السينمائيين وهى تقف على المسرح لتشد أغنية مصر .. وقد اتشحت بالعلم ووضعت التاج على رأسها كأنها ملكة فاندفع يعرض عليها بطولة أحد أفلامه .

واستنكرت عرضه .. وقالت فى دهشة :

- أبأ أصبح ممثلة ؟

- ستكونين بطة .

- بطة فى الأفلام المصرية ؟

ولم تتخيل نفسها .. بكل ما تملكه من قدرات .. وبكل ما يراوه نفسها من تطلع إلى المستقبل المشرق الحافل .. أنها يمكن أن تصبح مجرد ممثلة فى الأفلام المصرية .. حتى ولو كانت بطة .. حتى ولو نشرت صورها على أغلفة المجلات وغطت جدران الشوارع .
إنها ليست بهذه التفاهة .. إن أحلامها أكبر كثيرا .. والقدر يعد لها مكانة أروع .

والتقت به أول مرة فى نادى الجزيرة ..

كان يخرج من أحد ملاعب الاسكواش وقد أمسك المضرب بيمنه وربط البلوفر حول رقبته وتندى جبينه بالعرق .. واحمر وجهه .. وتساقطت خصلة

شعر على جبينه .

كان شكله سينمائيا رائعا ..

وكان المفروض أنها أعقل من أن يلفت نظرها هذه الأشكال .. فقد

كانت تترفع على أولاد النادي .. ولعبة الاسكواش والتنس .

وكانت تحس أن تعاملها لا يمكن أن يكون إلا مع الناضجين من الرجال

.. من المفكرين والتميزين من أهل الخبرة والموهبة .

وهتفت إحدى زميلاتنا في إعجاب وهي تراه يقبل في خطى سريعة :

.. مدحت ..

والتفت مدحت إليهن وابتسم .. وردت الفتيات الابتسامة في ترحاب

.. ولكن شهيرة أشاحت بوجهها متشاغلة بالنظر في اتجاه آخر.

واختفى مدحت في مبنى الحمام .. والتفت إحدى الفتيات إلى شهيرة

متسائلة :

- لماذا لم تحييه ؟

- ولماذا أحييه ؟

- إنه إنسان لطيف .

- أحتم على أن أحيى كل إنسان لطيف !

وردت أخرى في دهشة :

- إن أية فتاة تتلف على تحيته أو الحديث معه .

وأجابت شهيرة في استخفاف :

- أنا لأحب هذه الأشكال التافهة .

- ولكنه ليس تافها .. إنه مدرس في كلية الهندسة .

- هذا الولد مدرس في الجامعة ؟

- طبعاً ..

- غير معقول .. إنه لا يعدو أكثر من تلميذ .

- إنه نابغة .. لقد كان أول دفعته .. وعين معيدا في الكلية .. وهو يعد

رسالة للدكتوراه .. إنه صديق أخى إبراهيم وهو يقول عنه إنه إنسان ممتاز .
وأحست شهيرة بأنها ظلمته عندما أخذته بشكله .. وبلهفة الهبات
عليه .. وعندما عاد بعد أن ارتدى ملابس .. تمت لو أقبل عليهن ومنحها
فرصة الحديث معه .. لعلها تكفر بحسن معاملته عن سوء ظنها به .
واقترب منهن .. اقترابا عن عمد كأنما يود أن يتحدث معهن .. وكانت
نظرته موجهة إليها .. واستغل فرصة وجود الفتاة التى يعرف أخاها فاقترب
منهن وحيأها قائلا :

— أهلا نبيلة .. كيف حال إبراهيم ؟

ولم ينتظر الرد .. إذ كانت شهيرة هى هدفه الأسمى ومد يده يشد على
يدها وهو يقاطع الفتاة التى حاولت أن تعرفه بها :
— من لا يعرف شهيرة ..

وملأها الإحساس بالرضا .. وهى تجده يقبل عليها عن عمد .
وكانت بإحساس الأنثى الذكية .. تعرف أساليب الرجال المختلفة فى
الإقبال عليها .. وكانت تستمتع بها .. وتتعامل معها بالقدر اللائق بهم
وتنحى كلا منهم القدر الذى يستحقه من الاهتمام .. وأحست بأن صاحبنا
يستحق مزيدا من الاهتمام .. فهو إلى جانب شكله السينمائى الذى يجذب
المراهقات إليه .. يتمتع بالقيمة المعنوية التى يمكن أن تميز الناضجين من
الرجال ممن ليس لهم وسامة شكله ومن يغلب قدرهم الفكرى نقائصهم
الشكلية التى قد تبدو فى جسد أكرش أو رأس أصلع أو غيرهما من
السمات التى لا تشكل عنصرا جذابا فى نفوس الباحثات عن فارس
الأحلام ..

ولم يطل الحديث بينهما فى أول لقاء .. ولكن كلا منهما كان قد عزم
فى نفس الوقت على ألا يترك الآخر يفلت منه .

وبدأت قصة حب حارة .. لم يحاول أحد منهما أن يخفيها ..
وحسدا الزميلات .. واعتبرنها مخلوقة ذكية .. قادرة .. عرفت

كيف توقع أئمن ما فى النادى من صيد .
ولا تذكر هى أنها استعملت شيئا من ذكائها .. كل ما فعلته هو أنها
أحبته .
وأحبها هو ..
وكانت أياما وردية .. مشرقة .. لم تحس من قبلها .. أن الحياة يمكن
أن تكون بهذه المتعة ..
كانت قصة حبها .. أجمل من كل ما قرأته من قصص الحب .
وكما كانت دائما تحاول .. بذكائها وقدرتها .. أن تضع نفسها فى
مكان متميز عن كل ما حولها .. وأن تجعل من وضعها الذى تعيشه نموذجا
لما يمكن أن يتطلع إليه الغير .. اندفعت فى حبها لتجعل منه شيئا باهرا
مشرقا ..
عاشت حبها كأجمل ما يعيشه المحبون .
لاتنام إلا على همسة حبه يهتف بها فى التليفون « أنت حبيبتي » .
وترد عليه هامة : « وأنت حبيبى » .
وتستيقظ على رنين التليفون . وتمسك بالسماطة .. بعد أن حذرت على
من فى البيت أن يردوا عليه .. لتستمع إلى صوته يهتف بها فى حب :
« صباح الخير » .
وقبل أن تفعل أى شئ .. تغير المياه لوردته التى يمنحها إياها كل يوم
لتؤنس ليلها .. وتمس أوراقها بشفتيها .
وخلال اليوم .. وكل منهما متهمك فى مشاغله فى العمل .. كانا
يتبادلان الحديث ولو لبضع كلمات يحدث كل منهما صاحبه عما يفعل ..
ويعتجده خلال كلماته .. همسة شوق ..
وكانا يلتقيان فى كل لحظة فراغ . يحملها بهرته صباحا إلى الكلية
.. ثم يعيدها إلى البيت إذا كان لديه عمل يشغله أو يصحبها إلى النادى إذا
كان خاليا .. وتجلس لترقبه من الشرفة وهو يلعب الاسكواش .. أو تتناول

معه الشاي .. أو تصحبه إلى السينما ..
وتقدم لخطبتها ..
وجرت مناقشة قصيرة بين أفراد العائلة ..
كان هناك بضعة عرسان .. قريب غنى صاحب أطياف وعمارات ..
وأستاذ في الجامعة .. وأمير عربي .. و ..
وحاول بعض من أفراد العائلة أن يزكى بعض هؤلاء العرسان .
ولكنها لم تترك فرصة لإطالة المناقشة ..
وقالت في حزم صارم ..
- أنا التي سأزوج .. وقد قررت أن أتزوج مدحت .
وقال الأب منها المناقشة القصيرة :
- انتهينا .. على خير الله ..
ولو لم يتم الزواج ..
لو أن هناك عقبات خطيرة .. حالت دونه ..
لأصبحت قصة حبها خالدة .. كقصة جولييت .. أو ليلي ..
ولكن .. للأسف .. لم يكن هناك ما يحول دونه ..
بل إنها لم تتصور قط حينذاك .. أن قصص الحب الخالدة .. استمدت
خلودها .. من عدم إتمامها .. من أنها مجرد جزء مبتور من قصة الحياة
الطبيعية .. وإنها مرحلة من الحب انتهت بالفشل فبقيت معلقة في ذهن
التاريخ بصورتها المتوردة ونهايتها الفاشلة .. ولو كتب بها الاستكمال
والنجاح والاستطراد بطريقة طبيعية .. لحدث الزواج .. وكانت النتيجة
الحتمية .. هونفس نتيجة زواجها .
تزوجت شهيرة ..

كان حفل الزواج رائعا .. حققت به كل ما رسمته في ذهنها لصورة
الزفاف .. هيلتون . والمدعوين الكبار .. من كل نوع .. والفخامة والأبهة
.. والبهوية .. والموسيقى والرقص .. والتوراة الكبيرة .. وأضيواء ..

الكاميرات تهرق خاطفة .. وصورة الزفاف تملأ الصحف ..
وبدأت حياتها الزوجية ..

أسبوع فى مينا هاوس .. كالسياح .. ثم استقرت فى شقتها الجديدة
.. شقة نموذجية . وضعت فيها كل قدرتها فى الاقتناء وفى الانتقاء ..
واستقبلت الزوار والمهنيين تدور بهم فى أنحاء الشقة .. تتلقى آيات
الإعجاب فى اعتزاز وغبطة .

إنها دائما .. فى موضع التمييز .
قصة حبها .. كانت أروع قصص الحب .
وزواجها .. كان نموذجيا ..

وعندما استقرت فى عش الزوجية .. بدأ العش رائعا . وبدأت تركز
كل جهدها .. فى العش .. فى البيت الجديد .. الذى أضحت ربة .. فى
الأسرة التى توت أن تقيمها .

ولم يعد يهمها شيء خارج هذا النطاق ..
إنها ستعرف كيف تشيد أسرة نموذجية ..
طالما عابت على زميلاتهن اللاتى تزوجن قبلها واشتكين من أن
أزواجهن يهجرن البيت .. ويلعبون بذيولهم ..
قالت لإحدى صاحباتها التى تشكو من أن زوجها لم يعد يطبق الجلوس
فى البيت :

.. أنت مسئولة .

.. كيف ؟

.. مامن امرأة .. يمل زوجها البيت إلا وهى السبب .
.. ماذا تريد منى أن أفعل .. أنصب له سركا فى البيت ؟
.. بل تهيتين له الجو المريح .
.. فعلت والله .. هيات له كل ما يريد .. طبخت على مزاجه ..
.. الأكل ليس كل شيء .

- سجلت له أدوار أم كلثوم التى يحبها .
- ربما كان يحب الهدوء . .
- سكت فلم يعجبه .
- لا بد أن هناك خطأ تعجزين عن اكتشافه .
- وردت على صاحبها التى تشكو من أن زوجها لم يعد يحبها كما كان وأنها تشك فى أن له علاقة بأخريات :
- أنت السبب .
- لماذا ؟
- فقدت جاذبيتك .
- لست أظننى تغيرت عما كنت .
- هل تعدين نفسك فى البيت .. كأنك خارجة ؟
- وهل هذا معقول ؟
- ولم لا ؟
- لأن هناك أشياء لا بد أن أعملها فى البيت تشغلنى عن إعداد نفسى .
- إعداد نفسك لزوجك أهم من كل شىء .
- ولكنى أعد أشياء أخرى أهم . .
- مثل ..
- مثل تنظيف البيت .. والعناية بالولد .. وإعداد الطعام .. هذه كلها أشياء حيوية .. لو أهملتها .. طلقنى ..
- وهل إعداد هذه الأشياء يمنعك من إعداد نفسك دائما لاستقباله ؟
- أمعقول .. أن أنظف البيت وأنا أرتدى ثياب الخروج .. أمعقول أن أغسل ملابس الولد .. والأحمر فى شفتى والعطرى ثيابى .. أمعقول أن أطبخ وشعرى مصفوف ؟
- لم أقل هذا .. ولكنك تستطيعين دائما أن تكونى على حال مقبول جذاب .. وأن تنهى كل هذا قبل أن يحضر وتستعدى لاستقباله بشكل

جذاب .. وأن تنهى كل هذا قبل أن يحضر وتستعدي لاستقباله بشكل جذاب ..

— كلام نظري .. تقوله الجالسة على الهر .. إن عندي من متاعب البيت .. ما لا يترك لى فرصة لأن أنظر لوجهي فى المرآة .
— ومن أجل هذا فقدت جاذبيتك له . واضطرتته إلى أن يبحث عنها فى الخارج ..

— سنى ماذا تفعلين عندما تتزوجين .
— عندما أتزوج سأعرف كيف أشد زوجي إلى البيت ..
— كلام ..

— وسأعرف كيف أبقي جذاة كما كنت قبل الزواج .
— لابد أنك ستعيشين فى فندق .
— بل سأعمل بيتا غموجيا .
— بغير أولاد ؟

— بل بدستة أولاد .
— ربما .. فأنت قادرة على كل شيء .
— إن تصرف الزوج حيال زوجته .. تابع من أسلوبها فى التعامل معه .. وطريقتها فى الحياة داخل البيت .
ذلك كان إيمانها بنفسها .. وثقتها بقدرتها .. وبهذا الإيمان وتلك الثقة .. أقبلت على عش الزوجية تبنيه وعلى الأسرة الجديدة تقيمها .
فماذا كانت النتيجة ؟؟

٧ - نزيل فى فندق

بدأت شهيرة تشيد أسرتها النموذجية .
وكانت الخطوة الأولى بالطبع هى الحمل .
بغير الحمل لا تكون ولادة .. وبغير الولادة .. لا يكون أبناء .. وبغير
الأبناء .. لا تكون أسرة .
بدأ الحمل بالوحم ..
والوحم .. يصعبه قىء ..
شئ سخيف .. لا يمكن أبدا أن يكون أحد عناصر الجاذبية التى تسعى
شهيرة للاحتفاظ بها .
ثم .. شر من هذا .. سحب الوحم . نفور من أشياء زوجها ..
ولامبما الصابون الذى يستعمله .. لم تعد تطيق رائحته ..
ولم يكن الغشيان الذى يلازمها .. يمنحها من الجهد والوقت ..
ماستطيع أن تهيئه للاحتفاظ بالزوج .. بل التفكير فيه .
وسجل الزواج نفسه .. بحكم الوجود الدائم فى بيت الزوجية .. نوعا
من الارتقاء العاطفى بين الزوجين ..
ونسيت كل مظاهر الرومانسية التى تزهر أيام الحب .
بل وياتت فى مظهرها مضحكة .
الوردة التى كان يمنحها إياها كل يوم لتضعها فى الزهرة وتغير
مياها فى الصباح وتقسها بشفتيها فى وله . نسي أمرها .
لم يعد لديه من الوقت مايسمح له بالذهاب إلى محل زهور ..
لإحضارها .. ونبتت فى حياتهما احتياجات ألزم وأشد حيوية .. من

الوردة ..

سألته مرة أن يحضر زجاجة ميركوكروم لأنها جرحت .. فنسى ..
وطلبته في الثليفون ليحضر وهو قادم كيلو بسبوسة لأن أباها سيتغدى عندهم
وهو يحب البسبوسة .. فلم يتذكرها إلا وهو على باب الشقة .. ودخل
بدونها .

وإذا كان قد نسي الميركوكروم .. وأهمل البسبوسة رغم فرط الحاجة
إليها .. فهل معقول أن يذكر الوردة ..

ولم يعد لديها من الوقت ولا من اللفتة ما يدفعها إلى الحملقة في
الوردة أو التمسح بها .

لقد حاولت أن ترتب مع حائوت الزهور أن يحضر لها الزهور مرتين كل
أسبوع .. لكي تتم الصورة التي بدأت في أول الأمر رسمها لعش الزوجية .
ولكن مع مرور الوقت ومغالطة البائع في الحساب .. أنهت عملية الزهور ..
واكتفت بالزهور الصناعية البلاستيك تتم بها الديكور ..

ومن غير شك حاولت شهيرة منذ بدأ الزواج أن تمارس مسئوليتها كزوجة
قادرة فاهمة .. قبل أن تبدأ متاعب الحمل .. وقبل أن تفقد الجهد والقدرة
على ممارسة خطتها الذكية التي تجرى بها حياتها من أجل التميز
والنموجية .

وأسلوبها في تنظيم البيت .. وإعداد الطعام كان نموذجيا .. طبقت به
ل ما كان لديها من أحلام .

ومع ذلك لم تغلح في تغيير السلوك الطبيعي لمذحت .. كزوج .. إلا
كلا .. ولم تنجح في أن تجعل منه شيئا آخر غير يقية خلق الله من الأزواج
.. الذين يهجون من بيت الزوجية .. بمجرد الاستقرار فيه .. والذين يحسون
بالاجذاب لجميع نساء الأرض .. عدا زوجاتهم .

حاولت شهيرة تطبيقا لنظرياتنا أن تغير القاعدة ..

وأن تربط مذحت بالبيت وتشده إليها بجاذبية ما قبل الزواج ..

وبدا مدحت كذلك .. فقد استطاع لفترة ما أن يمارس واجبه كرجل بيت عاقل .. حياته مكرسة للعمل والبيت .. وخروجه مقصور على زيارة الأصدقاء والأقارب ومشاهدة الأفلام بصحبة زوجته .

وبعد شهرين أحس بشغل القيد .. ولم تعد شهيرة شيئا يسعى إليه .. بل يهرب منه .. وكثرت المحاضرات .. والندوات .. وبدأ رسم الخطط .. وتدبير الحجج والأعذار للزوغان من البيت .

وبكل ما تملك من ثقة في نفسها .. وإيمان برابطة الحب الذي شدها بمدحت .. لم يطف ذهنها أن زوجها يمكن أن يكون ككل الأزواج .. قد ضاق بالبيت وتاق إلى الانطلاق .. وأنها يمكن أن تكون كأي زوجة عادية .. شيئا غير مشيرولا جذاب .

.. وحدث الحمل ودخلت في مرحلة الوحم المزعجة .. وكرهت فيها كل شيء .. حتى الحب ..

وانتهت مرحلة المتاعب الأولى .. وخفت أعراض الوحم .. وأخذ بطنها في البروز .. وبدأ اهتمامها يتركز في الإعداد للوليد المقبل .. وكسبت نفسها مظهر أمومة مبكرة بإبرتي التريكو بين أصابعها تجرى في أعقابها شلة الصوف تتحول بين غرزة وأخرى إلى صديري للوليد .

وأخذت تعد نفسها لدور الأم النموذجية .. وأعرضت عن كل الأشياء التي كانت تستهويها .. وتناست كل التناهيات التي كانت تعدها للاحتفاظ بمدحت .. وجلبه إليها .

وأحس مدحت بالقيد قد أرحى .. ولم يعد يحتاج إلى جهد كبير في الانطلاق وحده ..

كان فيما مضى لا يكاد يرتدى ملابسه بعد الظهر حتى تهتف به :

.. إلى أين ؟

.. عندي محاضرة .

.. وبعد المحاضرة ؟

- عندى اجتماع .
 - أى اجتماع ؟
 - مع العميد .
 - وبعد الاجتماع ؟
 ويبحث مدحت فى ذهنه عن عذر آخر يمكنه من قضاء بقية السهرة خارج البيت ولا تتعذر عليه الحجة فيقول ببساطة :
 - هناك ندوة للاتحاد الاشتراكى .
 - أضرورى من حضورها ؟
 - طبعاً .
 - إذن نذهب بعدها إلى السينما .
 - ولكن قد تتأخر الندوة .
 - ليس مهماً .. يمكن أن نذهب بعد عرض الجريدة .
 ويهز مدحت رأسه .. لاداعى للإصرار على أبعد من هذا .. ويمكنى الزوجان حتى العاشرة .. ويقول ببساطة :
 - إذن أمر عليك بعد الندوة .
 - لا .. سأذهب معك لتوصلنى إلى بيت ماما وعندما تنتهى من الكلية مر على لتوصلنى إلى بيت تانت عليه ثم عد إلى بعد أنتهاء الندوة لنذهب إلى السينما .
 لماذا تعقدها هكذا .. لأنها ذكية .. أم مجرد عبط ؟ ..
 ويرد عليها :
 - خذى تاكسى إلى بيت عمحك فى أى وقت .. لأنى لا أعرف متى ينتهى الاجتماع .
 - أنا غير مقيدة بموعد . أى وقت تنتهى مر على .
 هكذا كانت تجرى الأمور .. قبل الحمل .. أما بعده فهو يرتدى ملابس .. وقبل أن يهيم بالخروج توجه إليه سؤالاً بسيطاً :

... متى ستعود ؟

... الساعة العاشرة .

... أحضر معك فاكهة لأنه لا يوجد عندنا شيء .

زاد الحمل عليها .. وخف الحمل عليه ..

ولم تعد شهيرة .. نجد أن أهم ما في حياتها هو إعداد البيت ليكون

مقرا مريحا لدحت .. وإعداد نفسها لتكون مخلوقة جذابة له ..

وبعدت الحياة معقدة أكثر من هذا .

الصورة المبسطة التي رسمتها أيام الحب الوردية لعلاقة الرجل بالمرأة ..

لم تعد بسيطة كما كانت ..

لم تعد دعائمتها الأساسية .. مجرد رجل وسيم .. يقدم وردة ..

ويهمس بكلمات الحب .

فالرجل الرسيم .. لا تعود لوسامته الثقل المرجع بعد الزواج .

والزوج .. وسيما .. أو غير وسيم لا يقدم الورد .. ولا يهمس بكلمات

الحب .

والمرأة بعد أن تصبح زوجة لا تقتصر حاجاتها على مجرد الورد

وهمسات الحب .. بل هي تحتاج إلى النقود التي تدبر بها أمر البيت

والمعاملة الإنسانية التي تشعرها بكرامتها وعزتها .

لقد وجدت شهيرة نفسها تواجه من المتاعب العادية .. ما يشغلها عن

التفكير في تهيئة الجو المريح لدحت .. وإعداد الجاذبية له .

سنة الشغالة تقبل عليها ذات يوم لتقول بهنشاطة وهي تمسك بصرة

وضعت فيها ملابسها :

... أنا خارجة يا ست .

... إلى أين ؟

... مسافرة .

... لماذا ؟

.. سأتزوج .

.. ولكن ألم تعدى بالبقاء حتى أضع لتساعديني فى الشهور الأولى ؟

.. أمى أرسلت إلى أن العريس مستعجل .

وأضحى سفر منية للزواج مشكلة يمكن أن تشغلها عن أى شىء آخر..

وحضر مدحت فوجدها متجهمة وظن أن شيئاً بلغها عنه ضايقها فأقبل

عليها يسألها فى حذر :

.. ماذا بك ؟

.. أبدا .

.. ولكنى أراك عابسة .

.. البنت خرجت .

.. لماذا ؟

.. ستتزوج .

.. نحضر غيرها .

.. من أين ؟

.. سأوصى أمى لتحضر لنا غيرها .

.. لقد كانت نظيفة وأمينة .. وكنت أعدها لتربية الطفل .

.. ياستى .. عندما ينزل يحملها رينا .

.. لا بد أن تستعد من الآن .. لا بد من واحدة مضمونة .

.. لا تحملى هما ..

ولكنها لم تستطع إلا أن تحمل الهم .. لأنه نسى كل شىء عن

الخدمة بعد ذلك .. وكان عليها أن تهيب له الطعام .. وتعد له البيت

وحدها .. بحملها الذى يثقل كاهلها وينقض ظهرها .

مشاكل كثيرة .. تبدو تافهة .. ولكنها كانت تشير أعصابها ..

انسداد البالوعة .. تلف الحنفية .. قطع الكهرباء .. عطل التليفون .. وكان

أكثرها يثيرها .. أن عليها أن تتحمل عبثها وحدها .

لقد اكتشفت أن مدحت .. لا يعتبر نفسه مسئولاً عن شيء من هذا .
كان يتصرف كأنه نزيل في فندق .. وأنه يدفع الحساب .. شاملاً
الخدمة .. وأن شخصاً ما .. للأسف كانت شهيرة .. عليه أن يتحمل كل
مسئولية خدمته ..

واكتشفت أيضاً .. أنه عصبى .. وأن وراء كلماته الرقيقة وهمساته
الذائبة التي اتسم بها أسلوبه خلال قصة الغرام الناجحة التي أفضت إلى
الزواج .. ألفاظ خشنة وصرخات حادة .. عندما يكتشف أن هناك بعض
التقصير في تأدية خدماته .. أو إطاعة أوامره .

تنتقل صبيحة من حنجرتي :

.. أين القميص اللينى ؟

.. عندك فى الدرج .

.. لا يوجد .

.. لابد أنه عند المكوجى .

.. لقد خلعته منذ أسبوع .

.. جاتز .

.. جاتز يعنى إيه ؟

.. يعنى مكث فى الغسيل ثلاثة أيام . ويقى عند المكوجى أربعة .

ويصيح فى غضب :

.. إهمال ..

وتعرد صيحته إلى الانطلاق :

.. زرار القميص مقطوع .

.. البس غيره .

.. أريد أن ألبسه .

.. هاته حتى أخيطه لك .

.. ألم أطلب إليك من قبل أن تغيظيه ؟

.. نسيت .

.. وماذا أفعل لك حتى تتذكرى ؟ .. الحياة أصبحت لا تطاق .

وحاولت جهدا أن تتقن غضباته .. القمصان جاهزة .. والأزوار فى محلها .. والطعام الذى يريده دائما مغد .. ومع ذلك لم يكن يخلو الأمر باستمرار .. من أخطاء مفاجئة .. تشير ..

وبذكائها .. عودت نفسها الاحتمال .. فقد كانت تعرف أنه يعود متعبا من العمل .. وأن عليها أن تريحه .. وتحتمله .
ولكنه لم يحارل .. أن يرد إليها المعاملة الطيبة .. ولأن يقوم بجزء من مسئولياته .

كان رجلا مدللا ..

ربما دللوه فى تربيته ..

وربما ملأه إعجاب الفتيات به فى النادي وفى الكلية غرورا فتدلل .
المهم أنه كان يضع نفسه دائما موضع المخدم .. دون أن يرد الخدمة لحادمه .
وكانت هى دائما الخادم .

يعطل التليفون .. وتكتشف أنه لم يدفع الاشتراك .

وتسأله لماذا لم يدفع ؟

.. ليس لى وقت .

.. من يدفع إذن ؟

.. ادفعيه أنت .

وهكذا وجدت نفسها أن عليها أن تذهب لتدفع اشتراك التليفون ..
وأن تقوم بكل مسئوليات البيت .. حتى تلك التى كانت تعرف منذ صغرها .. أنها تدخل فى اختصاص الرجل .

ووضعت طفلها الأول .. ولم تكن الولادة سهلة ولكنها كانت .. كما قالوا لها .. أسرع الآلام زوالا من الذاكرة ..
أضاعت آلامها .. صبيحة الوليد وهم يحملونه إليها قائلين لها :

.. مبروك .. ولد .
وسألت بصوت ضعيف :
.. حقيتى ؟
.. والله العظيم .
.. أنتم تضحكون على .
.. سنريك حتى تصدقنى .
وكشفوا عن الصبى فعلت وجهها ابتسامة مشرقة وقالت :
.. سأسميه محمودا .
وقال مدحت ضاحكا :
.. سميه إن شئت عتريس ..
ولم تكن الشهور التالية .. بالوقت المريع ..
وكان المفروض أن تتحملها فى صبر ..
ولقد تحملتها فعلا .. كآى أم ..
ولكن الشيء الذى حز فى نفسها .. هو ضيق مدحت بها وبالطفل .
لم تحاول بالطبع أن تشركه فى سهرها بالطفل .. وكانت تغلق الحجرة
عليها لكيلا يصل إليه صياحه بالليل . ولكنه لم يكن يخفى تيرمه بالضجيج
.. وإعلانه فى كل وقت أن الحياة لم تعد تطاق وأن الزواج حماقة .. والخلف
غلطة ..
كانت راحته فوق كل شيء ..
ولم تحاول هى أن تضايقه فى خروجه .. ولم تقصر فى خدمته .. ولكنه
لم يكف أبدا عن الشكوى والتبرم .
وسألت نفسها كثيرا وهى تأوى إلى الفراش منهكة القوى .. ترى هل
أخطأت فى اختيار شريك حياتها ..
ولكنها أحبه ..
ومن كان يمكن أن يحب خيرا منه بشكله وأدبه وتصرفه ورقته . كيف

كان يمكن أن تكتشف أنه إنسان مدلل ..
ولكن حتى لو أنه مجرد إنسان مدلل .. فلن يكون بالنسبة إليها
مشكلة .

فهي قد دلتته .. وهي مستعدة لداومة تدليله .. وهي مقتنعة تماما بأن
من واجب كل إنسان أن يدلل الأقربين إليه . وليس هناك أقرب من الزوج ولا
أولى منه بتدليل الزوجة .

ولكن المشكلة ليست في أنه إنسان مدلل .. بل في أنه يريد أن يأخذ
ولا يعطى .. يدلل .. ولا يرد التدليل ..

مشكلته الحقيقية في أنه يعتبر نفسه مخدوما .

وأنه يدفع ثمن خدمته .. نقدا ..

فهو يعطيها مصروف البيت .. ويأخذ بدله .. خدمة .. من كل نوع ..

بما فيها التدليل ..

وهو يطلب منها .. ما لا يحتمه على نفسه .

تنوى أمه زيارتهما .. فيقول لها :

.. حضري أكل .

.. عندنا في الشلاجة فرخة .. واللحمة الباقية من أمس .

.. لا ابعتى اشترى حمام .. واعملى سمك مايونيز ..

.. ولكنى متعبة .. والخادمة عندها إجازة .. ومحمود يحتاج دائما إلى

أحد يرعاه .

ويصيح غاضبا :

.. عندما تأتى على أمى .. تعقدينها .. أتريدنى أن أدخلها للقضاء فى

الخارج ؟

.. أمك ليست غريبة ..

.. معنى ذلك .. ألا نطعمها .

.. أبدا .. ولكنها تأكل مما نأكل منه .

- لأنك لا تهتمين بها .
وتهز رأسها فى يأس وتقول :
- سأطبخ ما تريد .. لا داعى لكل هذا .
ورغم كل ماتسوقه إليها أمه من كلام مسموم منذ أن تدخل قائلة :
- البيت ماله .. يضرب يقلب !!
ثم ترفع الولد فى يدها قائلة :
- عيني عليك .. مخطوف ودبلان .
وترفض شهيرة الرد عليها حتى تتجنب الخطأ .. ولكنها لا تلبث حتى
تسألها :

- لماذا لا تكلميننى .. مخصصانى ؟
- أبدا يا تانت .. تعبانة ..
- دائما تعبانة ..
وتقصر شهيرة الشر وتذهب إلى المطبخ .. وتعد كل ما طلب مدحت ..
وعند الغداء .. لا تسمع كلمة حمد .
وعندما تحضر أمها للبيت .. لا يستطيع أن يخفى ضيقه . وعندما
تسأله أن يحضر عند عودته دسنة جاتوه من جروبي يقوله فى اقتضاب :
- جروبي ليس فى طريقي .
وتكره شهيرة أن تشير خلافا قد يصل إلى مسامع أمها فتقول
ببساطة :

- إذن سأزول أنا لأشتره .
وبعد الغداء تسأله وهو يهم بالنزول :
- ألا تنتظر قليلا . حتى توصل ماما ؟
وفى ضيق يقول :
- ليس لدى وقت .
- اجلس ولو لحظة .. على الأقل من باب المجاملة ..

.. لقد زهقت من المجاملة .
وتسأله أن يذهب بها ومحمود إلى النادي .. لتجلس به فى فنا ،
الأطفال ولكنه يرد فى عجلة :
.. لدى محاضرة .. ولا بد أن أنزل .
وتطلب تاكسى وتأخذ الطفل بعريته الصغيرة إلى النادي وتجلس بجواره
.. محيطة نفسها بهالة من الأمومة النموذجية ..
ويدور الحوار بين أعضاء النادي وهم يرون بها من بعيد :
.. أليست هذه شهيرة ؟
.. أجل .
.. لقد تغيرت كثيرا .. يبدو عليها الإهمال والكبر .
.. حمل وولادة .. وقرف
.. كانت لها شنة ورتة .
.. من كان يصدق أنها ستنتطوى هذا الانتطواء .
.. لعلها سعيدة بحياتها .
.. لا أظن .
.. لماذا ؟
.. زوجها مدحت مقطع السمكة وذيلها .
وحملت شهيرة مرة أخرى .
هذه المرة .. لم تقصد الحمل ..
كانت غلطة .. وساورت نفسها الرغبة فى إنزاله ..
إنها ليست على استعداد لكى تمر بالتجربة مرة أخرى .
لم تكن تجربة سهلة .
إنها سعيدة بمن أنجبت .. فالقرد الصغير كما كانت تسميه يملأ حياتها
بهجة .. بابتسامته الحلوة .. وكلماته المضحكة .. وهو يميزها .. ويعبها ..
ويرفع ذراعيه إليها لتحمله كلما رآها ..

إنها سعيدة به .. ولكنها ليست على استعداد لأن تكرر التجربة ..
إنها سعيدة به لذاته ..

ولكن ليس لأنه جزء من أسرة كانت تخطط لتشيلها .. لأن عماد
الأسرة نفسه .. ناشز .. يرفض الانطواء فى هيكلها .
لم يحقق مدحت حلمها . الذى كان تتوق إلى تحقيقه .. كانت تحاول
أن تشيد أسرة نموذجية .. وكانت تستعد لأن تقوم فيها بدور الأم النموذجية
.. وكانت على استعداد للتضحية بكل شيء من أجل هذه الأسرة .. التى
ستضرب بها للعالم مثلاً يحتذى به .

ولقد حاولت بكل ما تملك من جهد وقدره ..
كانت تريد أن تتحدى بها الفاشلات من زميلاتها .. اللاتى كن
يشكون من هيجان الأزواج .. وفراغة عيونهم .. وكانت تريد أن تثبت كما
كانت تقول دائما .. أن خطأ الزوج دائما .. نابع من سوء تصرف الزوجة ..
ومن أجل هذا أحسنت التصرف .. واحتملت كل مشقة .. متحذية كل
صعب .

ولكن خططها يامت بالفشل .. ووجدت نفسها .. ككل زوجة تنطوى
فى متاعب الحياة الزوجية .. وتفرق فى المرحلة المعقدة .. من مراحل
العلاقة بين المرأة والرجل .. التى تلى مرحلة الأمانى والأحلام .. والتى
تحتاج لحل عقدها إلى الفهم الذكى المتبادل .. والحمل المشترك الشجاع
لمسئولية الحياة .

ومن أجل هذا حاولت أن تنزل حملها الثانى فى بدايته .
ولكن أمها جزعت .. ونهاها أبوها فى حزم قائلا :
.. لماذا ؟ ..

.. يكفى ما عندنا .

.. عندكم واحد ..

.. إن تربيتهم متعبة .

.. كأن عندك دسنة .

وكان موقف مدحت حياديا .. كأن الأمر لا يعنيه .. قال لها كما
كان يقول دائما :

.. تصرفى .. افعلى ما يحلو لك .. أنت لست صغيرة .

ولقد ضاقت بقوله حتى لقد خيل إليها أنها لو قالت له إنى أريد أن
أأخذ عشيقا لقال لها :

.. افعلى ما يحلو لك .. أنت لست صغيرة .

ولم تكن فترة الوحم . بنفس المشقة السابقة .

وكانت الولادة أسهل كثيرا .

ووضعت راوية .

هذه المرة لم تكن حريصة على أن تلد ولدا .. ففى المرة الأولى كانت
تخشى من لوم أهل زوجها .. وكانت تحرص على الاستجابة لرغبة مدحت فى
أن تحضر له ولى عهد .. وكانت هى نفسها تتمنى ولدا .

ولكن هذه المرة .. لم يكن إرضاء أهل زوجها .. بالمسألة التى تحرص
عليها .. ولم يكن مدحت يهتم الأمر فى قليل أو كثير .. أما هى فقد
أنجبت الولد الذى تريده .

وفرحت براوية .. وأحست بالراحة .. لأنها ستكون خاتمة حملها فقد
علمتها التجربة أن اللواتى ينجبن أولادا يواصلن الحمل حتى ينجبن البنت
واللواتى ينجبن البنت يواصلن الحمل حتى يريحهن الله بالولد .
وما دامت قد أنجبت الولد والبنت .. فقد أدت مهمتها .

ولم يكن الفارق بين الاثنين كبيرا .. كان عامين وبضعة شهور ولم تكن
المهمة سهلة .. فقد كان محمود مازال يحتاج إلى رعاية مستمرة وكانت
الشغالات تسبب لها مشكلة كبرى .. واحدة مهسلة .. والأخرى سارقة ..
والثالثة تشاغل الباعة والبواب . والرابعة طيبة وبنت حلال .. ولكنها على
وشك الزواج ..

ومدحت .. فى واد آخر..

يطالب بكل حقوقه .. ويتنصل عن كل مسؤولياته ..

حتى الطبيب عليها أن تحضره للأولاد إذا مرض أحدهم ..

وزاد غيابه عن البيت بعد أن عين مديرا لأحد المصانع .. ويات عليه

أن يسافر بين آونة وأخرى .

وانهمكت شهيرة فى تربية الولد والبنت .. متحملة كل ما يصاحب

تربيتهما من آلام وسعادة .. تخوض التجربة بكل ماملك من جهد .. وأمانة

وإخلاص ..

وإذا كانت قد فشلت فى أن تقيم الأسرة النموذجية .

فهى على الأقل حققت أحد شطريها .. بنفسها .. وبأولادها . وهى

على أية حال لا تستطيع إلا أن تقبل مدحت على علاته .. ومن من الرجال

بلا علات ؟ .. وهو على أية حال .. خير من غيره .. فهو ليس مقامرا .. وهو

ليس سكيراً .. وهو لم يقصر قط فى التزاماته المادية نحوها . وإذا كان قد

كف عن واجباته الرومانسية .. فهى قد اقتنعت بأن هذه الواجبات سابقة

للزواج .. وليس لها القدرة على اللحاق به . والإنبات فى أرضه الصلبة ..

وإذا كان يتسم بالأنانية فالأنانية شيمة الإنسان .. وليس عليها إلا أن

تحتمل حياتها كما هى .. مادام يؤدى واجباته نحوها ومادام مشغولا بعمله

.. ومادام لا يفعل مايمس كرامتها كزوجة .

ولكن .. حتى هذا الإحساس بالاستكانة .. أخذ يتبدد .. عندما

أحسّت أن كرامتها بدأت تخرج ..

وبدا الأمر فى يوم جمعة وهو يرتدى ملابس خفيفة ويهم بالخروج

فتساءلت :

.. إلى أين ؟

.. عندي شغل .

.. يوم الجمعة ؟

- ولم لا .
 - أى شغل هذا ؟
 - فى المصنع .
 - المصنع مغلق .
 - عندى عمل لابد أن أؤديه .
 - إلى متى ؟
 - لأعرف .
 - ألن تخرجنا اليوم ؟
 - إلى أين ؟
 - أى مكان لمجلس فيه مع الأولاد .. ألم يوحشوك ؟
 - قلت لك عندى عمل .
 - ألاستطيع أن تؤجله ؟
 - وهل حيكث الفسحة اليوم ؟
 - أنت لاتخلو غير يوم الجمعة .
 - سأخرجكم الجمعة القادمة .
 - إذا سأذهب بالأولاد إلى ماما ..
 - وستغدى هناك .
 - وكهادتها أنهت المشادة .
 - وبعد أن خرج .. أحضرت تاكسى وذهبت بالأولاد والذادة إلى النادى .
 - وجلست مع الأولاد فى القناء المخصص لهم .. ولكن محمود إتطلق
 - يحدو إلى الخارج .. ووثبت شهيرة وراءه صائحة خوفا من أن يذهب فى طريق
 - العريبات .
 - وأمسكت به وهو يوشك أن يخطو إلى الطريق . وقبل أن تعود به
 - لمحت مدحت يخرج من ملعب الاسكواش ويجواره فتاة شقراء ترتدى
 - « شورت » .

ولم تملك أن توقف قلبها من أن يدق بعنف ..
أهذا هو العمل الملح في المصنع ؟
يرفض الخروج بالأولاد .. لكي يلعب « اسكواش » .
ولو أنه مجرد لعب .. لاحتملت .. فهي غلظة أنانية بما تعودتها منه .
ولكن أن يلعب مع فتاة .. ويخرج وإياها بهذا المنظر في وسط النادي ..
.. فهو أمر يتعدى الأنانية .. إلى العدوان وجرح الكرامة .
إنها تقبل أن تنطوي في البيت لكي تكون أما نموذجية .
ولكن ليس لكي تصبح زوجة مخدوعة .. مهانة أمام كل الناس .
وقبل أن يراها انسحبت بولديها إلى ساحة الأطفال ..
لقد كانت تكره مشاهد الغيرة .
وتكره أكثر أن تقف فيها .. موقف المعتدى عليها ..

٨ - رغبة فى التحدى

عاد مدحت إلى البيت ليلقى أول صدام عنيف بينه وبين شهيرة .
سألته عندما دخل :

- أذهبت إلى المصنع ؟

- أجل .

- فقط ؟

وأدرك مدحت أنها لابد أن تكون قد عرفت شيئا .. ربما من إحدى
صاحبات اللواتى ينتشرن فى النادى فأردف قائلا ليغضى موقفه :

- ذهبت بعد ذلك إلى النادى .

- لماذا ؟

- لعبت اسكواش .

- مع من ؟

- مع الممرن .

- فقط ؟

ومرة أخرى أدرك أن هناك وشاية .

- ومع فتاة ألمانية .

وانفجرت شهيرة صارخة فى وجهه :

- إنى أستطيع احتمال كل سيئاتك .. وأناثيتك ..

وقاطعها فى حدة :

- أى سيئات ؟

- إنك لا تريد أن تحمل أية مسئولية من مسئوليات البيت .. إنك

تعيش كسيد متفطرس .. مفروض على كل من فى البيت أن يخدموك ..
ويتحملوا متاعبك .

— إنى لا أجد شيئا مريحاً فى البيت .

— إنك لاتستقر فى البيت إلا لتأكل وتنام .. وتقل أدبك على من فيه .
ومع ذلك .. احتملتك .. وصدقت أنك تقضى كل وقتك فى العمل وتعود
مرهقا ..

— أليس من حقى أن أذهب إلى النادى لألعب .. هل تستكثرين على
هنيهات أريح فيها ذهنى .. أية حياة هذه ؟ ..
وصرخت فيه مقاطعة :

— كفى كذبا وادعاء .. لاتقلب الآية فتجعلنى مذنبه كعادتك .. إنى لم
أضق أبدا بذهابك للنادى .. ولكن أن تتركنا وحدنا يوم الجمعة وتذهب لتسير
مع فتاة فى النادى أمام الناس .

— إنها ابنة الخبير الألمانى .. وقد طلبت منى أن ألعب معها .. كيف
أرفض ؟ ..

وصمت لحظة ثم عاد يصيح فى غضب :

— هذا أمر غير معقول .. إنى لأقبل الحجر على حريتى ..

— حريتك فى مصاحبة البنات فى النادى .. وأنت زوج وأب .. إنى لم
أكن أصدق ما يقال من شائعات ..

— شائعات !؟

— أجل .. لقد قالوا لى إنهم رأوك بضع مرات مع فتيات فى عريتك .

— وماذا فى ذلك .. ربما كنت أوصل أحدا من أخواتك أو أخواتى .

وأطلقت شهيرة زفرة يأس قائلة :

— لقد قلت لهم هذا . ولكنى الآن أشعرأنى كنت بلها .. إن الحياة

لايمكن أن تستمر على هذا المنوال ..

— وماذا تريدین ؟

.. لا أريد منك أكثر من أن تقوم بواجباتك كزوج وأب ..

.. وما الذى قصرت فيه حيالك أو حيال الأولاد ؟

.. إنك لا تستقر فى البيت لحظة .. وقد قر بضعة أيام .. دون أن يراك أولادك .. تخرج قبل أن يستيقظوا وتعود بعد أن يناموا .. ولقد حملتني مسئولية كل شيء .. إنك لا تكلف نفسك مشقة الانتظار حتى يأتى الطبيب عندما يمرض أحدهما .. إن أحدا لا يشعر أن بالبيت رجلا .. إنى أفعل كل شيء .. لقد أرهقت .

.. هل تريدنى أن أبقى فى البيت لأطبخ وأغسل ؟ ..

.. إنك تعرف جيدا ما أريد منك .. فلا تكابر ولا تخادع .. إننى احتملت منك كل هذا الإهمال .. بدعوى أنك مرهق فى العمل .. ولكن .. أن تتركنا لتذهب للعب مع البنات .. فإن هذا أمر لا يحتمل .. إن هذا أمر مهين لكرامة أية زوجة .. وأؤكد لك أنى لا يمكن أن أحتمل هذا ..

.. هل تريدنى ألا أذهب إلى النادي ؟

.. تذهب عندما تفرغ من واجباتك نحونا .. أو تذهب فى صحبتنا ..

.. إذن فأنا لا أستطيع أن أذهب إلى النادي وحدى ؟

.. أجل ..

.. أهذا معقول ؟

.. ولم لا .. هل تقبل أنت أن أذهب إلى النادي وأجلس مع رجل آخر ؟

ونظر إليها مدحت نظرة استخفاف وتساءل قائلا :

.. وهل تستطيعين ؟

.. وماذا يمنعنى ؟

وهز مدحت رأسه وقال محاولا إنهاء المناقشة :

.. افعلنى ما تشائين .

.. تقول هذا لأنك واثق أنى لن أفعله .

.. ربما .

.. ولكننى عندما أبأس منك قد أفعله

.. لا أشك قد بت تصلحين له .

.. أنتظن هنا ؟

.. بكفبك البيت والمطبخ والأولاد ..

وأحست شهيرة بشعور مذل لكهربائها .. وساءها أن تنبع ثقة زوجها ..

من يقينه بفقدانها القدرة على الإغراء ..

وانتهت الزوينة بينهما .. وقد رسب هذا الشعور فى أعماقها .. مذلا

.. جارحا ..

انتهى بك الأمر بالشهيرة .. إلى أن تصبحى مجرد زوجة وأم .. أو

مديرة بيت .. ومربية أولاد ..

انتهى إحساس الرجل بك .. كأنثى ..

وبات مدحت واثقا من عجزك .. عن إيقاظ شكوكه .. أو إثارة

غيفرته ..

أحقا أصبحت كذلك ؟

ربما ..

فلقد مضت عليك سنون .. وأنت قابعة . فى قوقعتك المنزلية ..

وعندما تتركين القوقعة .. تغادرينها فى موكب .. من الأمومة .. يسبقك

محسود .. يتوائب .. أمامك معلنا عن قدوم الموكب .. وتنبعك حميدة الدادة

.. تحمل راوية .. كحرس المؤخرة .

ولم يساورك قط إحساس بالتواضع ..

على التقيض .. كنت فخورة بنفسك وموكبك .. بهذا القرد الجميل

يتوائب أمامك .. ملؤه النشاط والصحة .. وتلك البطة الصغيرة .. المتوردة

الوجنتين ..

كنت تشعرين أنك أنجبت أشياء جميلة .. تستحق الفخر .. ولم يكن

يعوزك الإحساس بالثقة ، والشعور بأنك مازلت كما كنت دائما .. مخلوقة

رائعة ..

ولم تتخيلي قط أنك قد فقدت قدرتك كأنتى .. كل ما كان يساورك .. هو أنك لم تعودى فى حاجة إلى ممارستها .. فالإنسان الذى يهلك أن تمارسيها معه .. لم يعد يبدو فى حاجة إليها .. بكل مظهر لك من استغرافه فى عمله .. وانهماكه فى محيط بدا أبعد ما يكون عن جو الإغراء .. والآثورة .. محيط العمل ومشاكله وتطلعاته .. ومنغصاته .

حتى فوجئت مرة واحد .. بأن مدحت . لم يتوقف عن تطلعاته كرجل .. إلا بالنسبة لها .. لأنها ببساطة قد فقدت - فى نظره - قدرتها على أن تكون أنتى ..

ولم تكن تلك هى المرة الوحيدة التى يداخلها هذا الشعور .
لقد استمرت الأحداث تؤكد لها ..

حاولت هى بغير إرادة أن تستعيد لنفسها وجودها الأنثوى .. أبدلت حامل الصدر بآخر مبطن .. بعد أن أحست بانكماش صدرها بمرور السنين وفقد التضاراة .. وغيّرت المشد بأخر أقوى .. لتخفى بروز بطنها وزوائد فخذيها .. وبدأت تلاحق مودات الشعر والثياب باهتمام أكثر .

و ذات مرة وهى ترتدى ثيابها استعدادا للذهاب إلى السينما مع مدحت قال يستعجلها فى ضجر :

- ياللا يا شهيرة الفيلم ابتدا .

وردت وهى تحاول أن تشد سوستة المشد :

- دقيقة واحدة ..

واستمرت تحاول جذب السوستة .. ولكنها انفلتت فجأة وفتح المشد ..

وصرخت شهيرة فى يأس :

- غير معقول !!

وأقبل مدحت يتسائل فى ضيق :

- ما هو هذا غير المعقول ؟

.. هذه السورست التى نصنعها هنا .. لانكاد نشدها حتى تتفلت .
وزفر مدحت قائلا :
.. وبعدين ؟
.. لا بد أن أغير الثوب ..
.. لماذا كل هذا .. كأنك ذاهبة إلى عرس !
.. إن الثوب الأزرق ..
وقاطعها فى قرف قائلا :
.. الأزرق .. الأحمر .. ارتدى أى شىء .. من الذى سينظر إليك ؟
وازدردت شهيرة ريقها وهى تحس أنه قسوف بكسوف من المراة فى
حلقها ..
أحقا .. لم يعد هناك من ينظر إليها ؟
لماذا هو واثق كل هذه الثقة ؟
والتفتت إليه متسائلة :
.. أحقا لم أعد ألفت النظر ؟
.. وهل تريد أن تلقى النظر ؟
.. ما من امرأة إلا ومحبة أن تلقى النظر .
وقال وهو يغادر الحجرة :
.. هذه مسألة قديمة .. فات أوانها ..
أحقا فات أوانك يا شهيرة ؟
مرير .. أليم .. أن يكون الأوان قد فات حقا ..
بل هو أمر غير معقول .. هذه السنوات القلائل .. لا يمكن أن تفقدك
مواهبك الأصيلة فى التميز .
إن وجودك كأم .. لا يمكن أن يلقى وجودك كأنثى .. فأنت أنثى قبل
أن تكونى أما .. ولن يحجب تميزك كأم .. التميز الذى كنت تتمتعين به
دائما كأنثى .

ولم تستطع شهيرة أن تمنع نفسها من بضع محاولات اختبار .. لقدرتها
على الجذب .. فى نطاق معقول .. ومحيط ضيق ..
فى إحدى حفلات الاستقبال التى تعودت أن تعتذر عنها لأنها
مشغولة بالبيت والأولاد .. وتعود مدحت أن يذهب إليها وحده سألت مدحت
وهو بهم بالخروج قبل المساء :

— إلى أين ؟

— إلى استقبال فى السفارة الفرنسية ..

— أهى دعوة مفردة ؟ .

وأخرج مدحت البطاقة من جيبه ثم قال ببساطة :

— بل مزدوجة .

— إذن لماذا تذهب وحدك ؟

ورفع مدحت حاجبيه فى دهشة متسائلا :

— ومنذ متى كنت تذهبن إلى حفلات الاستقبال ؟

— أيضا يترك ذهابى ؟

— مطلقا .. ولكنك فقط عودتنى دائما على الرفض معتذرة بالأولاد ..

— نصحب الأولاد إلى ماما .. ثم نأخذهم بعد عودتنا

وأجاب مستسلما :

— أمرك .. ولكن لاتتأخرى فى اللبس .

— ما هو موعد الاستقبال ؟

— من الساعة السابعة .. إلى التاسعة .

— سأرتدى ملابسى بسرعة .

وكانت فرصة لارتداء ثوبها الجديد .. وكان شعرها مصففا .. وأعدت

زينتها بعناية .. ونظرت إلى نفسها فى رضاء ثم خرجت إليه فى خطى

خفيفة .. ورأس مرفوع .. وملء نفسها إحساس بكبرياء ما قبل الزواج

ونادت الخادمة قائلة :

— أعددت الأولاد يا حميدة ؟

ثم نظرت إلى مدحت قائلة :

— أنا جاهزة ..

ونظر إليها مدحت .. ولم يرتج إلى منظرها .. الجذاب .. ولكن لم
يستطع أن يقول شيئا ..

وفى الاستقبال .. ملأها إحساس بأن أوانها لم يفت .. وهى تجد
نفسها موضع الإقبال والاهتمام .

أقبل عليها الكثير ممن تعرف ولا تعرف من الصحفيين ورجال السلك
الدبلوماسى وأحست بشعور الأنثى .. إن نظرات الرجال تعبر الاكتاف وتصل
إلى عينيها .. وردت الإيماة بالإيماة والابتسامة بالابتسامة . ولازمها
البعض من وقت أن وصلت حتى دخلت .

وكان أكثرهم التقاصا بها .. الأستاذ فتوح صاحب مجلة الزمان .
أقبل عليها متهللا يقول فى ترحاب :

— أهلا شهيرة هانم ..

وأطربها أن يعرفها وردت عليه مرحبة :

— أهلا وسهلا .

— ما هذا الاختفاء .. غير معقول أن يختفى هذا الوجه الجذاب طوال
هذه المدة .. أين تعملين ؟

وأجابت شهيرة مفتبطة :

— فى البيت ..

— تعملين ماذا فى البيت ؟

— زوجة .. وربة أسرة .

— غير معقول .. أنت يخلق عليك جدران بيت .. أيا كان هذا البيت ..

— لماذا ؟

— لأنك موهبة كبيرة .. كنا نتنبأ لك بأشياء مشيرة .. كانت لديك

موهبة الكتابة .. والغناء ، والتمثيل .. ولم يتخيل أحد منا أنك ستنتظرون
فى البيت .. ألم يعرض عليك وأنت فى الجامعة أن تكونى بطلنة أحد
الأفلام ؟

— أجل .. ورفضت .

— معك حق .. لم نتوقع أن تكونى مجرد ممثلة .. ولكننا لم نتوقع
أيضا .. أن تصبحى مجرد ست بيت !

ونظر إلى عينيها متسائلا :

— ترى هل أنت راضية ؟ .

ولم قللك سوى أن تحبيب فى ثقة واعتزاز :

— طبعا راضية .

— خسارة .. كان يمكن أن تكونى شيئا ..

— أتظننى لم أصبح شيئا ؟!

وقتم فى لهجة اعتذار :

— لا أقصد .. وإنما قصدت أن تكونى شيئا فى الحياة العامة .. على

أية حال إنى أرجو أن نلتقى ثانية .. إن رقم تليفونى فى الجريدة سهل الحفظ
.. وإنى موجود حتى الحادية عشرة .

واستمر الرجال يحيطون بها .. وأحست هى بأن تجربة استعادة الثقة

قد نجحت .. وخيل إليها أنها لا بد ستلتقى لوما من مدحت .. وأنه سيكون
عن اتهامها بأنها لم تعد أنشى وبأن أوانها قد فات .

وعندما عادا إلى البيت .. أدركت من حديثه أنه ينوى الخروج بعد أن

أوصلها هى والأولاد .

وسألته :

— لماذا لا تمكث معنا ؟

— لأن لدى موعدا مع رئيس مجلس الإدارة .

— فى الليل ؟

ـ ولم لا ؟

ـ متأكد ؟

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ أعنى أمتأكد أنت أن الموعد مع رئيس مجلس الإدارة ؟

ـ لا داعى لهذه الأسئلة السخيفة .

ـ سخيفة لماذا ؟ .

ـ لأنك تشككين فى قولى وتسخرين من موعد عمل .

ـ ألا يمكن أن يكون موعد تسلبية ؟

وأطلق زفرة ضيق ولم يجب .

وعادت وهى تقول محاولة أن تعود بالحديث إلى اختبار لتجربة الليلة :

ـ أنا مثلا .. دعيت إلى موعد الليلة .

ورد فى استخفافا :

ـ بمن ؟

ـ الأستاذ فتوح !

ـ فتوح من ؟

ـ صاحب مجلة الزمان .

ـ موعد لماذا ؟

ـ ربما كان موعد عمل .

ـ عمل مع صاحب مجلة ؟

ـ ولم لا ؟

ـ بأية مناسبة ؟

ـ قال عنى .. إنى موهبة كبيرة ..

ـ أنت ؟

ـ أجل ..

ـ فى أى شىء ؟

.. فى الكتابة والتمثيل والغناء .

.. وصدقته ؟

.. ولماذا لا أصدقك .. لقد أكد لى أنه غير معقول أن تغلق على جدران

بيت .. أيا كان هذا البيت .. وسألنى أن أذهب للقائه .

.. لماذا ؟

.. لم يحدد بالضبط .. ولكنه قد يمنحنى فرصة لإظهار مواهبى .

.. وهل تريدون الفرصة ؟

.. ولم لا ؟

.. وهل تصدقون أن لديك مواهب .

.. ولماذا يكذب الرجل ؟

.. لأنه يجاملك .

.. إلى حد أن يطلب منى لقاء ؟

.. لا شك أنه كان يغازلك ؟

قالها مدحت ببساطة أثارت غيظها فتسالمت فى دهشة :

.. ألا يضايقتك هذا ؟

.. لا يضايقتنى مجرد كلمات عابرة .. تقال من باب المجاملة .

.. ودعوتى للقائه ؟

.. مجرد كلام .

.. وإذا ذهبت ؟

.. الظاهر أنك جنت .

.. لماذا ؟

.. هل تريدون حقا أن تظهرى ماتتخيلينه بك من مواهب خفية ؟

.. أليس هذا من حقى ؟

.. أتريدون أن تمثلى ؟

.. لقد سنحت لى الفرصة وأنا طالبة فى الجامعة ورفضتها .

- وتريدين أن تعرضيها الآن ؟ ..
 - لا أظن .. ولكننى قد أكتب إذا أتيت لى الفرصة .
 - ماذا تكتبين ؟
 - كنت أكتب الشعر والقصة وأنا طالبة فى الجامعة .
 وضحك مدحت فى سخرية قائلا :
 - وستواصلين الآن إنتاجك الخطير ؟
 - سأحاول .. هل لديك مانع ؟
 - مطلقا .
 - وسأذهب للقاء الأستاذ فتوح .
 - افعلى ما يحلو لك .
 وصمتت برهة ثم تساءلت :
 - ألن يضايقك هذا ؟
 - ولماذا أتضايق ؟
 - أعنى ألن تغار على
 وبدا كأن هذا هو السؤال الذى أرادت أن تسمع إجابته عليه من كل
 حديثها . ونظر إليها متسائلا :
 - أغار عليك ؟ من ؟
 - كنت فيما مضى تغار على
 - ربما !
 - والآن ؟
 ورفع كتفيه فى ملل قائلا :
 - يعنى !!
 واندفع إلى الخارج قائلا وهو يغادر الغرفة :
 - ربما أتأخر ..
 ولم ترد عليه .

مرة أخرى أحست بكبرياتها تدمى .
وقلقتها رغبة جارفة فى التحدى .. وأحست أن قيمتها كأنشى قد
هانت ..

وعزت عليها نفسها .. وهى تجد أنها لم تعد تستحق حتى مجرد
الغيرة .

جرت على نفسك يا حمقاء .. جرفك تيار الأمومة فلم يبق منك سوى
مجرد شغالة .. وسخر منك مدحت عندما عرف قول الرجل عنك أنك موهبة
كبيرة .. ونسى كل ما كان يقوله هو نفسه عنك أيام الحب .. من أنك رائعة
فى كل شىء ..

ذهبت عنك الروعة .. وخبا الضياء المشرق الذى كان يحيط بك ..
من أجل الأسرة التى شيدتها .. ومن أجل الطفلين الجميلين .
ولكن ألا يستحقان منك التضحية ؟
.. تضحية بنفسك .. بقيمتك الذاتية ..
بحقك كامرأة .

بأن تصبحى مجرد قطعة فى البيت .. كأملك وخالتك .. وبقية النساء
اللواتى تحولن إلى مجرد تابعات ..
وبدأ صراع شهيرة مع واقعها .. صراعها كى تستعيد ذاتها المتميزة ..
وبدأ الصدام بينها وبين مدحت ..
لم تعد تسلم له بالتأخير والغياب .. ولا عادت تستسلم لأساليب
الخداع التى كان يمارسها معها ..
وأخذت تفحص ثيابه وتعد نقوده .. وتطارده بالتليفونات فى كل
مكان ..

وفى نفس الوقت بدأت تخلص من قيود الأسر الذى فرضته على
نفسها فى بيتها ومع أولادها
لم تقصد العبث وإنما قصدت أن تستعيد شخصيتها المستقلة التى

تعودت أن تكونها دائما.. وأن تخلص من تبعية الأسرة التى ألزمت نفسها بها .. وأن تعود المخلوقة المتميزة التى يعجب بها الناس .
ولم يكن الأمر هينا .. فقد كان عليها أن تحطم قيدها دون أن تعرض نفسها للشائعات .. والأقاويل . وكان عليها أن تعاود الخوض فى غمار المجتمع .. مع تجنب كل المزالق والمضايقات .
والتحقت بالجامعة الأمريكية .. والتحقت بمعهد الرسم .. واندفعت فى عملية دراسات تحاول بها أن تستعيد شخصيتها الأولى لفتاة جامعية متميزة .

ولم تجد ما كانت تتوهم .. من مجد ..
انتهت دراساتها .. بلاشى ..
وحاولت أن تجد عملا يلائم طموحها .. فلم تجد سوى التدريس
وظائف الحكومة التى تزج بها فى قطيع من الموظفين والموظفات ليس بينهم
أى مجال للطموح أو احتمال للتميز .
وزاد التوتر بينها وبين مدحت .. واشتد الخلاف .
لم يعد أحد منهما يغفر للآخر زلة .. أو يحتمل منه خطأ .. لقد بدأت
تواجه أنانيته بأنانية مماثلة .. وإهماله بإهمال أشد ولم تعد تحس بأن هناك
شيئا يمكن من أجله أن تغفر له أو تحتمله .
وتحول الخلاف إلى مشادات ..
وتحولت المشادات إلى تراشق بالشتم .
وانتهت إحدى المعارك بأن تركت له البيت وأخلت الأولاد وذهبت إلى
بيت أبيها .
وحاول الأب مرة بعد مرة أن يصلح ما بينهما .. حتى أصابه اليأس
فقال لها :
... إذا لم تحتملى العيش معه .. فاتركيه .. لست أول زوجة تطلق .
ولم تفزعها فكرة الطلاق .

وبدأت تطالب به .

واستقرت أخيرا بالأولاد فى بيت أبيها .. وهى مصممة أن تكون
الفرقة نهائية .

واستمرت تحاول أن تجد طريقها .. إلى التميز مرة أخرى ..
حتى التقت بالأستاذ عبد اللطيف .. المخلوق الذى طالما بهرها
بكتابات ..

فأحست أن الطريق قد فتح أمامها على مصراعيه .
لقد أحبها الرجل ..

واستقرت منه فى موضع الملهمة التى طالما شعت من كتاباته ..
ولم تدع الفرصة تغفل منها .

بل أطبقت عليها بكل ما تملك من قدرة .. وذكاء ، وحذق .

٩ - نحو الأضواء

توالى لقاء شهيرة بعبد اللطيف عقب أول تعارف فى سهرة العشاء بعد
أن وجد كل منهما فى الآخر بغيته المنشودة
وجد عبد اللطيف فى شهيرة .. ملهمة من نوع جديد .. أو مفجرا قويا
فعلا لطافات حبه بكل ماتحوى من أحاسيس وانفعالات .
كانت شهيرة بالنسبة له .. تركيبة ممتازة من شتى الجاذبيات المضخونة
الأثر فى نفسه .

جاذبية الشكل العام . التى لاتعرف بالتحديد موضع الجمال فيها ..
ولكنها .. على بعضها .. بنظرة عينيها .. ورسمه شفيتها .. وإيماءة رأسها ..
ولفتة وجهها .. وحركة جسدها .. تشكل شيئا جذابا .. يشد الأبصار ..
وجاذبية الذكاء .. الذى يعرف كيف يستغل مالم يده من قدرات .. دون
أن يفرضه على الغير .. أو ينفره منه ..
وجاذبية الحديث .. بقدر من التفاهة معقول .. وبقدرة على الإنصات
عندما يكون الإنصات ألزم من الحديث . وعندما يتمتع الغير أن تنصت له ..
أكثر مما تتحدث إليه .

وتعاون ذكاؤها .. مع لهفته المفرطة عليها .. على إخفاء ما يمكن أن
يوضع من صفاتها فى كفة العيوب .. عندما توزن بالنظرة المجردة .
أصبح إحساسها بالتميز الذى يمكن أن يوصف بالغرور أو التعالي ..
يعتبر فى نظره ثقة فى النفس .. خلوا من مركبات النقص .
أصبح طموحها الشخصى .. الذى أيقظه فى نفسها إصرارها على
التحدى .. وعلى أن تكون هى نفسها شيئا هاما .. يعتبر فى نظره أصالة

فى الشخصية .. واستقلالا للذات .
وهكذا شكلت شهيرة لعبد اللطيف .. ملهمة جديدة .. سرايا براقا
يعبر وراءه .. لاهثا .. بكل ما يطلق من أشعار.. وينقث من آهات ..
ويؤدى من خدمات ..
وتلقته شهيرة .. فى لهفة .. بأشعاره .. وآهاته .. وخدماته . لقد
وجدت فيه هى الأخرى بغيتها المنشودة .
اليد القادرة التى تذلل لها العقبات .. وتيسر لها المصاعب .. وتدفع
بها إلى الأضواء ..
وأقبلت عليه فى مكتبه بالمجلة بعد حديث تليفونى قصير أكد لها
لهفته على الاطلاع على بعض ما كتبت .
ودخل عليه عبد الراضى ينبئه فى تشاقل وملل :
... واحدة تقول إن اسمها شهيرة .. هل أخبرها أنك مشغول ؟ ووثب
عبد اللطيف من مكانه صائحا .
... مشغول ياغبى .. أدخلها بسرعة .
... ألم تقل لى ألا أدخل عليك أحدا .. عندما تكون منكمكا فى
الكتابة .
وضحك عبد اللطيف قائلا :
... إلا هذه .. أدخلها بسرعة .. وعندما تأتى بعد ذلك .. افتح لها
الأبواب .. وأدخلها بلا استئذان ..
... وأفرش لها الرمل .. وأعلق الأعلام ..
وضحك عبد الراضى ضحكة العارف الفاهم وأردف قائلا :
... من عيني يا أستاذ .
ثم اتجه إلى شهيرة يدعوها .
... أهلا وسهلا .. أهلا وسهلا .. اتفضلى يا ست .. الأستاذ منتظرك .
وسار وراءها وهو يقول مرحبا :

— المجلة نورت .

والتفتت إليه شهيرة باسمه وهي تتسائل :

— أنت عبد الراضى ؟ ..

وسر عبد الراضى أن يكون مشهورا إلى هذا الحد .. واندفع فى ترحيبه

متهللا :

— محسوك . وخدامك .. داحنا زارنا النبى .

ودخلت شهيرة المكتب .. فى زفة عبد الراضى .. خفيفة الخطى ..

رشيقة القوام .. أنيقة المظهر .. وسرت معها .. إلى جانب تهاليل عبد

الراضى نسمة عطرة .. تعمدت أن تكون دائما .. مقدمتها لدى عبد اللطيف .

ونهر عبد اللطيف عبد الراضى لهذه الضجة التى ساق بها شهيرة

وطلب منه — بعد أن رحب بها وسألها عما تشرب — أن يحضر قهوة مضبوط .

واستقرت شهيرة على أحد المقاعد المريحة فى الغرفة ورفع عبد

اللطيف سماعة التليفون مناديا تهاى عامل التليفون :

— اسمع ياتهاى .. أنا مشغول .. لأريد أن تقلبنى كل دقيقة

بالمكالمات الهايفة .. مفهوم ؟ .

ووضع السماعة ثم أقبل على شهيرة يعاود الترحيب :

— أهلا .. أهلا ..

ثم تسائل السؤال التقليدى :

— كيف الحال ؟

— الحمد لله .

— أرجو أن تكون الأزمة قد انتهت .

— فى طريقها إلى الانتهاء .

— هذه أنباء طيبة .. فالفرقة ليست سهلة .. ولا سيما مع وجود

الأولاد .

ورفعت شهيرة حاجبيها بشيء من الدهشة .

ثم قالت مؤكدة :

— إنها فى طريقها إلى الانتهاء .. بالفرقة .

وتساءل عبد اللطيف فى أسف :

— ألا فائدة من التفاهم ؟

— لقد تفاهمنا على الطلاق .

— شيء مؤسف .

— إذا كان هو الشيء الوحيد الذى أمكن التفاهم عليه .. فلا بد من

الإقدام عليه .

وأحس عبد اللطيف أنه قد ساق اللقاء إلى جو عكر .. وحاول أن

يخلص منه فقال متحمسا :

— كل شيء نصيب .. وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .. عوضك

الله خيرا .. وهباً لك السعادة دائما ..

وقبل أن يسمع ردها أردف بسرعة :

— المهم الآن .. هو أن نسمع شيئا من إنتاجك .. قلت لى إن لديك بضع

قصص وقصائد .

— ليس بالمعنى المفهوم .. إنها مجرد خواطر .. لأعرف حتى إذا كانت

شعرا أم نثرا .. لقد كنت أكتب فى مجلة الكلية .. ولكنى لم أحاول النشر

منذ أن تركت الجامعة .. شغلنى البيت والأولاد .. وإن كنت فى كثير من

الأحيان أحس أنى أريد أن أقول شيئا .. وأجلس لأخرج أفكارى ومشاعرى

على الورق . ولكنى أطويها .. دون أن أحاول مجرد عرضها على الغير ..

ذات مرة .. قرأت لمذحت بعضها فقال لى ببساطة « لقد كبرت على هذا

العيب » . ورد عبد اللطيف فى حماس :

— كل ما كتبناه كان عبثا فى أول الأمر ..

ثم مد يده قائلا :

— أرينى ما كتبت .

وأخرجت شهيرة كراسة من حقيبتها وناولتها إليه قائلة :

— أريد رأيك بصراحة .

وتناول الكراسة ثم قلب أوراقها بسرعة .. فوجد ما بها من نوع الشعر
المنثور .. كلمتين فى سطر . ثم كلمة .. ونقط .. وثلاث كلمات ثم سطر خال
.. وعلامة تعجب .. ثم علامة استفهام .

كلام تسهل قراءته ..

وبدأ القراءة من الصفحة الأولى :

دقات الساعة تتوالى فى رتابة

وقطرات من صنبور تالف

تطرق الأرض ..

قطرة .. قطرة

فى إلحاح .. وعناد

وقطة .. قهوة .. وكلب يعوى

والريح تصفق ضلقة النافذة

وتسحبها !!

ثم تصفقها ثانية بعنف أشد

كأنها تلطم وجه مخلوق بغيض ..

وباب مفتوح يهتز .. ويتأرجح

ومن مفاصله .. ينبعث أنين

والليل جائم لا يتحرك ..

يبتلع دقات الساعة ..

ودموع الصنبور التالف ..

واللظمة على الصدغ .. والأنين .. والعويل ..

لا يتملعل .. ولا يعبا ..

وهى تنتظر ..
لا تعرف ماذا .. ولا متى ..
لا شيء يوحى بأن هناك شيئاً ..
لا شيء قبله .. ولا شيء بعده ..
كل شيء جمده فى حركته ..
حركة الشلل .. واليأس .. والملل ..
دقات الساعة .. وطرقات الصنبور ..
موا القطة ..
وعواء الكلاب .. وصراخ النافذة .. وأنين الباب ..
والليل أسود .. جائم .. يشغل الأنفاس ..
وهى تنتظر ..
لا تعرف ماذا .. ولا من .. ولا متى ..
النافذة مفتوحة تفرعها الريح ..
والباب يترنح .. وصرير مفصلاته .. أنين ..
ولا أحد يدخل ..
فتتظروا رايته ..
ولا أحد يخرج لتتوقع رحيله ..
ومع ذلك ..
ترهف السمع ..
هذه أصوات أقدام .. تطرق أرض الطريق ..
تقترب .. تقترب أكثر ..
ولكنها لا تلبث أن تتباعد .. وتخفت ..
ويبتلعها الليل .. ويطويها الملل الرتيب ..
دقات الساعة ودموع الصنبور التالف ..
ولكنها تنتظر .. لا تعرف ماذا .. ولا من ولا متى ..

الباب مفتوح ..
فلماذا لا تخرج هي .. تهرب ..
تنطلق !!
إلى أين ؟
وهي لا تعرف سوى هذه الجدران ..
وهذه الأرض .. والسقف والنجوم المرتجفة من وراء .. إلى أين ؟
إلى أين .. فى هذه الظلمة المطبقة ؟ ..
والليل جاثم ..
إن عليها أن تبقى وتنتظر ..
ترهف السمع ..
لصوت جديد ..
لقادم .. أو راحل ..
ترقب الظلمة والليل واليأس والملل الرتيب ..
وتنتظر ..

ماذا !!؟

لعله ضوء الفجر ..
يطوى كل هذا .. ويجرفه ..
ويقبل ..
بعصفور .. يغنى ..
ويقطرة ندى ..
تتلألأ ..
على وردة .. تتشابه .. وتتفتح ..
وأشياء جميلة .. كثيرة ..
بيضاء .. مشرقة .. واضحة .. لطيفة عذبة .. تشيع الأمان ..
والسلام .. والجمال .. ليس فيها قبح الليل .. وسواده .. وعموبه ..

وخداعه .. وإيواؤه للضغينة .. والشر .. والحقد .. والظلم .. والعدوان ..
أشياء كثيرة .. جميلة ..
طواها الليل الجاثم ..
الأسود الخائق ..
وأبعدها اليأس .. والرتابة .. والملل .. دقائق الساعة الرتيبة ..
ولطمات الريح ..
تجذب النافذة .. وتصفعها على الوجه ..
تجذبها وتصفعها .. فى عنف .. وحقد ..
بلاشعور .. ولأرحمة .. ولأنتم ..
فإذا لم يطلع الفجر ..
إذا ظل بعيدا كالسراب .. وهما كالحلم ..
ماذا يجدى الانتظار ؟
إذا كانت دقائق الساعة .. إيذانا بالعدم ..
وهبات الريح .. نواحا ..
والانتظار .. احتضارا .. والاستسلام .. قناء ..
مستدفع .. وحرارة اليأس فى قمها ..
لتواجه الريح ..
تخلع النافذة .. وتقلع الباب ..
وتقتل الليل قبل أن يقتلها ..
وتنتزع الفجر من جوف الأفق ..
بكفها تطلق النهار ..
ويراحتها تفتح الأزهار ..
وتحقق انتصار الإنسان على البهضاء والحقد ..
وتعيد إلى الحياة .. الحب والجمال .. والسلام ..

وانتهى عبد اللطيف من القراءة ..
ووضع الكراسية على المكتب .. ونظر إليها فى شيء من الدهشة
وتساءل :

.. أنت كتبت هذا ؟

.. ألا يعجبك ؟

.. بالطبع يعجبنى .

.. ماذا تعتبره .. أهو شعر ؟

.. فيه شاعرية .. وإن لم يتخذ سمات الشعر .

.. لماذا ؟

وضحك عبد اللطيف قائلا ببساطة :

.. لأنه ليس شعرا .. أعنى ليس موزونا ولا مقفى ..

.. إنه شعر حديث .

.. الشعر الحديث قد لا تكون القافية .. ضرورة فيه ... ولكن لابد أن

يتوافر فيه نوع من الوزن يمنحه موسيقية الشعر .. وإلا أضحي مجرد نشر ..
ولما كان هناك ضرورة لإدخاله فى إطار الشعر .

وتناول عبد اللطيف الكراسية وأجرى بصره بين السطور ثم قتم قائلا :

.. على أية حال هى خير فى نظرى من كثير من القصائد التقليدية أو
العمودية التى هى مجرد رص كلمات .. والتى أسميها .. هذيانا موزونا
مقفى .. وهى خير أيضا من كثير من قصائد الشعر الحديث التى لا معنى
لها .. ولا وزن ولا قافية .

.. أتقول هذا مجاملة ؟

.. بل أعنيه .. فهى على الأقل .. صورة متكاملة .. تعبر عن شعور
.. وتحمل معنى .. وتبدو لى أنك يمكن أن تكونى قصاصة جيدة .

وهزت شهيرة رأسها قائلة :

.. لا أظن ..

.. لماذا ؟

.. لقد حاولت كتابة القصة فلم أفلح .

وأطلقت ضحكة قصيرة وأردفت قائلة :

.. إن هذا هو أفضل ما استطعت أن أتوصل إليه .. ولا أظننى أستطيع

أن أكتب شيئا أكثر من هذا .

وهز عبد اللطيف رأسه مؤكدا :

.. ولكن هذا جيد ..

.. هل يمكن نشره ؟

.. ولم لا ؟

.. مجاملة .

وضحك عبد اللطيف قائلا :

.. النشر ليس مشكلة .. إن نصف ما ينشر .. إن لم يكن ثلاثة أرباعه

ليس له قيمة حقيقية .. ولا أظن الناس يمكن أن تفقد شيئا إذا لم ينشر .

.. ولماذا إذن ينشر ؟

.. جزء منه لأن أصحابه .. محترفون للكتابة .. ولا بد أن يواصلوا

الكتابة حتى يعيشوا .

وقاطعته شهيرة وهى تتصل ضاحكة :

.. وهل تفعل أنت هذا ؟

.. أحيانا ..

.. لا أظن .. لأنى أحس دائما أنك تكتب من قلبك .

.. وهل تعرفين ما بقلبي ؟

.. يخيل لى .

.. إذن على أن أبذل مجهودا .. لكى أستره .

.. ولماذا ؟ .. إن ما به دائما .. مشرق نظيف ..

.. هذا خيرا يمكن أن أمدح به ..

- إننى أقرر حقيقة .

- يسعدنى أن يكون هذا فهمك لى ..

وساد فترة صمت مقلقة سرعان ما قطعها قائلا :

- ماذا كنا نقول .. إن جزءا مما ليس له قيمة ما ينشر .. هو مجرد أداء

واجب .. والجزء الآخر .. أصحابه .. يعتقدون .. أنهم يقولون شيئا ..

ولا أظن أحدا فهم أى شىء .. ما يحاولون أن يقولوا .. وما يملأون به أعمدة

الصحف .. هذا بالإضافة إلى ما ينشر من باب المجاملات .

وضحكت شهيرة قائلة :

- والذى سأنضوى أنا تحته .

وقهقه عبد اللطيف قائلا :

- لا .. لا .. لم أقصد هذا ..

وعاد يمسك الكراسة وهو يردف :

- إننى واثق أن بك شيئا .. من هذا الكلام الذى تكتبينه يمكن أن

تخرج أشياء لها قيمة .. إذا ما صيغت فى شكل فنى متقن .

- وكيف ؟

- أعنى أن تصاغ هذه المعانى فى قصيدة .. أو توضيح فى قالب

قصصى .

- ولكنى لا أعرف .

- أنا أستطيع أن أعاونك .

وهكذا بدأ عبد اللطيف أول مساعداته لشهيرة .

صاغ لها خواطرها فى قصائد ..

ونشرت فى المجلة باسمها .

وأثارت القصائد .. شيئا من الاهتمام .. ولا سيما بعد أن نشرت

صورة لشهيرة ..

اهتم القراء .. والتقاد والكتاب بها ..

هاجمها البعض .. ومدحها البعض ..
ولكن الكل اجمعوا على أن عبد اللطيف هو الذى يكتب لها قصائدها
.. واشتهرت .. كملهمة شاعر .. أكثر منها شاعرة ..
ودخلت شهيرة فى دوامة الشهرة .. واستمرأتها .. وأصبح اهتمامها
بالصحافة مركزا فى البحث .. عن صورتها بين الصفحات أو اسمها بين
السطور ..

واستطاع عبد اللطيف .. أن يرضى عندها . ما كان يسميه « متعة
الاسم المطبوع » بخبر هنا .. وحديث هناك .. وكان يعد لها كل ما ينشر
باسمها .. أو ينشر عنها .. حتى استطاع أن يفرضها كإنسانة شهيرة .. وأن
يضعها فى نطاق من يروى عنهم .. فى صفحات الأخبار .. ويؤخذ رأيهم ..
فى الأحاديث والريورتاجات .

وأحست شهيرة .. أن الهالة التى أحاطها بها عبد اللطيف والنابعة من
مشاعره الخاصة .. أكبر منها .. وأنها لا تستند إلى قدرتها الحقيقية وأنها
يجب أن تعمل عملا ما .. يمكن أن تستغل فيه مواهبها .. وتنتفع بأجره ..
فى المعاناة على مواجهة أعباء الحياة .. بعد أن انفصلت عن زوجها
وامتقرت فى بيت أبيها .

وبدا لها أن أفضل عمل يمكن أن يحقق لها مطالبها .. هو مذيعة
تليفزيون .. إنها تستطيع أن تكون فيه مخلوقة متميزة .. بشكلها ..
وجاذبيتها وذكائها .. وقدرتها على الحديث ..
وهو يحقق لها .. بلا جدال مزيدا من الشهرة .
وفاتحت عبد اللطيف فى الموضوع .

كانت قد دعت لتناول الشاي فى بيت أبيها الذى انتقلت إليه بعد
انفصالها عن زوجها .

وكان البيت فى إحدى العمارات المظلة على النيل فى الزمالك فى
منطقة السفارات ..

وكانت شهيرة قد استقرت بأولادها فى شقة أمها مكان إحدى أخواتها التى تزوجت ..

وكان أبوها يشغل الشقة المقابلة فى حياة شبه مستقلة .
والتقى عبد اللطيف بأبيها لأول مرة فى ذلك المساء .. وأحسن وهو يحادثه .. أن الرجل قد أورث ابنته الكثير من شخصيته وذكائه .
وانطلق الدكتور عبد الحبير يتحدث عن الفضاء وتجارب الفضاء ..
حديث العالم الحبير .. وقارن بين التجارب التى أجريت حتى الآن لغزو الفضاء بواسطة أمريكا والسوفييت .
وتحدث عن محاولة دولية مشتركة توشك أن تتم بالتعاون بين الدولتين الكبيرتين ..

واستوعب عبد اللطيف ما أمكن أن يستوعبه للنشر مما قاله عبد الحبير ثم سأله :

- لماذا لا تنشر فى مجلتنا شيئا من هذه المعلومات ؟
- لا أظن مكانها يمكن أن يكون مجلة خفيفة .
- إننا ننشر بعض الآراء والبحوث العلمية .
- أليست ثقيلة على القارئ ؟
- إننا ننشرها بشكل مبسط .
- أخشى أن تفقد قيمتها وتصبح نوعا من التهريج الدعائى .
- على أية حال إذا سمحت لى .. سأكتب أنا ما استطعت أن أفهمه منك .. هل تأذن لى ؟
- طبعاً ..

- وسأعرضه عليك قبل نشره .
- وأقبلت شهيرة تجر منضدة الشاي وهى تتسائل :
- ما هذا الذى ستعرضه عليه قبل نشره ؟
- حديث عن غزو الفضاء .

وتوقفت شهيرة وقالت وهى تصب الشاي فى أحد الفناجين :

- ياسلام .. لو أتيح لى أن أصعد إلى الفضاء ..

وتسأل أبوها ضاحكا :

- هل ضاقت بك الأرض ؟

- لقد قرأت ماكتب رواد الفضاء عما رأوه .. إنه شيء جميل حقا ..

أن ينطلق الإنسان حرا .. طليقا فى هذا الفضاء الفسيح الرائع ..

- من يدري ربما تمنح لك الفرصة ..

وقال عبد اللطيف باسم :

- لقد قال الدكتور إن هناك اتجاهات لعمل مشترك بين علماء الفضاء توحد فيه الجهود .. وسيقيمون القاعدة فى مكان محايد .. من يدري .. ربما تكون هنا .. وربما تمنح لك الفرصة ..

- حلم ..

- ربما تحقق ..

... دعونا نتحدث عن الأحلام القابلة للتحقيق .

- مثل ماذا ؟

- مثل البحث عن عمل التحق به .

- هذا حلم .. ليس أسهل من تحقيقه .

- إننى أريد أن أعمل فى التليفزيون .

وانتفتت إلى أبيها متسائلة :

- أليس لديك مانع ؟

- أبدا .

وقال عبد اللطيف :

- هذه مسألة سهلة .. اعتبرى حلمك قد تحقق ..

وتسألت شهيرة فى دهشة :

- أتتكلم جادا ؟

.. طبعاً .. إن مدير التليفزيون صديقى .. ولا أظنه يمكن أن يجد خيراً منك .. شكلاً .. وموضوعاً ..
- إنك تحسن الظن بى .
- إنى واثق أنى أقدم للتليفزيون .. هدية أستحق أن أشكر عليها .
- ومتى تحدثه ؟
- الآن .. أين التليفون ؟
وفى اليوم التالى كانت شهيرة تتجه إلى هذا المبنى الشاهق على النيل ..

ولم يبد أن هناك مشكلة .. بل بدأ الأمر سهلاً ميسوراً .
كان التليفزيون يطلب مذيوعات ..
وطلب المدير من عبد اللطيف .. أن يرسلها لتأدية الاختبار .
وقال عبد الطيف مؤكداً فى ثقة :
- إنى واثق أنها ستنجح .. إنها مخلوقة ممتازة .. شكلاً وذكاءً وثقافة ..

وأقبلت شهيرة على المسئولين عن الاختبار وأحست أنهم يتناولونها ..
كأنها خصم يشكل عدواناً عليهم وسألتها إحدى الرئيسات :
- أتريدى أن تعملى مذيعة ؟
- أجل ..
- ولماذا ؟

ولم تعرف شهيرة كيف تجيب .. ولم تظن أن السؤال جزء من الاختبار وردت ببساطة :

- لأننى أرغب أن أعمل مذيعة .. وأعتقد أنى أصلىح .
- لماذا تعتقدين ؟
- هذا اعتقادى .. وأنا حرة فيما أعتقد .
- لأنك جميلة ؟ . إن الجمال ليس كل شيء .. ثم إنك قد لا تكونين

رجها صالحا للكاميرا ..
ولم تعرف شهيرة بماذا تجيب .. وأحست بالدم يتصاعد إلى وجهها ..
ولكنها حاولت أن تتمالك ..
وأقبلت أخرى تسأله فى شىء من السخرية :
- لقد أوصى بك المدير ..
- ربما ! ..
- هل تعرفينه ؟
- لا ..
- إذن لم أوصى ؟
- لا أعلم .
- على أية حال المهم هو الاختبار .
وسقطت شهيرة فى الاختبار ..
ربما لأنها لم تكن صالحة .. وربما لأن المدير أوصى عليها .. وذهبت إلى
عبد اللطيف وأنبياته بما حدث ..
وهز رأسه ببساطة وقال ساخرا :
- يبدو أنى قد أخطأت التوصية ؟
- كيف ؟ ..
- كان على " أن أنجح مباشرة إلى الذين أسقطوك فى الامتحان ..
إذ يبدو أنهم أصحاب السيطرة الحقيقية .
- ماذا تقصد ؟
- فى بعض الجهات يجب أن يكون لدى المرء .. الحس لأن يعرف من ..
يفعل هنا . فبعض الناس تراه قادرين على كل شىء .. يبرزون من يشاعون
ويخفون من يشاعون .. يفرضون ما يريدون ويفرضون ما لا يريدون .. إن
شاعرا مجهولا يلتقى قصائده يوميا فى الإذاعة .. والشعراء الحقيقيون
محجوبون .. لأن القيم تحددها الأمزجة الشخصية ومصالح الشلل وأحيانا

تشكل الرئاسات الصغرى .. دولة .. داخل دولة .. لقد أشاعوا أن أحد المؤلفين سئل أن يوافق على مد حلقات إحدى مسلسلاته حتى يزداد أجرها بشرط ألا يقبض إلا نصف الزيادة فقط .

.. وماذا فعل ؟

.. فضل أن يترك المسلسلة كماهى وأبدى استعداداه الكامل للتنازل عن أجرها .. ومن الفكاهات التى يطلقونها أن أحدهم طلب من إحدى الممثلات عمولة عن عملها .. فلم تدفع .. فلم يكن منه إلا أن أرسلها فى المسلسلة .. للحج .. وظلت حتى النهاية محرومة من التمثيل ومن الأجر .. لوجودها فى الحج .. حتى استنجدت بالمسؤولين لإعادتها من بيت الله إلى الأستوديو.

وضحكت شهيرة .. قائلة :

.. الحمد لله أنى سقطت فى الاختبار ..

وهز عبد اللطيف رأسه قائلا فى ثقة :

.. ستنجحين .. وتعينين فى التلفزيون .

ثم رفع السماعة وطلب رقما فى التلفزيون وبعد بضعة شهور .. أعادت شهيرة الاختبار .. ونجحت .. وأصبحت مذيعة فى التلفزيون .
وفرضت الشاشة وجهها .. وابتسامتها .. فى كل بيت .. وأصبح اسمها على كل لسان ..

١٠ - ثلاثة أرناب

بدأت نبيرة عبد الخبير تتحقق .. وشيدت القاعدة العالمية الكبرى لأعمال الفضاء المشتركة .. وشارك في العمل فيها هو وغيره من العلماء والمهندسين وملاحى الفضاء من كل أنحاء لعالم واستمرت البحوث وتعددت التجارب .. وانطلقت السفينة وراء السفينة تجوب الفضاء فى عمليات الاستكشاف ومحاولات الهبوط .

وكانت شهيرة قد استقرت فى عملها فى التلفزيون .. تخوض معركة الشهرة بكل ما تملك من مواهب شكلية وذهنية . واستطاعت أن تفرض شخصيتها فيما تقدمه من برامج وأن تشير اهتمام الناس بها بالسخط أو بالرضا .. وواصل عبد اللطيف دفعها بإحساس المسئول عنها كجزء من كيانه .. لانتكاد تخلق صحيفة من خبر عنها أو حديث لها وكان هو نفسه صانع الخبر .. وكاتب الحديث .. فجعلها تتحدث عن الاشتراكية والحياد الإيجابى والفن الهادف .. بأشياء لم يخطر ببالها قط أن تتطرق بها .. وبين آونة وأخرى .. يحول بعض شعرها المنشور إلى قصائد .. لتوالى تأكيد شخصيتها كشاعرة خلاقة .

وألفت هى ارتباطها به .. والتصاقه بها .. ويات حبه لها جزءا من حياتها .. وإذا كانت لم تستطع أن تمنحه الحب بمفهومه المصطلح عليه .. والذى يمنحها هو نفسه إياه .. فقد منحته اعترافا بوجوده .. وأنست إلى هذا الوجود واطمأنت إليه .. وامتدت جذوره فى حياتها الطبيعية .. بحكم حاجتها إليه .. فى قضاء الاحتياجات اليومية الدائمة .. والتي لم يحاول

زوجها يوما أن يساعدها فى قضائها.. والتى تبدو تافهة .. إذا أخذت كل على حدة .. إلا أنها تشكل عبئا ثقيلا فى مجموعها .. تسديد رخصة التليفزيون .. دفع فاتورة التليفون .. تصليح العربة .. إحضار طبيب بسرعة لأن أحد الأولاد حرارته ٣٩ .. إصلاح الشلجة .. إرسال أكلة كباب من الدهان (لأن الطباخ فى إجازة) .. الذهاب إلى قسم الشرطة لأن هناك طلبا لا يدري أحد سببه .. إحضار عامل لإصلاح كالون الدولاب لأن المفتاح كسر داخله .. إرسال بعض الملابس للتنظيف .. التوصية على سمن هولندى لأنه غير متوافر فى الجمعيات الاستهلاكية .. وطلبات كهذه أخرى .. متعددة .. ومتجددة .. ولاتنتهى .

وكان عبد الراضى عنصرا حيويا فى المساعدة على قضاء تلك الاحتياجات .. بل .. لقد كان هو نفسه فى بعض الأحيان .. العنصر الرئيسى .. عندما يندق التليفون فى مكتب عبد اللطيف .. وتقول له شهيرة باختصار: - ابعث لى عبد الراضى .

ويذهب عبد الراضى .. ويقضى اليوم .. بعد توصيل الأولاد إلى المدرسة .. وشراء اللحم وإحضار النجار ومراقبته وهوىعلق أحد الرفوف فى الحائط .

وطبيعى أن يصبح عبد اللطيف وتابعه .. جزءا من الأسرة الكبيرة .. أسرة الدكتور عبد الحبير .. الأب فى شقته .. تخدمه الدادة العجوز زينة .. وأولاده بماقيهم شهيرة وأولادها فى الشقة المقابلة ..

ولم تعد الخدمات التى يؤديها عبد اللطيف مقصورة على شهيرة وحدها .. بل أضحت من حق أمها أن تطلبه فى التليفون ببساطة وتسأله أن يرسل لها .. حبهان أو فلفل .. لأنه غير موجود فى السوق .. ويات من حق أبيها أن يسأله أن يحضر له زجاجة فيتين .. لأن ماله قد نفذ .. وأن يمر عليه لأن لديه موضوعا مهما يريد أن يحدثه فيه ..

وأصبح عبد اللطيف .. هو المرجع الذى يرجع إليه فى أمر شهيرة ..

تشكوها إليه أمها وهي تسأله أن يحضر إليها فوراً .. وتلقاه في لهجة
ثائرة :

.. شهيرة أصبحت لا تحتمل .

.. خير ؟

.. لم تعد تطيق كلمة من أحد ..

ويحاول عبد اللطيف أن يطيب خاطرها قائلاً :

.. لماذا .. ماذا فعلت ؟

.. بالأمس أتت قبل الغداء .. وقالت إنها في عجلة لأن لديها تسجيلاً ..
.. ولم يكن الطعام قد أعد فشارت .. وقالت إن البيت مهمل .. وفضيت لأن
ملابس الأولاد لم تحضر من عند المكوي .. ماذنبى أنا فى كل هذا .. لقد
كبرت ولم تعد فى عافية .. وإذا كان لاتعجبها الخدمة فى البيت .. فعليها
أن تستقر فيه لترعى أموره بنفسها .. إنها لا تكاد تستقر فيه لحظة واحدة
.. هل تصدق أنها لم تعد مساء أمس إلا والساعة تدق الثانية عشرة .

ورغم أن عبد اللطيف كان يحضرفى ذهنه دفاعاً عن شهيرة ..
ومحاولة لتهدئة أمها .. إلا أن ذهنه اتجه فجأة .. اتجاهاً مغالفاً .. فقد
لسعته مسة شك عندما .. أنهت شكواها .. بأن شهيرة قد حضرت أمس فى
منتصف الليل .

كان عبد اللطيف يفار على شهيرة ..

وكانت شهيرة تعرف هذا .. ولم تكن تكثرث لغيرته .. لأنها لم تكن

تفعل فى الواقع مايمكن أن يسبب هذه الغيرة .

ولكنها كانت تكره أن يبالغ فى الغيرة أمام الناس حتى لا يضعها فى
موضع الحرج .. لقد استطاعت بذكائها وقدرتها أن تطويه بكل مالدیه من
مشاعر وانفعالات فى إطار عائلى .. بحيث لم يعد ازدياد الصلة بينهما
يعنى إلامزياداً من الارتباط العائلى .. ويات كل ما تفرضه الصلة من حقوق
وواجبات .. يبدو أمراً طبيعياً .. بحكم ارتباطه الواضح بالأسرة كلها .

وكان هو سعيدا بهذا الوضع المتميز .. الذى يجعله أقرب إليها من أى مخلوق آخر ..

كان سعيدا بوضعه .. على كل ما فيه من عائلية .. وعلى بعده من كل ما يهفو إليه محب ولهان .

كان سعيدا .. حتى يقع ما يشيرشكوكه . وما دفعه إلى التوهم بأن إنسانا ما .. يمكن .. أن يدخل الميدان فيزاحمه .. أو ليحتل مركزا أفضل .. ويتمتع بمالم يستطع هو أن يصل إليه .

وسأل الأم فى شىء من الحدة :

— هل أتت أمس فى منتصف الليل ؟

.. أجل ..

— ولماذا ؟

— قالت إنها انتظرت حتى تختم البرنامج .

— أهى قالت هذا ؟

.. أجل ..

— ولكنها كانت تعمل أول أمس .

— ألما لأأدرى شيئا عن مواعيدها .

وغلبت الوسوس تفكيره .. ولم يجد فى نفسه القدرة على أن يهدىء

الأم .. ويسايسها .. فقد كان هو نفسه فى حاجة إلى التهدئة والمسايسة .

والتقى بشهيرة .. وحاول جهده ألا يلقي إليها بشكوكه .. فقد كان

يعرف أنها تكره مظاهر الغيرة .. وجعل الحديث يدور ببساطة حول مافعلته

بالأمس .. فأكدت له ببساطة أنها اضطرت إلى البقاء حتى تختم الإرسال

لأن زميلتها التى كان عليها الدور فى العمل كان مريضة .

وببساطة زالت شكوكه .. واندفع يسر لها ما قالتها أمها .. ويحاول

إصلاح الأمور بينهما .

وهكذا سارت الحياة بشهيرة .. مشدودة .. إلى عبد اللطيف .. حتى

فوجئت ذات يوم بأبيها يناديهما قائلاً :

- اسمعى يا شهيرة .. حلم من أحلامك يوشك أن يتحقق .

وقالت له فى غير اكتراث :

- وما هو ؟

- هل تحبين الصعود إلى الفضاء ؟

- أنا ؟ ..

- أجل ..

- غير معقول .

- لم يعد هناك شيء غير معقول فى هذه الأيام .. إن التجارب تتوالى

.. وعمليات الانطلاق فى الفضاء تتتابع يوماً بعد يوم .. بعد أن نجحت

عمليات الهبوط إلى القمر والزهرة .. وبعد أن بدأت المحاولات للهبوط على

المريخ .. والأقمار المحيطة به .

- أعلم أن غزو الفضاء قد اتسع نطاقه .. وتعددت عملياته .. ولكن

كيف أستطيع أنا أن أذهب فى إحدى هذه الرحلات ؟ .

- كما سأذهب أنا .

وهتفت شهيرة صائحة :

- أتكلم جاداً ؟ .

- بالطبع .. لقد كنا نعد لإحدى الرحلات طول الشهور الماضية ..

لتجربة الهبوط على سطح أحد الأقمار المحيطة بالمريخ .. إن البحوث قد دلت

على إمكان الهبوط المباشر على سطحه كما دلت على وجود كميات من

الأكسجين بكميات تكفى لتنفسنا .. والطقس على سطحه محتمل وهناك

ماء فى بعض مناطقه .. إذ أمكن رصد الثلوج كما أمكن التأكد من وجود

بعض النباتات .. ويشك فى أن توجد بعض مظاهر أخرى للحياة .

- ألم يهبط أحد هناك من قبل ؟

- مطلقاً .. إنها أول رحلة إلى هذا القمر .

— وهل أستطيع حقا أن أرافقكم ؟

— اعتقد هذا .. إن طاقم السفينة يتكون حتى الآن من قائد السفينة والمهندس وأنا ..

— وهل لى مكان معكم ؟

— هناك مكان لثلاثة ..

— أيتحتم أن يكونوا .. فنيين ؟

— مطلقا .. إن الرحلة .. رحلة استكشاف واختبار .

— استكشاف ماذا واختبار لماذا ؟

— استكشاف لمظاهر الحياة التى يعتقد بوجودها .. واختبار لقدرة البشر على الوجود فيها .. والمطلوب .. غير الثلاثة اللازمين لقيادة السفينة .. أناس عاديون .. تختبر قدرتهم على العيش على سطح القمر .. وإلى أى مدى يمكنهم الحياة فيه .. وما هو انعكاس تجربة البقاء على سطحه لفترة ما .. على تركيبهم الجسدى .. والذهنى والنفسى .

— إذن أستطيع أنا أن أكون أحد هؤلاء الثلاثة .

— إذا كنت تريد .

— بالطبع أريد .. إنها فرصة العمر .

وشردت شهيرة برهة .. تتخيل وقع صعودها إلى الفضاء على من حولها .. فى التلفزيون .. ستجن رئيسة القسم الذى تعمل به .. وستحاول أن تؤكد لأهل الكواكب كما أكدت لأهل الأرض أن شهيرة مغرورة وتافهة ولا تصلح لشيء .. وتحذرهم من أن صدرها عيرة .. وأن شعرها باروكة . ويصبح على شهيرة أن تشد شعرها لسكان الكواكب لتؤكد لهم أن ما فى رأسها هو شعرها هى .. وليس شعر إنسان آخر .

وسينادىها مدير الأخبار .. ويحذرها من أن تتعامل مع أية صحيفة لأن المقروض أنها مرسلة مندوبة للتلفزيون .. وأنها ستأخذ بذلك سفرها من التلفزيون .

وسيشاها بعضهم .. ليقينه أنها لابد أن تكون متصلة بجهات عليا .. وإذا
لما اختاروها دون غيرها للسفر إلى الفضاء .

وستنشر الصحف أخبارها ..

وفى الصفحة الأولى .. مانشيت .. ومعه صورة .

يجب أن تسرع باختيار الصورة وإرسالها إلى عبد اللطيف حتى
لا ينشروا لها هذه الصورة السخيفة التى تبدو فيها كالبلهاء .
أية صورة تختار ؟

الصورة التى تبتسم فيها ؟ .. أم الصورة التى تبدو فيها وهى جالسة
على المكتب .

لا هذه .. ولا تلك .. ستختار الصورة التى تلوح فيها بيدها فهى
تبدو طبيعية .. وكأنها تودع أهل الأرض .

أجل .. لابد أن تسرع بها إلى عبد اللطيف .. لكى يطبع منها ويرسل
إلى بقية الصحف .

ولكن ماذا سيقول عبد اللطيف .

سيصدم ولاشك .. فهو لا يطبق مجرد سفرها إلى الإسكندرية .. ويظل
يلاحقها .. طوال الصيف بين القاهرة والإسكندرية .

وهى تسعد بملاحقته .. لأنها لم تعد تستغنى عنه .. هو الذى يحجز
المقاعد فى القطار .. وهو الذى يعد التذاكر .. وهو الذى يأخذها إلى المحطة
.. وهو الذى يحضر احتياجات الأولاد .. واحتياجات أمها وأبيها ..
وهو الذى يشتري سبت المانجو .. وأقفاص العنب .. والبطيخ .. والفراخ .

وفوق هذا .. يشكل أكبر حافز لكل ما يملؤها من أحاسيس التميز ..
والكبرياء والغرور .

وإذا كانت كارثة له أن يعيش بدونها .

إنها كارثة أكبر أن تتحرك بغيره .. وبغير معاونته الدائمة .

ولكن .. ماذا يمكن أن يفعل لها .. فى الفضاء .. أى خدمات يمكن

أن تحتاج إليه فيها .

إنه سيكون أقل منها حيلة .. وأشد عجزاً .. لن يكون هناك فواتير نور ولا اشتراك تليفون .. ولا رخصة تليفزيون .. ولا أطباء للأولاد .. لن يكون هناك ثلاثيات تتعطل .. أو حنفيات تتلف .. ولن يكون هناك أزمات تمرين تحتاج فيها إلى خدماته ..

ولكنها سترسل أنباء .. وستكتب موضوعات .. وهي في حاجة إليه لكي يصوغها لها .. إن ما يمكن أن تكتبه لن يكون له أثر غير جاذبية تعبيره .. ولكن هل يمكن أن تصحبه معها ؟

ألم يقل أبوها إن هناك ثلاثة أمكنة .. لبشر تجرى عليهم تجربة الوجود في الكوكب .. وتختبر قدرتهم على العيش فيه ؟ لماذا لا يكون أحدهم ؟

ونظرت إلى أبيها وتساءلت فجأة وهي تستعيد ذهنها الشارد :
.. أقلت لي إن هناك ثلاثة أماكن .. لأناس عاديين .. تجرى عليهم تجربة الوجود في الكوكب ؟

.. أجل .

.. وأنا ساكون أحدهم .

.. إذا شئت .

.. وهل يمكن أن يكون الأستاذ عبد اللطيف بينهم ؟

وتساءل الأب في دهشة :

.. الأستاذ عبد اللطيف ؟

.. أجل .

.. ولكن هل يريد ؟

وتساءلت شهيرة في دهشة :

.. ومن الذي يرفض فرصة كهذه ؟

.. لأظن كل إنسان .. يمكن أن يرضى بمغامرة الانطلاق إلى الفضاء .

- أظنها لم تعد الآن مغامرة .. بعدما تعددت عمليات الصعود .. حتى
أضحت كأنها مجرد رحلة طائرة .
- حتى الطائرة .. ما زال البعض يعتبر ركوبها مغامرة .. كما كان
البعض يعتبر ركوب البحر مغامرة .. ويقول « أنل قدمي ظهرا الأرض » .
- لا أظن الأستاذ عبد اللطيف يرفض فرصة كهذه .
- ولكننى أعرف أنه لا يحب ركوب الطائرة .
- ربما .. ولكن الصاروخ شيء آخر .
- أيركب الصاروخ .. ويخشى الطائرة ؟
- اعتقد أن ركوب الصاروخ .. كعمليات البنج .. يغمض الإنسان
عينيه .. ويفتحهما .. فيجد أن كل شيء قد انتهى .
- إنك شديدة التفاؤل .. فهل تظنينه كذلك ؟
- أعتقد أنه إذا كانت هناك فرصة لسفره .. فسأعرف كيف أقنعه
باغتنامها .

وفكر الدكتور عبد الحبير برهة ثم أجاب :
- إنى واثق أنهم سيرحبون بسفره إذا كان هو يريد ذلك .
- وأنا واثقة أنه يريد .
- أسأليه أولا .
- واتجهت شهيرة إلى التليفون فسألها الأب :
- ماذا ستفعلن ؟
- سأسأله .
- ستسألينه فى التليفون .
- ولم لا ؟
- سيقول عنك مجنونة .. أو يظنك تمزحين .
- إذن سأسأله أن يحضر .
- هذا أفضل .. حتى نشرح الأمر له فى هدوء .

وطلبت شهيرة الرقم المخصوصى فى المجلة . وأجابها صوت عبد الراضى
متسائلا :

ـ ألو .

ـ عبد الراضى ؟

ـ من ؟

ـ أنا شهيرة يا عبد الراضى .

ـ أهلا وسهلا .. ست شهيرة .

ـ أين الأستاذ ؟

ـ موجود فى اجتماع .

ـ أى اجتماع ؟

ـ اجتماع اللجنة القيادية .. واللجنة الـ ...

وقاطعته فى دهشة :

ـ وماله وبها ؟

ـ حدثت معركة بين اللجنة القيادية .. واللجنة النقابية .. ولجنة
الشباب ومجلس الإدارة ومجلس التحرير وعمال المطبعة .. وذهب هو
لفضها ..

ـ اذهب وناده سريعا .

ـ وكيف أحصل عليه فى هذه الهيصه ؟

ـ قلت لك اذهب وناده بسرعة .. لأننى أريده حالا .

ـ ياساتر .. ألاستطيع أنا أن أفعل شيئا .. إذا كان هناك أى طلب
أقضيه ؟

ـ ليس هنا طلب .. إننى أريده هو .

ـ حاضر .. ربنا يوفق .

ومضت فترة بدأت شهيرة تحس بالقلق .. وأخيرا سمعت صوت عبد
اللطيف يتسائل فى جزع :

- شهيرة . ماذا حدث ؟
- هل تستطيع أن تأتي الآن ؟
- خير .. أحدث شيء ..؟
- أبدا .. أريدك أن تأتي .
- هل تعاركت مع ماما ؟
- لا .
- هل أحد من الأولاد مريض ؟
- لا .. لا ..
- إذن لماذا هذه العجلة؟
- أريدك في أمر هام .. تعال وكفى تساؤلا .
- وفي دقائق كان الشاكسي ينطلق به في الطريق إلى بيت شهيرة .
- ووقف يدق جرس الباب في قلق ..
- وفتحت شهيرة فسألها لاهثا :
- ماذا حدث ؟
- ادخل .
- قولي لي أولا .. طمأنيني ..
- أطمئنك على ماذا ؟
- لماذا طلبتني بهذه العجلة ؟
- لأستشيرك في أمر هام .
- بخصوص مدحت ؟
- مدحت ؟ لقد انتهيت تماما من مدحت .. هناك شيء مهم .
- وخشى عبد اللطيف أن يكون هناك إنسان في الأفق .. وانتابه القلق
- وعاد يحسب في جزع :
- ماهو هذا الشيء الهام ؟
- اسمع .. هل تريد أن تنطلق في الفضاء ؟

ونظر إليها فى ذهول .. وخيل إليه أنه لم يسمع ما قالت .
فتسائل ببساطة :

— نعم ؟

— أقول لك .. هل تريد أن تنطلق إلى الفضاء ؟

— فضاء ؟

— أجل .

— أنا ؟

— أجل .. أنت .

— أطلبتنى بهذه الطريقة المفزعة .. لتسألينى إذا كنت أريد أن أنطلق
إلى الفضاء ؟ ..

— أجل .. أليس هذا أمرا هاما ؟

— أمر هام .. أن أنطلق أنا إلى الفضاء ؟

— طبعاً

— كيف أنطلق .. أرفرف .. كالحمامة .. بجسمى هذا .

وضحكت شهيرة .. قائلة :

— أتمزح ؟

— أنا الذى أمزح ..

— طبعاً .. إنى أسألك إذا كنت تريد أن تنطلق إلى الفضاء .. فتقول

لى .. إنك ترفرف كالحمامة .

— إذن كيف تريدتنى أن أنطلق ؟

— فى صاروخ .

— أنا ؟

— أجل .

— أنا أنطلق فى صاروخ .. وطلبتنى لكى تقولى لى هذا ؟

— اسمع يا عبد اللطيف .. أنا لا أمزح .. تعال لأبى حتى يشرح لك .

- يشرح لى ماذا ؟
- إن هناك ثلاثة محلات .
- وحجرت لى واحدا .. فى عربة التكييف .
- ونظرت إليه وقالت ناهرة :
- عبد اللطيف .. كفى سخريه .. إنى أتكلم جادة .. إن أبى سيذهب
- فى رحلة إلى أحد أقمار المريخ .. وهناك ثلاثة أمكنة : لبشر عاديين ..
- تجربى عليهم تجربة الوجود هناك .
- وما دخلى أنا فى هذا ؟
- هل تريد أن تكون أحدهم ؟
- أحد الذين تجربى عليهم تجربة الوجود .. فى المريخ ..
- أجل .
- كأتى أرنب .. أو فأر .. أو ضفدعة .
- يعنى لا تريد ؟
- طبعا .
- شىء مؤسف .. لقد ظننتك ستصعد معى .
- معك .. ومالك أنت ؟
- إنى صاعدة .
- صاعدة إلى أين ؟ . إلى المريخ ؟
- ليس بالضبط ... سنصعد إلى أحد أقمار المريخ .
- يعنى .. فى الضواحي .. يعنى عزبة النخل مثلا أو شبرا الخيمة .
- أجل ..
- ومتى قررت هذا ؟ ..
- الآن .
- الآن .. الآن .. ولماذا هذه العجلة ؟
- قال لى أبى إنه سيصعد مع طاقم السفينة .. المكون منه ومن القائد

والمهندس . وأن هناك ثلاثة محلات .. لأى أناس يختارون لمصاحبة طاقم السفينة . وسألنى إذا كنت أريد أن أذهب فى الرحلة .. فقلت له أجل .
.. هكذا ببساطة ؟ ..

.. طالما قنيت أن أنطلق إلى الفضاء . ولقد سنحت الفرصة لى .. فلم أتردد فى انتهازها .. وفكرت فيك .. وسألته أبى إذا كان يمكن أن نحجز لك أحد المكانين الباقيين ..

.. ووافق أبوك .. كأنها رحلة .. إلى الفيوم .
.. لم يقبل الموافقة قبل أن أسألك .. وكنت أظنك .. ستوافق فوراً ..
.. وماذا دفعك إلى هذا الظن ؟
.. لأنى .. لأنى .. ظننت أنك تريد الانطلاق إلى الفضاء ..
.. أقلت لك هذا ؟

.. قلت لك إنى ظننت .. مجرد ظن .
ونظر إليها عبد اللطيف .. نظرة حاول أن يخفى ما بها من وله ثم قتم قائلاً :

.. وأنا لا أستطيع أن أكذب لك ظناً .
.. إذن ستأتى .
.. أجل .
.. ولماذا إذن رفضت فى أول الأمر ؟
.. كانت مفاجأة .. لم يخطر ببالى أن الأمر يمكن أن يكون جاداً .. وحتى الآن لا أستطيع تصوره .. ولكن مجرد ذهابك إلى أى مكان .. يجعلنى بلا تردد أتبعك إليه ..

.. لقد كنت واثقة أنك سترحب بالذهاب .. مؤمنة أنها ستكون رحلة رائعة .. ولقد قال لى أبى إنهم سيرحبون بك أيما ترحيب .
هيا بنا إليه إنه ينتظرنا فى حجرة مكتبه .
وسار عبد اللطيف يتبع شهيرة إلى مكتب أبيها .. وقبل أن ينهض

الرجل للقائه .. هتفت شهيرة :

.. لقد رحب الأستاذ عبد اللطيف بالذهاب معنا .

وتساءل الأب في شيء من الدهشة :

.. هكذا بسهولة ؟

وأجاب عبد اللطيف :

.. إنها رحلة مثيرة .. ولكنها بالنسبة لكاتب يمكن أن تكون تجربة رائعة

تفتح له آفاقا جديدة .. وأى فنان أصيل لا يمكن أن يتركها تسنح دون أن يقتنصها ..

وتساءلت شهيرة :

.. هل حدد موعد للرحلة ؟

.. ليس قبل بضعة أشهر .. فإن الركاب الجدد في حاجة إلى تدريبات

مخصصة .. إن الإنطلاق في الصاروخ .. أضحى الآن أسهل كثيرا .. ولم

يعد يحتاج المسافر فيه إلى التدريبات الشاقة التي كان يحتاج إليها الرواد الأوائل .. ولكنه مع لك يحتاج إلى نوع من المراتب .. والتدريب ..

وتساءل عبد اللطيف :

.. ولكن أنحتمل نحن هذا المراتب ؟

.. سيجري كشف طبي أولا .. تختبر فيه قدرة المسافر على الانطلاق ..

ولن يكون التدريب أبدا فوق طاقتك .

وتساءل عبد اللطيف في شيء من الرهبة :

.. ومتى نبدأ كل ذلك ؟

.. بمجرد أن نستقر على الشخص الثالث .. تبدأ الإجراءات .. ولعلها

لا تتأخر بعد هذا الأسبوع .

.. وهل اختيار الشخص الثالث ؟

.. يمكن أن يكون أحد العمال .. بعد الحصول على إقرار منه بقبول

الانطلاق .

وفكر عبد اللطيف برهة ثم سأل فجأة :
 - أيا صلح أى فراش عادى ؟
 - أجل مادام .. يقبل السفر .
 - ولماذا لا تأخذ عبد الراضى ؟
 وفتفت شهيرة :
 - أجل .. فكرة مدهشة .
 وتساءل الأب :
 - هل تظنون أنه يصلح ؟
 وأجاب عبد اللطيف متسائلا :
 - هل تريدون به مزايا معينة ؟
 - أبدا .. مخلوق عادى .
 - إنه نموذج لجميع البشر ..
 وتساءلت شهيرة :
 - أترأه سيقبل السفر ؟
 - دعى هذا الأمر لى .
 - وزوجاته الأربع ؟
 - سيكون الخلاص منهن .. أول دافع له إلى السفر .
 وسألت شهيرة أباه فجأة كأنما تذكرت أمرا :
 - هل قلت لهما ؟
 - ليس بعد .
 - متى تخبرها ؟
 - بعد أن نتطلق .
 - لماذا ؟
 - لتتجنب المناقشة ..
 - ولكن أنا .. لا بد أن أعد كل شىء للأولاد قبل السفر ..

- وماذا يمنعك ؟
- لا بد أن أخبرها عن سفرى فماذا أقول ؟
- قولى إنك مسافرة إلى بيروت .
- ولكنها ستقرأ الصحف .
- لا تدخلى الصحف إلى البيت .
- هل يمكن هذا ؟
- افعلى ما يحلو لك .. ولكن لا تدعيها .. تكلمنى .
رنهض الأب من مقعده وهوردف قائلا :
- عندنا اجتماع الآن .. وأرجو أن تنهى فيه بعض أسسور مازالت
معلقة ..
وخرجت شهيرة .. وعبد اللطيف .. وعند الباب وقف يودعها .. وقد
بدا شارد الذهن وهمس قائلا :
- أهذا معقول ؟
- أنا دم أنت على قرارك ؟
- مطلقا .. ليس المهم .. أين أكون .. ولكن المهم .. أن أكون معك .
وضغطت على كفه هامسة :
- شكرا .. دائما أجذك .. حيث أظن .. وحيث أرجو .. وحيث أريد .
وعاد عبد اللطيف إلى المجلة ، وقال لعبد الراضى .. ووافق عبد
الراضى على قوله .. موافقته على نوع من الهذيان .
ولكن الأيام مرت .. وبدأ الكشف والتدريب .. وأصبح الهذيان حقيقة
.. والحلم .. واقعا . وانطلقت السفينة بطاقمها .. القائد والمهندس والعالم
.. ومعهم الثلاثة .. ثلاثة أرانب (كما قال عبد اللطيف « تجرى عليهم
تجربة الوجود فى الكواكب يحلقون فى الفضاء .. فى الحقل الأزرق .. تبذر
فيه النجوم .

١١ - أسياذ الأرض الجديدة

استردت شهيرة نظرتها الشاردة فى الفضاء الأزرق الفسيح تهرق فيه فتات التجوم المبعثرة فى أرجائه .. وقطت فطفا جسدها متأرجحا فى خفة .. وأخذت تتلوى فى فراغ القمرة وهى تشعر بمتعة من قدرتها على أن تفعل أى حركة فى أى اتجاه .. وكأنها لاعبة أكروبات تقوم بحركاتها بغير جهد ولا مشقة . وهذأت أخيرا على حافة الفراش محاولة جهدها أن تستقر فى وضع الجلوس المعتاد .. وهى تجذب الفراش إليها حتى يلامس مقعدها سطحه .

ومدت يدها تضغط على الكراسة الطافية على المنضدة محاولة تثبيتها فى مكانها . وباليذ قلمها المعلق فى الهواء .. وأفلتت الفراش فعاد جسدها يصفو من جديد .

وأخيرا ثبتت نفسها فى وضع الكتابة ووضعت طرف القلم على حافة الكراسة .

اكتبى يا شهيرة .. فإن عليك أن تفعلى شيئا .. خيرا من هذه الحلقة والتمطى والشقلبة ..

حقيقة أن عملك الأصلى فى الرحلة .. أنت والفردتين الأخريين هو أن تكونوا موضع اختبار للوجود الإنسانى على ظهر الكوكب الجديد .. وأن كل ما هو مطلوب منكم هو مجرد الوجود ..

يكفى جدا للمستولين عن الرحلة أن توجدوا .. أن تعيشوا وتتنفسوا . وتأكلوا وتشربوا .. وأن تبقىوا بعد ذلك على قيد الحياة .. إذا تيسر لكم العيش ..

مجرد أن توجدوا هو مهمتكم الأولى .. أما غير هذا فليس عليكم مسئوليته .. كل ما هو مطلوب منكم أن تقبلوا الوجود وتخضعوا لتعليماته .. وتأثروا .. أو لا تأثروا به ، ويرقب الناس بعد ذلك .. ما حدث لكم .. فى دنياكم الجديدة . بكل ما قد يكن فيها .. من نعيم أو جحيم .

ومع ذلك يا شهيرة .. ورغم أنك - كما قال عبد اللطيف - مجرد أرنب تجرية .. أو فأر اختبار .. فإن عليك أن تفيدى من مغامرتك الكبرى .. يجب أن تفعل شيئا من أجل نفسك .. يجب أن تحققى المجد الذى تتوقين إليه .. يجب أن تهبطى إلى الأرض .. ليس كمجرد تجربة ناجحة .. ولكن .. كناجحة .. أو بظلة ..

ولكن كيف ؟ ..

بالكتابة ؟ !! وماذا يمكن أن تكتبى أكثر من أنك انطلقت بالصاروخ . مسمرة إلى مقعدك .. وأنت وصلت إلى الفضاء الفسيح .. كل ما حولك فراغ .. فى فراغ .. فى فراغ .. فراغ أزرق داكن تتلألأ فيه النجوم وتبدو فيه الأرض رمادية تحيطها زرقة خفيفة تتحول إلى لون الفيروز ثم البنفسج . ولقد قاله من قبلك جاجارين .. وفالتينا وغيرهما من رواد الفضاء .. ولا أظنك ممكن أن تضيفى إليه شيئا .

أتكتبين .. أنك تعومين على فراشك .. وتلهفين القلم من الهواء .. وماذا يمكن أن يكون العيش فى منطقة اللاجاذبية .. سوى هذا ؟ أكتبين شعرا ؟ حديثا ؟ مدغدغا . يرمه لك عبد اللطيف لكى يجعله شعرا .. موزونا .. ثم يضع اسمك تحته .. مللت هذه اللعبة يا شهيرة ..

وهى لعبة أرضية .. لا داعى لها فى الفضاء ..

إذن اكتبى .. أى شىء .. كل ماترينته وتحسين به .. اكتبيه .. وصورى بكاميرتك كل ما تستطيعين أن تصوريه . وعندما تهبطين إلى الأرض سيكون له ولاشك قيمة .. وسيعرفون كيف يجعلون منه شيئا فى

التليفزيون وفى الصحافة .. وإذا كنت لا تجد الآن شيئاً جديداً بالنسبة
لهم .. فعندما يبدأ الهبوط .. وعندما تستقر بكم السفينة على ظهر
الكوكب .. سيختلف الأمر .. وستصادف أشياء لا جدال أن أحداً من قبل لم
يسبقك إليها وهنا سيكون الشغل .. ستكون الخبطة التليفزيونية .. والسبق
الصحفى ..

وعلقت القلم فى الهواء وهمت بالاستلقاء عندما أبصرت عبد اللطيف
يقبل نحوها محركاً سائده وقدميه .. عائداً فى الهواء وتوقف بباب القمر
متسائلاً :

.. كتبت شيئاً ؟

.. كنت أحاول .

.. ونجحت ؟

.. ولا كلمة ..

.. أليس فى كل مارأيت ما يستحق الكتابة ؟

.. ليس به جديد مما يمكن أن يكتب ..

.. كل هذه الروعة ! .

.. هذه الروعة تستطيع أن تعبر عنها أنت بما تشيره فى نفسك من

أحاسيس .. ولكن أنا .. لأملك إلا وصفها بالكلمات المجردة .. أنا لا

أملك جديداً بالنسبة لها .. ولكن الجديد منها يمكن أن ينبع من نفسك .

.. تبالغين فى تقديرى .

.. أنت فتان ..

وضحك عبد اللطيف .

.. هذه صفة لم تعد تنفع الآن .. كنت أفضل أن أكون طياراً .. أو حتى

بهلواناً ..

.. لأظن الأمر سيحتاج منا إلى شيء من هذا ؟ .

.. من يدرى .. فى رحلة الهبوط قد يختلف الأمر .

وكان عبد الراضى قد أقبل يضرب فى الهواء .. يحرك ساقيه يحلر..
ولا يخطو خطوة إلا بعد أن يتأكد أن قدمه قد وصلت إلى أرض السفينة ..
وصاح به عبد اللطيف :

- مالك تمشى هكذا كأن الأرض ستغوص من تحتك ؟

- كأنها !! إنها فعلا كذلك ..

وضحكت شهيرة قائلة :

- دعها .. ولا يهملك .

- كيف !!

- لم تعد الأرض مهمة فى السير .

وهز عبد الراضى رأسه غير مقتنع وأجاب :

- طول عمرى أسير على الأرض .. وإذا لم توجد أرض تحتى لأستطيع

السير .. لم أسر أبدا على الماء .. أو فى الهواء .

ووضع عبد اللطيف يده على كتفه قائلا :

- اسمع يا عبد الراضى .. ليس هنا أرض .. أزل من ذهنك .. كل

ما تعرفه عن الأرض .. نحن فى الفضاء يا بنى آدم .. فى الهواء .. ننام فى

الهواء .. ونسير فى الهواء .

وهز عبد الراضى رأسه فى قلق وتساؤل :

- وإلى متى .. سنظل هكذا معلقين فى الهواء .. متى سنركز على

الأرض ؟

وردت شهيرة :

- هانت يا عبد الراضى .. لقد قرب موعد الهبوط .

وتسأل عبد الراضى فى فرحة :

- إلى الأرض ؟

- يعنى ..

ولم يفهم عبد الراضى وعاد يتساءل فى إلحاح موجه السؤال إلى عبد

- هل سنهبط إلى الأرض يا أستاذ ؟
- وأجابه عبداللطيف :
- سنهبط والسلام .. إلى الأرض .. إلى القمر ..
- القمر !! وهل هذا هبوط ؟
- أجل ..
- طول عمرنا نعرف أن القمر يطلعون إليه .
- إذن سنطلع إلى القمر .
- وقال عبد الراضى فى ضجر :
- ألم يكفنا طلوعا .. نريد أن نترل .. ياناس .. حرام عليكم .
- وسمع صوت عبد القادر يتسائل وهو يقبل فى الممر :
- ماذا بك يا عبد الراضى ؟
- وضحك عبد اللطيف قائلا :
- زهق من العوم .. يريد أن يستقر على أرض .
- انتهينا .. بعد ساعات سنبدأ عملية الهبوط ..
- وتسألت شهيرة فى حماس :
- هل تقرر الموعد ؟
- أجل ..
- أستطيع أن تأخذ فكرة عما سيحدث ؟ .
- ليست مجرد فكرة .. ستعرفون كل شيء عن خطة النزول .. فهيا بنا .. إن الكابتن سيعقد لنا اجتماعا قصيرا يشرح فيه كل شيء .
- وسار عبد القادر يتبعه الثلاثة متجهين إلى غرفة العمليات وكان عبد المهيم قائد السفينة قد اتخذ وضع الجلوس هو وعبد الخبير حول منضدة مستطيلة فى الغرفة المليئة بالأجهزة والأرزار . وقال عبدالمهيم مرحبا :
- أهلا .. تفضلوا .

والتفروا حول المتضدة وأمسك كل منهم بطرفها محاولين الهبوط على المقاعد المثبتة فى أرضية السفينة .

واستطرد قائد السفينة يقول :

.. أرجو أن يكون كل شىء على مايرام ..

ثم نظر إلى عبد اللطيف متسائلا فى رقة :

.. كيف الحال يا أستاذ عبد اللطيف ؟

.. محتمل .. رغم غرابته .

.. غرابته من أية ناحية ؟

.. يعنى .. العوم الذى نحن فيه .. والذى يجعل كل شىء سائبا لايعرف له مستقر ..

.. كنت أظنك سعيدا بالخلاص من وزنك ..

.. استمتعت بخفتى بعض الوقت .. ثم أحسست بأنى تائه .. سائب ..
بغير انضباط .. وبدا لى أن وزن الأشياء له قieme .. فهو يمنح الإنسان الإحساس .. بأنه قادر بإرادته على أبسط أنواع التغيير .. وهو تغيير الوضع .. وأن التطبيق الإرادى لقانون الحركة .. يهيم .. للإنسان الشعور بأول مظاهر القوة .. ويمنحه المتعة بالقدرة على تغيير أوضاع الأشياء التى تظل على حالها من الثبات أو الحركة حتى تطرأ عليها قوة .. تغير حالتها .. إن انعدام وزن الأشياء .. يفقدنا الإحساس بأبسط مظاهر القوة .. بعد أن أضحى كل شىء يتطوح ويتمرجح .. من مجرد اللمس .

وهز عبد المهيم رأسه قائلا وهو يتسمم :

.. مفهوم ..

ولكن عبد الراضى لم يبد عليه أنه قد فهم شيئا ، وكان منهمكا .. فى محاولة الجلوس .. وهو يحس بتعذر التصاق مؤخرته بالمقعد .. ويتوهم بأن لاشىء يحمله .. وأنه معرض للسقوط فى أية لحظة .

ولم يجد خيرا من الوقوف .. فرغم إحساسه بأن الأرض لاوجود لها

تحت قدميه .. وأنه قد يقع فى أية لحظة .. فقد فضل الوقوع - كما يقول
المثل - واقفا ..

وسأله عبد القادر :

- لماذا لا تجلس يا أسطى .. عبد الراضى ؟

- هكذا أريح .

- غير معقول أن تظل واقفا فى الاجتماع .

ورد عبد المهيمن

- أنا متعود على الوقوف .

ورد عبد المهيمن فى حزم :

- اجلس يا عبد الراضى .. فنحن هنا على قدم المساواة ..

وقال عبد اللطيف محاولا إنهاء المناقشة :

- اجلس يا عبد الراضى .. كأنك فى مجلس إدارة .

وتسأل عبد الراضى :

- أهذا مجلس إدارة ؟

ورد عبد المهيمن ضاحكا :

- تقريبا ..

- هل ستنظر فى المكافآت والعلاوات ؟

وأجاب عبد اللطيف :

- مكافآت إيد يا عبد الراضى . اجلس .. أمسك بطرف المنضدة .. كما

أفعل أنا واضغط جسدك لأسفل .. وألصق نفسك بالمقعد .

- كل ما أفعل هنا .. أجد نفسى أقرب ثانية !

ورد عبد القادر بصبر نافذ :

- قرب اغطس .. المهم أن تجلس الآن .. حتى ننتهى مما نود أن نقوله

فليس لدينا وقت كثير.

وجذب عبد الراضى نفسه إلى أسفل حتى مس المقعد .

وبدأ عبد المهيم حديثه قائلاً :
- لا أريد أن أضايقكم بالكثير من التفاصيل التي قد تزحم ذهنكم بلا
فائدة .

وقاطعته شهيرة قائلة :
- إننا نحب أن نعرف كل شيء ؟
ونظر إليها أبوها في ضيق قائلاً :
- لا يستطيعون أن تفهموا كل شيء ..
وقال عبد اللطيف :
- بل لن نستطيع أن نفهم أى شيء .. المهم أن نعرف متى سنبدأ
الهبوط .. وماذا يمكن أن يصيبنا خلاله .. حتى نأخذ فكرة مسبقة عن
متاعب العملية .

وقال عبد القادر :
- لن يصيبكم أى أذى .
- إذن ماهو المطلوب منا ؟
- لاشيء .. سوى أن تبقوا فى أماكنكم ؟
وقال عبد الراضى :
- بسيطة .. هذا .. أفضل مانستطيع أن نفعل .
وتسألت شهيرة :
- هل الهبوط متعب ؟
ورد عبد القادر :
- ليس أسوأ من الصعود .
وقتم عبد الراضى لنفسه :
- « استطعنا أن نحتمل الصعود باللبوعة .. ولكن ما العمل الآن ..
نجرب مشروب الأستاذ عبد اللطيف .. فقد يعيئنا .. على متاعب
الهبوط ؟ » .

ونظر إلى عبد اللطيف .. ومال عليه بجسده فكاد يتقلب على رأسه ..
لولا أن دفعه عبد اللطيف في كتفه دفعة عدلته .. ثم سأله في دهشة :

.. مالك يا عبد الراضى ؟

.. أبدا .. كنت فقط أتسأل ..

.. عن ماذا ؟

.. عن .. عن ..

وخفض صوته حتى بلغ حد الهمس ثم استطرد يقول :

.. .. عما إذا كان لديك .. شىء فى الزجاجة .

.. أية زجاجة ؟

.. الزجاجة إياها .. التى هربت بها معك ..

وانفجر عبد اللطيف ضاحكا وتساءل فى صوت عال :

.. لماذا يا عبد الراضى ؟

وبدا الحجل على عبد الراضى وقتم قائلا :

.. لا شىء .. لا شىء .. كنت فقط أظن أنها قد تعيننا على الهبوط؟.

وتساءل عبد المهيمن :

.. ما الحكاية ؟

ورد عبد اللطيف :

.. أبدا .. مسألة بسيطة بيننا .. سنحلها فيما بعد .

ونظر عبد القادر إليهما فى ضيق وقال :

.. يا جماعة .. دعونا تنهى عملنا ..

وعاود عبد المهيمن حديثه .. شارحا عملية الهبوط .

.. بعد ساعة سنبدأ الهبوط .. سيعود كل منكم إلى مكانه بعد

الاجتماع .. ويتناول كل منكم طعامه من إحدى الأنابيب الموجودة فى

صندوق الطعام ..

وقال عبد القادر معلرا :

— أرجو أن نكون حذرين فى المحافظة على كمية كل وجبة .. لأن لدينا من الطعام ما يكفى شهرا .

وتسأل عبد اللطيف فى جزع :

— شهرا .. هل منمكث شهرا ؟

— إنه طعام احتياطى للظروف .. ويجب أن نحافظ عليه .. لأننا لا ندرى ماذا يمكن أن يحدث .

وتتم عيد الراضى :

— إن شاء الله لا نحتاج إليه .

وعاد عبد المهيمن يقول :

— خلال ساعة .. يجب أن نكون على استعداد فى أماكننا .. يجب أن يستلقى كل منكم فى فراشه ويشد الأحزمة .. وبعد ساعة سنبدا الخروج من مدارنا حول الأرض .

وتسأل عبد اللطيف :

— نحن ندور الآن حول الأرض ؟

— طبعاً ..

— كنت أظننا فى حالة توقف تام ! .

— نحن لانشعر بالحركة لأنه ليس هناك كائنات مجاورة نشعرنا بالابتعاد عنها والاقتراب منها .. ولكننا ندور فى فلك خاص حول الأرض .. نحن كالقمر ..

ولم يملك عبد الراضى إلا أن يتسأل باسمها فى غبطة ؟ :

— أول مرة أسمعا .. أنتى كالقمر ؟ .

ورد عبد المهيمن مستمرا فى شرحه :

— فى حركته حول الأرض .. نحن فى مدار متزن مع جاذبية الأرض .. بحيث لا نغفل نحوها .. فنسقط عليها بحكم الجاذبية ولا نبتعد عنها فنندفع فى الفضاء بحكم جاذبية أى كوكب آخر .. وسنترك بعد ساعة هذا المدار ..

ونحاول الاقتراب من قمر المريخ الذى نقصده .. حتى نصل إلى منطقة
جاذبيته .. فتبدأ الهبوط .. بقوة هذه الجاذبية .. وهى أضعف كثيرا من
جاذبية الأرض .. ولن نحتاج إلى قوة كبيرة لمقاومتها .. وعندما نستقر فوق
أرضه الجديدة .. وقبل أن تغادر السفينة ..

وأحس عبد اللطيف بقلبه يدق فى شيء من الجزع .. وتساءل وهربجد
أن المسألة قد دخلت فى دور جاد :

.. هل سنخرج من السفينة ؟

.. طبعاً ..

وتساءلت شهيرة :

.. أولا هل تستطيع السفينة أن تهبط ؟

ونظر أبوها إليها فى ضيق متسانلا :

.. ماذا بك يا شهيرة .. هل تظنين أننا خرجنا إلى الفضاء .. لكى نهبط

إلى قمر المريخ .. بسفينة لا تستطيع الهبوط ؟

.. لقد كنت أظن أن الهبوط يحتاج إلى تجهيزات فنية فى مركبة أخرى

ملتصقة بالسفينة .

ورد عبد القادر :

.. إن السفينة نفسها معدة بهذه التجهيزات .. إنها قادرة على الهبوط

مباشرة على الأرض الجديدة .

واستطرد عبد المهيمن يقول :

.. قبل أن نصل إلى منطقة الجاذبية الجديدة .. سندور دورة حول القمر

الذى سنهبط عليه .. ومتبدل ملايمنا .

وقال عبد الراضى فى ارتياح :

.. سنخلص من هذا الهم الثقيل .

وقال عبد القادر :

.. لتضع أثقل منه .. سيرتدى كل منا البدلة الموجودة فى قمرة .

وتساءل عبد اللطيف :

- هذه البدلة الشبيهة بملابس فرسان القرون الوسطى ؟

وأردف عبد الراضى فى استنكار :

- هذا القزان والقصة سنحشو فيها جثتنا ؟

وقال عبد القادر فى لهجة مقتضبة :

- أجل إننا لانعرف نوع الهواء ولادرجة الحرارة .. ربما واجهنا الشمس

.. فأحرقتنا .. أو صادفنا الوجه الظليل فتجمدنا من البرد .

ورد عبد اللطيف فى جزع :

- ياساير ..

وهز عبد الراضى رأسه وتمتم فى أسى :

- شورتك المهيبة .. تعال يا عبد الراضى إلى فوق ..

واستطرد عبد القادر يقول :

- وقد يكون الجو غير صالح للتنفس .. المهم أننا سنجد داخل البدل .. ما

ينحنا الجو الذى نحتمل العيش فيه ..

وسألت شهيرة :

- إلى متى ؟

- إلى أن نكشف خارجها .. جوا صالحا ..

- فإذا لم نجده ؟

- نعود إلى السفينة .. لكن نعيد شحن البدل .. بما نحتاج إليه من

هواء وتكييف .

وتساءل عبد اللطيف :

- معنى هذا أننا لن نستطيع السير على الأرض الجديدة إلا بالبدل ..

- بصفة مبدئية .. أجل .

- وكيف نعيش بهذا الهم الثقيل ؟

- سنعمل ما نريد أن نعمله ..

ومتم عبد الراضى :
 - لن استطيع أبدا أن أعمل ما أريده ..
 ماعلينا .. ريتا ينهينا على خير .
 وتساءلت شهيرة :
 - ألايحتمل أن نجد جواصالنا للمعيشة العادية ؟
 وقال عبد المهيمن :
 - محتمل جدا .. إن البحوث قد أكدت وجود الأوكسيجين .
 والتفت عبد الراضى إلى عبد اللطيف متسائلا :
 - الأوكسيجين هذا .. يؤكل .. أم يشرب ؟
 - يتنفس .
 - يشتنفس .. وماله الهواء الذى تشتنفسه ؟ طول عمرنا .. تشتنفس
 هواء ..
 - إنه هو نفسه الأوكسيجين .
 - وما الغرابة فى وجوده .. أمعقول ألا يوجد هواء ؟
 - قد يوجد هواء .. ولكن ليس كالذى تشتنفسه .
 - رائحته وحشة ..
 - ليس رائحته .. ولكنه خائق .
 - ياساير ..
 نظر عبد القادر إلى الاثنين فى غيظ وتساءل :
 - وبمدين .. أرجوكم .. نريد أن تنتهى .
 وعاد عبد المهيمن يقول :
 - وغير الأوكسيجين .. يوجد بعض النباتات .
 وتساءل عبد اللطيف :
 - مثل ماذا ؟
 ورد عبد الراضى :

... يعنى حايكون ماذا ؟ . بالكثير .. خيار .. سريس .. كرات .. لا
أظن هذه الأرض المخسوفة سيكون بها أكثر من هذا .
... قد يوجد نباتات كبيرة .
وتساءل عبد الراضى فى دهشة :
... جميز ؟
... أقصد نباتات غير طفيلية .. وقد يكون هناك صور أخرى من الحياة ..
لا تعرفها على وجه التحديد .
وقالت شهيرة فى فرحة :
... إذن نستطيع أن نتحرك بسهولة على أرضها .
... يجب أن نحتاط ببذلة الفضاء أولاً . ثم نرى .. ماذا يوجد على
الأرض .. من مظاهر الحياة التى نألفها ؟ .
وصمت عد المهيمن برهة ثم قال وهينقر بالقلم على المنضدة :
... أعتقد أن هذا هو كل مالى لكم . وتستطيعون الآن أن تنصرفوا إلى
قمراتكم .. وتستعدوا للهبوط .
ترك عبد اللطيف جسده يقف وهو يتساءل :
... ومتى سترتدى هذا الترمس .. الذى سنحفظ به جسدنا من الموت
حرقاً .. أو التجمد برداً :
... عندما نصل إلى مدار القمر . ونبدأ فى الدوران حوله ..
... ومتى نعرف ذلك ؟
... سنخبركم بالطبع .
وسار الثلاثة يشرحون بأذرعهم وسيقاتهم متحركين فى جوف السفينة .
غادر الأرانب الثلاثة غرفة العمليات .. متجهين إلى أسرتهم يستلقون
عليها .. فى انتظار التجربة .
وبقى الثلاثة المسيطرون .. فى الغرفة .
وشد عبد المهيمن ذراعيه وساقيه متمطياً .. ثم عاد يشبت نفسه وراء

المنضدة قائلا :

.. والآن .. أمستعدون نحن ؟

ورد عبد القادر :

.. أنا مستعد .

وجه عبد المهيمن إلى الدكتور عبد الحبيب :

.. وأنت يا دكتور ؟

.. أعتقد أن كل شيء معد .

.. لكل احتمال ؟

.. مثل ماذا ؟

.. لو اضطررنا للبقاء مدة أطول .

.. أظن أن لدينا احتياطا لكل شيء لمدة شهر .

.. وإذا قضينا أكثر ؟

.. وله ؟

.. من يدري ؟

.. أظن الترتيبات قد عملت من الأرض للبقاء مدة أسبوع .

.. وإذا انقطعت الصلة بيننا وبين الأرض ؟

.. ومن الذى يقطعها ؟

.. نحن .

وتسأل عبد الحبيب فى دهشة :

.. ولماذا ؟

ورد عبد القادر :

.. ربما نجد فى الأرض الجديدة .. ما يغرينا بالبقاء .

.. وحدنا ؟

.. ربما لم نجد أنفسنا وحدنا .

.. ماذا تعنى ؟

- وأجاب عبد المهيمن :
- إن هناك بغير شك مظاهر للحياة .. وربما نجد هناك بشرا .
- وهب أننا وجدنا ..
- سيكون لدينا ما يغرى بالبقاء .
- أمجرد وجود بشر يغرينا بالبقاء ؟
- قد نجدهم فى حاجة إلينا .
- إلينا نحن ؟
- أجل .. بكل ما معنا من معدات . واختراعات وكل قدرتك على استنباط وسائل جديدة للحياة ..
- قد لا يكونوا فى حاجة إليها .
- نعلمهم كيف يحتاجون إليها .
- ولماذا ؟
- فنحنهم الحضارة .. والتقدم .
- وإذا رفضوها ؟
- ورد عبد القادر فى ضيق :
- أمعتول هذا ؟
- وقال عبد المهيمن ببساطة :
- تفرضها عليهم .
- وإذا ثاروا ؟
- دع أمرهم لنا .. إننا نعرف كيف نتعامل معهم .
- ولكن ماذا يجبرنا على ذلك ؟
- وقال عبد القادر :
- يجبرنا .. إننا سننظم أموره .. ونرعاهم .
- ماذا ماذا ؟
- ونحكمهم .. نصيح نحن .. أسياد الأرض الجديدة بكل ما عليها ..

وهز عبد الحبير رأسه فى دهشة وعناد يتساءل :
- ويمعدين ؟

ورد عبد القادر :

- ولاقبلين .. دعنا نمارس التجربة.. وابق أنت فى ميدان عملك .

ونهض عبد الحبير وهويهز رأسه :

- لم أكن أظن أن التجربة ستصل إلى هذا المدى .

وقال عبد المهيم فى هدوء :

- دعنا نر ..

وقال عبد الحبير :

- أجل .. على رأيك .. دعنا نر.. فربما لا نجد أى مظهر للحياة .. وربما

لا نجد سوى النيات .. نمارسون عليها سلطانكم ..

وغادر عبد الحبير الغرفة عائدا إلى قمرته .

وعندما خلا عبد المهيم بعبد القادر سأل فى صوت خفيض :

- لقد سأل الرجل السؤال الذى تشغلنى إجابته ..

- ماهو ؟

- وإذا ثاروا « ماذا ستفعل ؟

- إن لدينا من أدوات الردع مايكفى ..

- أمتأكد من سلامتها .. وصلاحياتها ؟

- جهاز إطلاق الغاز السام موجود .. كذلك جهاز الجراثيم .. ومولد

الشعاع الصاعق الذى ولفه هونفسه .. معد للاستعمال ..

وغيرها من الأجهزة التى يعرفها هو جيدا .. يمكن أن تتحول ببساطة

إلى أجهزة الموت ..

وصمت عبد القادر ثم أردف فى نفسه :

- إن لدينا كل أدوات الحضارة .. إذا قبلوها .. ولدينا كل أجهزة

التأديب .. إذا قاوموها .

- حسن .. لتبدأ الاستعداد للهبوط .

١٢ - ظهر القمر

خرجت السفينة من مدارها حول الأرض لتندفع في الفضاء مرة أخرى
متجهة نحو الكوكب المنشود واستلقى عبد الراضى مشدودا على فراشه
بالأحزمة كأحد الطرود .

لم تفلح معه الكأس التى جرعها من زجاجة الأستاذ .. كانت البلبوعة
أفضل كثيرا .. فقد ظل مفتوح العينين مشدود الأعصاب وأحس بجسده
يضغط فى الفراش حتى كادت عظامه تسحق ..

مالك ولكل هذا العذاب يا عبد الراضى ؟ ..

كانت الأرض لك سترة .. تجدها تحت قدميك ثابتة فى أى وقت تطؤها
.. وكان أقصى ماتركبه فيها هو السكة الحديد .. ترجرجك وتهزك ..
ولكنها توصلك فى آخر الأمر .. سليما ٢٤ قيراطا .

أنت تصعد إلى السماء ؟ .. وبالحياة ؟ ..

لو أنك صعدت ميتا .. لكان الأمر أهون كثيرا ..

هذه حكمة الله فى أن يأخذنا إليه أمواتا . حتى يسهل علينا

الصعود ..

لو أنك ميت لما أحسست بكل هذا .

أو لو كان معك بلبوعة أخرى ..

أو لو كانت هذه الجرعة التى أعطاه لك الأستاذ .. ذات مفعول ..

لدوختك .. وألقتك على الفراش بلا حراك .

ولكن الحق عليك .. كان يجب ألا تسمع كلام الأستاذ من أول الأمر ..

يريد هو أن يصعد إلى السماء .. فليصعد وحده .. أنت لست مكلفا بخدمته

فى السماء ..

ثم وأنت بهذا الشكل الذى ترقد فيه بلاحرك .. غير قادر على خدمة أحد .

وفوق ذلك كله .. إن أحدا هنا .. لا يحتاج إليك وإلى خدماتك .. التى تعجز عن تأديتها .

لأنت قادر على أن تفيد أحدا .. ولا أحد قادر على أن يفيدك .
وكان عبد اللطيف ملقى على فراشه .. متلاحق الأنفاس مغمض العينين .

إلى أين تنتهى هذه التجربة العجيبة ؟
... إلى أين يمكن أن يذهبوا ؟ أسهبطون حقا على الكوكب ؟
وكيف يمكن أن يجدوا الحياة فيه .. هل يمكن أن يارسوها .. بطريقة طبيعية ؟ . يسرون على أرضه ويتنفسون هواه ؟ .
وما شكل مخلوقاته .. آدمية .. بأذرع وسيقان ورؤوس تفكر أو وحوش ضارية .. تشابه مخلوقات ما قبل التاريخ .
ما الذى دفعه إلى هذه المغامرة العجيبة ؟ ..
ملاحظته لشهيرة ؟ .. وعجزه عن فرقتها .
ولكن ألا يمكن أن تضع هذه المغامرة .. حدا .. ليس لقرينه منها .. بل لوجوده فى هذه الحياة ؟ .

أيمكن أن يعود وإياها سالمين إلى الأرض ؟
ألا يحتمل أن تجد ما يجذبها فى الكوكب الجديد .. لتبقى به ؟
أنراه سيبقى معها ؟ .. ولم لا ؟ .
أمعقول أن يتركها وحدها ؟
ولكن ألا يمكن أن يجد من ينافس فى حبها فى الكوكب الجديد ؟
مشاكل جديدة تزحم رأسه .
ولكن ماله يشغل نفسه بها .. المهم أن يصلوا سالمين إلى الكوكب ..

وعليه أن يفكر بعدها فيما يمكن أن يحدث ..
وكانت شهيرة .. مصلوبة على فراشها .. مفتوحة العينين .. مزمومة
الشفتين .. وقد ضغطت ضروسها .. فى جزع ..
متى ينتهى هذا الاندفاع المزعج .. الذى يكاد يحطم جسدها على
الفراش ؟

متى سيصلون إلى حالة العوم التى كانوا فيها ؟
إنها على غرايتها أكثر أمنا .. وأبعث على الطمأنينة والارتياح ..
لقد ضاقت برقدتها .. المشدودة .. ولكن عليها أن تحتمل .. بعد برهة ..
سيبدأ الهبوط على الكوكب ..
ستبدأ المغامرة الحقيقية ..
ستكون أول امرأة على الأرض الجديدة ..
ولكن من يدريها أنها ستكون الوحيدة هناك .
ألم يقولوا إن هناك مظاهر للحياة .. أيمكن أن تكون هناك مظاهر حياة
بغير امرأة .

ولكن أى نوع من النساء ستلتقى هناك .. وأى نوع من الرجال ..
لعلها لا تجد هناك شيئا ببعض رؤسائها وزميلاتها .. حتى لا تدخل
من جديد فى صراع .. تلهبه الغيرة والأحقاد .
وكيف ستكون الحياة هناك .. أتراها سهلة ميسورة .. كيف ستأكل ..
وماذا ستلبس .. ؟ وأى المواد تنتشر هناك .
ولكن هل سيكون هناك وقت .. لكل هذا .
بل هل ستها لها الفرصة للخروج من هذه البذلة الشبيهة بالقفص ..
لتمارس أنوثتها على الأرض الجديدة ..
تجربة مثيرة .. هذه التى توشك أن تخوضها وعليها أن تنتظر ما يمكن
أن تأتى به الساعات القادمة ..
وفى غرفة العمليات كان عبد القادر يجلس مشدودا إلى مقعده وعينه

معلقة بالأزوار والأضواء .

كل شيء .. يسير على ما يرام .. ياعبده .

السفينة تسير فى طريقها المرسوم .. وبعد فترة ستصل إلى نهاية منطقة الجاذبية .. وسيبدأ الدوران بعد ذلك حول القمر المقصود من أحد أقمار المريخ .. وبعد بضع دورات .. تبدأ عملية الدخول فى منطقة جاذبية القمر.. لن يكون الهبوط شاقا .. ولن يصعب توجيه السفينة إلى منطقة الهبوط الملائمة .. والتي يمكن رصدها من غرفة المراقبة .. وبعد ذلك .. يتحقق الحلم .

ستهبط السفينة إلى الأرض الجديدة .

أرض بأكملها ستكون تحت سلطانهم ..

سلطان هائل .. هذا الذى يوشك أن يتحقق لك .. سلطان .. ليس على مجرد محافظة .. أو جمهورية .. أو اتحاد ولايات .. أو حتى على قارة .. بل على أرض بأكملها بكل ما فيها من قارات وبحور .. وأجواء ومخلوقات ..

كنت تحاول أن تكون محافظا .. وكدت تصل .. ولكن المؤامرات المضادة أبعدتك .. نجحت فى التغلب على مؤامراتك .. وخططك .
.. وكنت تحلم فى أعماق نفسك بالوصول إلى الوزارة .. فرئاستها .
.. وتتطمع فى أكثر من ذلك .
لم يكن هناك حد لطموحك ..

والآن .. يوشك .. أن ينطلق الطموح .. فى فسحة لا حدود لها .. فى أرض كاملة ..

سيتقدمك صاحب السلطان الشرعى .. الكاهن عبد المهيمن .. وستكون أنت عونه .. ووريثه .. فأنت فى حاجة إليه .. فى مرحلة السيطرة على الحكم .. فهو أكثر خبرة بالتعامل مع الناس .. وأشد تأثيرا عليهم .. ولكن أى ناس هؤلاء الذين ستعاملون معهم .. أبشر يقطنون الأرض

الجديدة ؟ ..

لا بد أنهم ناس .. ككل الناس .. لن تتعذر قيسادتهم .. باللين أو بالقوة ..

وليس عليك إلا أن تشقهم خطاهم .. وتفهم أفكارهم .. وتعبر عن مشاعرهم .. وتقضى حاجتهم وتسعى لتحقيق أمانيتهم .. فبتبعوك .. ولكن ماهى أفكارهم ومشاعرهم .. وما هى احتياجاتهم وأمانيتهم ؟ .. لا بد أنهم يفكرون . كما يفكر الناس الذين نعرفهم .. ويحسون بمشاعر من عرفت من أهل الأرض . ولن تختلف احتياجاتهم .. عن احتياجاتكم .. وأمانيتهم عن أمانيتكم ..

من يدري ؟ ..

... ألا يمكن أن يكونوا مختلفين ؟

... ولكن ألا يمكن ألا يكون هناك ناس أصلا ؟

مشكلة ..

سيصبح عليك .. أنت نفسك .. أن تصنع ناسا .. ولقد كنت من الذكاء .. وبعد النظر أن أحضرت معك أنثى .. وهى أنثى صالحة للتكاثر .. لقد أنجبت من قبل .. ويمكن أن تفرخ لك .. مواليد .. تصنع بها عالمك فى أرضك الجديدة . ولكن من الذى سينجب منها ؟ .. أنت طبعاً ..

فأحدهم أبوها .. لا يصلح .. والكابتن رجل عف ومتزوج .. وهو يجب أن يظل متصرفاً .. والأستاذ عبد اللطيف من أصحاب الهوى العذرى .. وعبد الراضى .. سيقوم بالخدمة .. إنه هو الذى سيكون صاحب النسل الجديد .. سيكون آدم الدنيا الجديدة ..

ولكن أى دنيا هذه التى ستقتصر على هذا العدد المحدود من

المخلوقات ..؟

لماذا لا يطلب من عبد الخبير أن يبحث عن وسيلة جديدة للتكاثر ..
لبذر المخلوقات .. كما تبذر الغلة .. فتثمر الأرض .. بسنابل الآدميين ؟
أترى ستصبح مشكلته فى الأرض الجديدة .. هى مشكلة التكاثر ؟
وأطلق تنهيدة من صدره .
لماذا يتعجل المشاكل ؟ ..
... لماذا لا ينتظر حتى يصل إلى الأرض الجديدة .. ويرى مشاكلها
الحقيقية ؟ .



وعلى مقربة منه كان يتمدد الدكتور عبد الخبير يفكر فى قلق .
ماذا ينسوى أصحابه .. وأى خطة يرسمونها . وأى هدف يريدون
تحقيقه ؟ ..
أيريدون حقاً البقاء فى الكوكب ؟
هل يريدون أن يستولوا عليه ؟ أتراهم قد جنوا ؟
... ولم لا ؟ ..
ألايحتمل أن يكون جنون الطموح قد دفعهم إلى هذه الخطوة ؟ ..
فى الأرض كان يدفع جنون الطموح بالقادة إلى غزو قارات شاسعة
ووضع شعوبها تحت سيطرتها .
فأى غرابة فى أن يحاول هذان المجنونان غزو كوكب بأكمله ..
والسيطرة عليه ..
ولكن كيف يحكمونه ؟ ..
بل ومن يحكمون .. أى نوع من البشر يمكن أن يعيش فى هذا
الكوكب الذى يريدون إخضاعه لسيطرتهم .
وأى مخاطر يمكن أن يلقوا بأنفسهم إليها .. وسط نوع مجهول من
الكائنات .. وماذا يدفع به هو إلى مشاركتهم فى هذه الخاطرة المروعة ؟ ..

لقد قبل المخاطرة على أنها نوع من الاستكشاف .. لأرض جديدة ..
ومعرفة جزء من الكون الهائل الذى نعيش فيه .. ولكنه لم يخطر بباله قط
أنها مقاومة غزو .. وسيطرة ..

إن كل ما يغييه هو المعرفة ..

كل ما يبذله من جهد يعتصره نفسه وذنه إنما هو خطوات نحو حقائق
جديدة .. وانتزاع لها من باطن ظلمات الجهل إلى أضواء المعرفة .
ولكن الحقائق لا يمكن أن تكون لها قيمة فى حد ذاتها إن لم تضاف
جديدا إلى حياة الإنسان .

الحقائق ليست تحفا .. ولا أدوات زينة .. يستخدمها الإنسان ..
لوضعها فى فائرنات التاريخ .. وإنما يستفيد منها فى تحقيق مزيد من
الرخاء والسعادة ..

ولكن أحقا .. يفيد الإنسان دائما .. بما يكتشف من حقائق ؟
أستعملها دائما لحيره وسعاده ؟ ..
أم يختلط عليه الأمر .. وتتحول الحقائق فى يده إلى أدوات تخريب
وتدمير ..

ولكن ماذا يستطيع كاشف الحقيقة أن يفعل .. أيجبها .. حتى لا
تتحول إلى أداة تدمير ؟

إذا كان لا يملك ضمانا لأسلوب استعمالها أحتفظ بها لنفسه .. أم
يطلقها .. يفعل بها الإنسان ما يشاء ؟ ..
وهل يملك غير ذلك ؟ ..

إذا كانت إساءة استعمال الحقيقة .. جريمة .. فحجبها جريمة أكبر ..
وليس على كاشف الحقيقة سوى أن يطلقها .. ولتتصارع فى استعمالها قوى
الشر والخير .. ويبقى مصير الإنسان معلقا فى أيهما تنتصر فى استعمالها
.. وإلى أى مصير تنتهى .. أ تكون عنصرا من عناصر سعادة الإنسان .. أو
أداة من أدوات إشقائه ؟ ..

وهو هنا .. لا يستطيع إلا أن يعمل .. وأن يكشف ما استطاع من الحقائق .. وأن يكون يعد ذلك إحدى القوى المتصارعة من أجل وضعها في سبيل الخير والسلام .

وفي حجرة المراقبة .. كان عبد المهيمن مشدودا على مقعده .. وعيناه تحلقان في الفضاء الذي تندفع إليه السفينة .
هذا هو الكون مفتوح أمامك يا عبد المهيمن .. بلا حدود ولا حدود ولا قيود ..

آمالك في أن تكون كبيرا .. عظيما .. لا يحول بينك وبينها حائل .. عظيم .. ليس في فصل دراسي .. ولا على رأس مظاهرة .. ولا في قيادة حزب .. أو رئاسة بلد ..
فكل هذا .. مهما بدا من كبره قبل أن تبلغه .. يضيق بطموحك .. عندما تصل إليه .. وتحقق آمالك فيه ..
طموح المجد لا حدود له ..

وعندما لا يملك الإنسان القدرة على الوصول لا تكون هناك مشكلة .. أكثر من محاولات متكررة للوصول .. وجهود لتحقيق آمال .. تبقى دائما مجرد آمال ..

ولكن المشكلة الكبرى عندما يملك المرء مواهب الوصول ... عندما يكون لديه القدرة على التميز .. وعلى تقدم الغير .. وعلى أن تتفق آماله مع بات المجموع .. وعلى أن يستمد أسباب مجده من تحقيق آمالهم .. هنا السباق بين طموحه .. وتحقيق آمال الغير ..

هنا تضيق الرقعة المحدودة .. الطموح غير المحدود ..
هنا تتجاوز آمال العظمة غير المحدودة مجالها المحدود .. وتتخطاها .. مجال أكبر يسمح بتحقيق مدى أكبر من الآمال ..
هنا تصبح المشكلة بين الآمال المطلقة .. والمجال المحدود .. لتحقيقها ..

مشكلة سباق دائم .. بين طموح غير محدود .. فى نطاق .. لا يملك إلا أن
يكون له حدود ..

ولكن هنا يا عبد المهيمن .. يبدو المجال غير محدود ..
بانطلاقك فى فضاء .. فسيح .. فسيح .. وإقبالك على مجال ..
للآمال .. بغير حدود .. ليس قرية .. ولا مدينة .. ولا بلدا .. ولا قارة ..
ولكنه .. أرض كاملة .. دنيا واسعة .. واسعة .. ببحورها وجبالها ..
وسهولها .. وهضابها ..
ومخلوقات .. خام ..

قابلة للصياغة .. والتحويل .. والتطوير ..
دنيا واسعة يا عبد المهيمن .. بعبئها .. وبدائيتها .. تشكلها كما تريد
.. وتصنع منها شيئا نموذجيا .. تنافس به .. أى عالم آخر .. وتحقق به كل
ما تختزنه من آمال وطموح .. فرصة لم تتح لبشر غيرك ..
أقبل عليها بكل ما تملك من ذكاء .. وقدره .. وجهد ..
ولكن ماذا .. إذا لم تكن .. كما تتصور .. شيئا خاما ؟ .. ماذا إذا
كانت تحمل كل ما يملك من تعقيدات .. ومشاكل ؟ ..
ستصبح المهمة أشق ..

ولكنك ستقدر عليها ..
قد تحتاج إلى القوة .. ولكنها لا تنقصك ..
إنك تملك كل أساليب الحكم والسيطرة ..
فأقبل على التجربة الكبرى .. وأطلق طموحك .. الذى لا حدود له
.. فى مجال .. يبدو بغير حدود ..
وفجأة بدأت السفينة تخف سرعتها .. وخف الضغط الذى يطبق على
الأجساد ..

وتنفس عبد اللطيف الصعداء .. وهو يهمس :
... الحمد لله .. يبدو أننا وصلنا أخيرا ..

وأحس بجسده يعاود الطفو فوق الفراش .. ولم تعد للأحزمة التى تشده إلى
الفراش قيمة .. فمد يده وفكها .. وأخذ يحرك أعضاءه بخفة .. متجها إلى
خارج القمرة ..

ووقف بباب قمرة عبد الراضى الذى بدا مغمض العينين ترتسم على
وجهه علامات الجزع .

وهتف به عبد اللطيف :

- عبد الراضى .. اصبح يا عبد الراضى .

ورد عبد الراضى وهو مغمض العينين :

- أنا صاح يا أستاذ .. هل تظن إنسانا يستطيع النوم فى هذا
المشوار المهبب ؟

- إذن انهض .

- كيف ؟

- فك الأحزمة وحرك نفسك ..

- هل وصلنا ؟

- أجل ..

وفك عبد الراضى الأحزمة فوجد جسده يطفو على الفراش . فتملكه
الفزع وصاح :

- كيف وصلنا .. إذا كنا مازلنا نعو فى الهواء .

- قد وصلنا إلى آخر منطقة اللاجاذبية . ونوشك على النزول إلى القمر .

وهز عبد الراضى رأسه فى يأس قائلا وهو يتنهد :

- القمر 11؟ القمر الذى أنار ليالينا السود .. سننزل إليه ؟

- ليس إلى القمر إياه .. ولكنه قمر آخر .

- يبقى ضحكك على العقول ..

- لماذا ؟

- عندما كنت تسهر الليالى .. هل كان هناك قمر غير قمرنا ؟

- لم نكن نراه بالطبع .
 - ولماذا كنا نرى قمرنا ؟
 - لأنه كان قريبا .
 وضعك عبد الراضى :
 - قمرنا كان قريبا .
 - أجل .
 - حلو !! ولماذا لم نصعد إليه ؟
 - غيرنا فعل .
 - ولماذا لا نفعل نحن ؟
 - نريد قمرا جديدا ..
 - بخيره !!؟
 - بالضبط .. قمرا .. لم يسبقنا إليه أحد .
 وهز عبد الراضى رأسه وهو يتأرجح فى الهواء .
 - والله ما احنا جاييينها البر . ربنا يستر .
 وقبل أن يرد عبد اللطيف سمع صوت حفيف خفيف .. ثم أبصر شهيرا
 تسير فى ممر السفينة مقبلة عليهما وكانت علامات الدهشة تبدو على وجهها
 وهى تتسائل :
 - أرايتما ؟
 ورد عبد اللطيف :
 - ماذا ؟
 - ألم تطلا بعد من النافذة ؟
 وهز عبد اللطيف رأسه فاستطردت تقول :
 - يخيل إلينا أننا اقتربنا كثيرا .. لقد أبصرت من النافذة منظرا يكاد
 يشبه مانراه من الطائرة فوق الأرض .
 - ماذا تعنين ؟

- أعني أنى أرى مسطحا مجعدا .. به نشوات وظلال تكسوها طبقة
من الضباب .

- أمعقول أننا اقتربنا إلى هذا الحد

- تعال انظر .

وجذبتة تجاه النافذة . ونظر عبد اللطيف عبر الزجاج قائلا :

- لا أرى سوى زرقاء السماء الداكنة تبرق فيها النجوم .

- انظر إلى أسفل .

ومد عبد اللطيف عنقه وألصق وجهه بالنافذة ونظر إلى أسفل فأبصر

سطحا رماديا منبسطا تبدو به أشياء كالخفر الصغيرة .

وتساءل في دهشة :

- أهذا هو القمر الذى سنهبط إليه ؟

وأجاب صوت من ورائه قائلا :

- أجل . هو بعينه .

وبدا عبد القادر وقد علت شفتيه ابتسامة غبطة واستطرد يقول :

- إننا نستطيع أن نرى سطحه بالعين المجردة .

وتساءل عبد اللطيف في دهشة وهو يحرك يديه وساقيه بخفة قائلا :

- ولكننا .. كما ترى .

- أجل .

وعاد عبد اللطيف يؤكد :

- إننا بلا وزن .

- هذا أمر واضح .

- يعنى فى منطقة اللاجاذبية .

- طبعا .

- ولكننا قريبون من الأرض .. إنها واضحة لأعيننا . كيف نكون مع

هذا القرب فى منطقة اللاجاذبية ؟

وضحك عبد القادر قائلا :

- إننا لسنا قريبين كما نتصور.. ونحن نرى الآن السطح الذي يواجه الشمس .. وهذه النقر الصغيرة التي تراها قد تكون بحيرات كاملة .. وما زالت أمامنا فرصة للاقترب أكثر.. لأن جاذبية هذا القمر.. أخف كثيرا من جاذبية الأرض ..

وصمت عبد القادر برهة ثم قال :

- إن الرحلة تسير بنجاح كامل حتى الآن ..

وقتم عبد الراضى قائلا :

- ربنا يتم بخير .

وعاد عبد القادر يتسائل :

- أنتم على استعداد للنزول ؟

وهمت شهيرة بالاندفاع إلى قمرتها قائلة :

- إننا لم نرتد بعد ملابس النزول ، وتسائل عبد اللطيف :

- أمفروض أن نرتديها الآن ؟

- لا .. لا .. ليس بعد .. إن إجراءات الهبوط ستأخذ بعض الوقت ..

ونحن نحاول الاقتراب ببطء إلى أكبر مدى في منطقة اللاجاذبية .. قبل أن يبدأ الدوران حول القمر استعدادا للهبوط .

وتسألت شهيرة :

- وما المفروض أن نفعل الآن ؟

- تستطيعون أن تستريحوا .. وتتناولوا الطعام .

وهز عبد الراضى رأسه وقتم متسائلا :

- نستريح كيف .. ونحن معلقون في الهواء ..

ألانستطيع أن نريح جسدنا على قطعة أرض ؟ ..

وقال عبد اللطيف وكأنه يتمم شكواه :

- ونأكل ماذا .. سوى ابتلاع هذه الأنابيب ؟

ورد عبد القادر :
 - تحملوا .. هانت .. كلها ساعة ونبدأ الهبوط .
 وضحك عبد اللطيف :
 - وتنحشر فى القزانات .. ونهبط إلى الجليد لنجمد أو إلى النار
 لنحترق .
 - ستحميكم حلة الفضاء .
 - حماية السجن لسجينه .
 - نأمل ألا يطول .. وأن ننطلق بعده إلى دنيا جديدة رائعة ..
 وأمنت شهيرة على قوله :
 - أجل .. إنى أتصورها .. جنة ..
 وعلق عبد اللطيف باختصار:
 - أرحيما .
 وتركهم عبد القادر عائدا إلى غرفة العمليات .. حيث وجد عبد المهيم
 يقف بجوار عبد الحبير وهم يطلون من النافذة .
 وقال عبد القادر منتشيا :
 - كل شيء يسير على ما يرام .. هذه أرضنا الجديدة .. تبدو تحت
 أقدامنا .. أشعر كأنى أستطيع لو مددت يدي أن أمس أطراف جبالها .
 وقال عبد المهيم :
 - ما زالت أماننا فرصة للاقتراب أكثر .
 وقال عبد الحبير :
 - لا نريد أن تقترب كثيرا .. حتى لا نتجاوز منطقة اللاجاذبية فننجذب
 إليه فجأة قبل أن نستعد للنزول ..
 وضحك عبد القادر قائلا :
 - لا تحمل هما .. فهذا القمر يبدو بلاجاذبية .. حتى ليخيل إلى أننا
 نستطيع لو شئنا أن نلقى بأنفسنا عليه فتهبط كما تهبط أوراق الشجر .. أو

ريش الطير .. ننتهاوى فى الهواء فى خفة حتى نلمس سطح الأرض .

وأجاب عبد المهيمن قائلا :

— على أية حال إن علينا أن نعد معدات الهبوط .

وقال عبد القادر :

— جاهزة .

والتفت عبد الخبير إلى لوحة الأزرار التى تملأ الحائط المقابل .. وبدت

الدهشة على وجهه وتساءل :

— يبدو كأننا وقفنا عن الحركة .

وانتقلت الدهشة إلى وجه عبد الخبير وعبد المهيمن وهتفا فى نفس

واحد :

— عجيبة !

ثم استطرد عبد القادر قائلا :

— قد يكون بالأزرار عطل .

وقال عبد الخبير :

— غير معقول .

واقترب من لوحة فى أحد الأجناب واستطرد يقول فى مزيد من

الدهشة :

— إننا ندور حول القمر .

وقال عبد المهيمن :

— لابد أن مجموعة الصواريخ الأخيرة قد عطلت .. وكفت عن دفع

السفينة .. فبدأت دورانها حول القمر .

ورد عبد الخبير :

— إنها تدور ببطء شديد .. وتكاد تبدو واقفة .

وبدأ عبد القادر فحص الأجهزة .. ثم دخل فى باب جانبي . وعاد

يقول وقد بدت على وجهه علامات الجزع وهو يقول :

.. لقد عطلت كل الصواريخ .
وهتف عبد المهيمن وهو يحاول أن يتمالك :
- كيف ؟
- لست أدري .
- أتوقفت تماما ؟
- تماما .. حتى المجموعة التي ستهبط بها إلى القمر .. تبدر عاطلة ..
واتجه عبد القادر إلى باب آخر في عجلة وهو يقول :
- سأرى المجموعة التي ستعيدنا إلى الأرض .
وبعد لحظة عاد وقد علا وجهه شحوب شديد وهو يهتف قائلا :
- حتى هذه قد عطلت .
وهز عبد المهيمن رأسه في يأس قائلا :
- معنى هذا أننا سنبقى معلقين هنا .. إلى الأبد .
وتسائل عبد الحبير في دهشة :
- ولماذا لا نطلب النجدة من الأرض ؟
وتبادل عبد القادر نظرة يأس مع عبد المهيمن وسادت فترة صمت ثقيلة
ثم قال عبد المهيمن :
- لافائدة .. لقد قطعت المواصلات بيننا وبين الأرض .

١٣ - مجرد فكرة

عطلت الصواريخ المحركة ولم يعد هناك قدرة على دفعها أو توجيهها ..
بعد أن أشرفت على الأرض الجديدة التي كانت وشك أن تهبط إليها .
ووقف عبد المهيمن يلقي نظرة شاردة من نافذة غرفة المراقبة عبر الفضاء
إلى الأرض الفسيحة المستدة في الفراغ الأزرق الداكن .. لا يكاد يبدو منها
إلا وجه رمادي مغبر لا تبين معالمه .

وأطلق من أنفه زفرة قصيرة ساخرة وتمتم في صوت خفيض :
- بعد أن وصلنا إلى مشارف الأمنية .. وباتت منا على مرمى البصر
.. ومطال اليد .. ينهار كل شيء .. يتبدد الأمل .. وينقشع الحلم ..
ورد عبد القادر في نبرة يائسة وهو يقف بجوار قائد السفينة .. وقد
علت وجه علامات الأسى :

- أمر غير معقول .. بعد كل هذا الجهد والتدبير المحكم .. وبيننا وبين
الدخول إلى منطقة الجذب .. دقائق معدودات .. ينهار كل شيء ..
وصمت لحظة ثم استطرد يقول :

- لو أننا فقط نستطيع دفع السفينة إلى منطقة الجذب .

وتسأل عبد المهيمن :

- وماذا نفعل بعد ذلك ؟

- نتركها تهبط بالجاذبية .

- وكيف نسيطر عليها .. عند الهبوط ؟

- نتركها للقدر ..

- حتى تنهشم على سطح القمر .

- المفروض أن الجاذبية أضعف كثيرا من جاذبية الأرض .. إنها لا تكاد
تبلغ جزءا بسيطا منها .

- بسيط .. أو غير بسيط .. لا بد لها فى النهاية أن ترتطم بالسطح .

- ربما سقطنا .. على الماء .

- ومن يضمن وجوده ؟

- إن علينا أن نغامر .

- على أية حال .. إن المغامرة قد باتت مستحيلة .. بعد أن عطلت كل

الصواريخ .. وبعد أن بتنا عاجزين عن الخروج من منطقة اللاجاذبية ..

- مصيبة .

وهز عبد المهيم رأسه وقال فى سخرية :

- كل شيء كان يخطر ببالى .. إلا أن أنتهى .. ضالا فى الفضاء .

وأردف عبد القادر بشرة يائسة :

- وراء قضبان سجن .. معلق بين السماء والأرض ..

وصمت عبد المهيم برهة ثم عاد يتسائل :

- ولكن لماذا وراء قضبان السجن ؟

- ماذا تعنى ؟

- لماذا لانخرج ؟

- إلى أين ؟

- إلى الفضاء .. إلى الدنيا الواسعة ..

إذا كنا قد حكم علينا أن نقضى هنا .. فلماذا فى هذا الجحر .. لماذا

نجلس لنتنظر مصيرنا فى عجز واستسلام ؟

- تريدنا أن نغادر السفينة ؟

- لم لا ؟

- لنهيم على وجوهنا فى الفضاء ؟

- أى شيء أفضل من الانتظار ..

- وترتدى حبل الفضاء ؟

- طبعاً ..

وهز عبد القادر رأسه وأخذ يجيل الفكرة في ذهنه وقال بعد لحظة :

- معقول .. ننتقل سائرين في الفضاء .. بدل أن نجلس هنا في عجز ..

ومن يدري ربما استطاع كل منا أن يبلغ منطقة الجذب .. فيندفع إلى الأرض .

والتفت إليه عبد المهيمن متسائلاً :

- أتظن هذا ؟

- ولم لا ؟

- ماذا تظن المسافة إلى منطقة الجذب ؟

- أستطيع أن أحدد بالضبط .

- ولكنها قد تصل إلى مئات الأميال .

- وهبها كذلك .. ألا يحتمل أن تقطعها سائرين .

وأقبل عبد اللطيف ووراءه عبد الراضى وقد بدا عليهما القلق ..

وتسالم عبد اللطيف وهويطل من باب القمرة :

- سائرين ؟ . إلى أين ؟

ورد عبد القادر وهويطلق تنهيدة :

- إنها مجرد فكرة ..

وحاول عبد اللطيف أن يحصل على مزيد من الشرح فتسالم :

- فكرة عن ماذا ؟

ورد عبد المهيمن وهويحاول أن يجلس على أحد المقاعد :

- إن المسألة تحتاج إلى شرح .. لقد حدثت أشياء خطيرة .

وتسالم عبد اللطيف في جزع :

- خطيرة .. من أى نوع ؟

وأجاب عبد القادر :

.. لقد تعطلت السفينة .

.. كيف ؟

.. إنها لا تستطيع أن تغادر منطقة اللاجاذبية .

وبساطة تسامد عبد اللطيف :

.. وماذا فى ذلك ؟

.. لن نستطيع أن نهبط إلى القمر .

قال عبد الراضى فى تشف :

.. أحسن .. نعود إذن إلى الأرض .

ورد عبد القادر فى عصبية :

.. لا نستطيع .

وقال عبد الراضى فى استسلام :

.. إذن نبقى .

.. إلى متى ؟

.. إلى أن يحلها الحلال .

.. كيف ؟

وهز عبد الراضى رأسه وتلفت إلى عبد اللطيف قائلاً :

.. قل لهم يا أستاذ .. فأنا لأنهم فى هذه الأشياء .

وقال عبد اللطيف :

.. ننتظر حتى يرسلوا إلينا سفينة نجدة تجرنا .. أو نحملنا فيها .

وقال عبد المهيم فى لهجة مقتضية :

.. لأحد يعرف مكاننا .

وقال عبد الراضى فى دهشة وهو يضرب كفا بكف :

.. يعنى تهنا بالعربى .. وقعنا ولم يسم علينا أحد .. ولكن لماذا

لا يرسلون راعنا متاديا .. ينادى يا أولاد الحلال .. مين شاف سفينة تايهة

فى الفضاء ؟

ونظر عبد القادر إلى عبد الراضى فى غيظ وقال له ناهرا :
- أتمرح ؟

- أبدا والله .. أتكلم جادا .. إما هذا .. أو يبلغوا عنا الهوليس ..

ونظر عبد اللطيف إلى عبد الراضى نظرة زاجرة وقال له :

- عبد الراضى .. اسكت أنت بلا هبل ..

ووضع عبد الراضى كفه على فمه قائلا :

- هب .. سكتنا .. حلوها انتم .

وعاد عبد اللطيف يتسائل :

- كنتم تقولون .. نذهب سائرين .

وقال عبد المهيمن :

- كان هذا مجرد اقتراح .

وعاد عبد اللطيف يتسائل :

- سائرين إلى أين ؟

ورد عبد القادر :

- إلى القمر .

لم يملك عبد الراضى نفسه من الانفجار ضاحكا :

- تسير إلى القمر ؟

والتفت إلى عبد اللطيف هامسا :

- لو قلت هذا .. فى جلستنا إياها .. مع الشلة .. لقالوا عنا مسطولين

.. ولكن هنا ..

وكانت شهيرة .. قد أقبلت بعد أن أصابها القلق من طول الانتظار

وفوجئت بصيحة عبد الراضى وتساؤله عن السير إلى القمر ..

فهتفت متسائلة :

- ما هذا التخريف يا عبد الراضى ؟

والتفت عبد الراضى إلى عبد اللطيف قائلا :

- ألم أقل لك يا أستاذ ..

ووجه الحديث إلى شهيرة قائلا وهويشير إلى عبد القادر :

- أنا لم أقل هذا .. الباشمهندس هو اللي قال .

وقال عبد القادر متمتما :

- إنها مجرد فكرة .

وتساءلت شهيرة مذهولة :

- فكرة !! أن نسير إلى القمر..

وقال عبد المهين في حزم :

- أن نموت هنا ..

وقال عبد اللطيف متسائلا ببساطة :

- وإذا سرنا إلى القمر.. لن نموت ؟

ورد عبد القادر :

- جائز .

وعاد عبد الراضى يضرب كفا بكف وهو يقول :

- أنا أسير إلى القمر ؟ .. كانت أمى بهانة تخشى على أن أسير إلى

البندر .. حتى لاتصدمنى المستعجلة .. ماذا تقول عندما تسمع أن ابنها عبد

الراضى .. طالع يتمشى للقمر..

ونظرت شهيرة إلى عبد اللطيف مستفسرة وتساءلت :

- ولكن كيف نسير إلى القمر .. ولماذا ؟

- لأن السفينة عطلت ..

- ولكن كيف تعطل السفينة ؟

ورد عبد الراضى :

- حرنت .. كما تحرن الحمامة على الطريق .. قسمتنا .

- إذن نهود .

- السفينة حرنانة ياست شهيرة .. لاتريد أن تنزل إلى الأرض .. أو

تطلع إلى القمر..
 - أمعقول هذا ؟
 - هكذا قالوا .
 - ولكن كيف سنسير ؟
 ورد عبد المهيمن :
 - إذا استقر أمرنا على السير.. سنرتدى بذل الفضاء ونسأب عن
 السفينة الواحد بعد الآخر .
 - إلى أين ؟
 وهز عبد المهيمن رأسه قائلا :
 - إلى أى مكان ..
 وفى تلك اللحظة أقبل الدكتور عبد الحبير من حجرة العمليات وقد بدا
 عليه الشروع .. واندفعت إليه شهيرة متسائلة فى جزع :
 - أعرفت ؟
 وأطرق عبد الحبير وقال فى هدوء :
 - أجل .
 - أمعقول .. أن نذهب إلى القمر سائرين ؟
 ورفع الرجل رأسه مأخوذا وقال :
 - سائرين ؟ .. إلى القمر؟ من قال هذا ؟
 وقال عبد المهيمن :
 - إنه مجرد اقتراح ندرسه .
 - اقتراح بأن نسير إلى القمر.. أهذا معقول ؟
 - ليس هذا بالتحديد .. ولكننا فكرنا .. إنه خير لنا .. من البقاء
 مسجونين فى السفينة .. منتظرين نهايتنا المحتومة .. أن نخرج لنواجه
 مصيرنا ..
 - نواجهه أين ؟

.. فى الفضاء .. نسير .. نتحرك .. نشطلق .. نفعل أى شىء ..
 غيرالبقاء حتى نموت جوعا ..
 وأردف عبد القادر متمتما :
 .. وقد يساعدنا الحظ فنبلغ فى سيرنا منطقة الجذب ..
 وأكمل عبد الخبير :
 .. فنهوى خطاما .
 - من يدري .. ربما نهبط على أرض ليثة .. أو فى الماء .
 واستطرد عبد المهيمن يكمل حديثه :
 .. أو نعلق على فرع شجرة .
 وهز عبد اللطيف رأسه وتتم قائلًا :
 - مصير لا بأس به .. يهوى الإنسان من الأرض على القمر .. ليعلق
 كالغراب على فرع شجرة .. هذا هو آخر المطاف ؟
 وهز عبد الخبير رأسه مستنكرا :
 ... لا .. لا .. أنا شخصا .. لن أغادر السفينة .
 وقال عبد الراضى مؤكدا :
 .. ولا أنا .. لقد تهت مرة .. فى ميدان العتبة .. أمعقول أن أخرج
 لأخوض وحدى .. فى .. فى .. فى ماذا ؟ .. لأعرف حتى ماذا أسميه ..
 فى الأرض .. فى القمر .. فى الكون الواسع ..
 وعاد يهز رأسه قائلًا فى حزم :
 - لا .. لا .. يفتح الله .. سأذهب وأتمدد على فراشى .. وأظل أبلغ فى
 الأنايب حتى يحدث أمر الله .
 ووجه عبد المهيمن القول إلى عبد الخبير متسائلا :
 - ولكن .. أية فائدة تراها فى البقاء فى السفينة ؟
 - احتمالات العثور علينا أسهل .. لو أنهم فكروا فى إرسال شىء
 لنجدتنا .. ثم احتمالات إصلاح الصواريخ .. والهبوط أو النزول .. أو عمل

أى شيء .. ثم إننا فى السفينة .. أكثر أمانا وراحة .
وسأله عبد القادر :

- إلى متى ؟ .. إلى أن ينتهى طعامنا ؟

- إن لدينا منه مايكفى شهرا .

- وبعد الشهر ؟

- يحدث ماحدث .

- نقضى كالجرذان .. داخل السفينة .

- وإذا انطلقنا سنتساقط كالعصافير .. أو السمان .

- ولكننا قد نبلغ الهدف .

- أى هدف ؟

- نصل إلى القمر .. ونحقق خطتنا .

- أما زلتم تفكرون .. فى الخططة .. أهذا معقول .. بعد كل الذى نحن

فيه ؟

وقال عبد المهيمن :

- إذا كان الموت أمرا لا بد منه .. فلماذا نضيع سدى .. لماذا لا نموت

فى سبيل تحقيق هدفنا ؟

وبدأت شهيرة فى البكاء قائلة :

- أحقا ستموت .. أهذه هى نهايتنا ؟

ومد عبد اللطيف يده يربت ظهرها فى رفق وقال مهدئا :

- اهدئى يا شهيرة .. مازال أماننا شهر .. ولا بد أن يحدث شيء فى

خلال هذا الشهر .. إن أباك يقول إنهم قد يعثرون علينا .. وقد تصلح

السفينة .

وقال عبد القادر :

- وقد نصل إلى القمر .. إذا دأبنا على السير .

ونظر عبد الراضى إلى عبد القادر نظرتة إلى مخلوق غريب وهمس

لعبد اللطيف :

- الباشمهندس .. بلغ شيئا .. إنه مصر على المشى إلى القمر؟

وقال عبد المهيمن :

- على أية حال .. إن الفرصة مازالت واسعة أمامنا .. لكى نحاول

إصلاح الصواريخ .

وهز عبد القادر رأسه قائلا :

- لافائدة ..

واستطرد عبد المهيمن يقول :

- أو ننتظر لمجدة من الأرض ؟

- فإذا لم تصل !؟

- عندما نياأس من كل المحاولات .. ولايعود أمامنا سوى الموت فى

السفينة جوعا .. أظن البقاء يصبح نوعا من الانتحار ؟.

وتسأل عبد الحبير :

- وماذا يفيد الخروج ؟

- مجرد محاولة للنجاة ..

- محاولة يائسة مقضى عليها بالفشل .

- لو أن بها احتمالا للنجاة واحدا فى الألف .. فإن من الحماقة

الأنحاولها .

وقال عبد القادر :

- من رأى أن نمكث حتى لايبقى أمامنا سوى فرصة أسبوع .. ويعد

هذا .. ننطلق .

وأيد عبد المهيمن رأيه قائلا :

- أجل .. نأخذ ماتبقى من الطعام .. ونرتدى حبل الفضاء ونترك

السفينة ، ونصاب فى الفضاء .

وتسألت شهيرة فى حيرة :

.. ولكن أين نتجه ؟
 .. إلى القمر .
 .. أيمن أن نصل ؟
 .. لو تجاوزنا منطقة اللاجاذبية .. فحتما سنصل .
 وتمتم عبد الحبير :
 .. أجل .. حتما سنصل .. ولكن على أية حال ؟
 .. أيا كان الحال الذى سنصل عليه .. فلا جدال أنه خير من الحال الذى
 سنكون عليه إذا بقينا هنا ؟
 وصادت شهيرة تتسائل مأخوذة مرتاعة :
 .. ولكن .. ولكن .. هل سنجد هناك شيئا .. أعنى شيئا يبقينا على
 قيد الحياة .. لو أننا وصلنا ؟
 ورد عبد المهيمن :
 .. نحن وقدرنا .. إنها مغامرة .. ولكن .. مهما كانت نتائجها .. فلن
 يكون مصيرنا فيها .. أسوأ .. من مصيرنا هنا .
 وقال عبد القادر محاولا أن يخفى ما به من قلق :
 .. المفروض أن هناك مظاهر للحياة .. وإن كان لا يبدو بها من هنا أية
 علامات ..
 وتنهد عبد الحبير قائلا وقد بدا عليه الشroud :
 .. قد لا تظهر بالعين المجردة .
 وقال عبد المهيمن :
 .. ولا بالتلسكوب .
 ورد عبد الحبير فى ثقة :
 .. ولكن تبدو بشيء آخر ؟
 .. ماذا تعنى ؟
 .. بجهاز الرؤية الفضائى ..

- لم أستطع أن أرى به شيئا .. يحتاج إلى تعديل فى العدسات .
- واستعمال لشعاع خاص .. والاستعانة بالأجهزة الإلكترونية .
- وهز عبد القادر رأسه متسائلا :
- هل استطعت أن تستعمله ؟
- أجل ..
- وتساءل عبد المهيمن فى دهشة :
- ورأيت شيئا ؟
- بالطبع ..
- ماذا رأيت ؟
- وقال عبد القادر :
- هل رأيت بشرا ؟
- وهز عبد الحبير رأسه :
- لا .. لا .. ولكن رأيت مساحات خضراء هائلة .. مليئة بالنباتات .
- وقال عبد اللطيف :
- ما دام هناك نباتات .. فلا بد أن هناك بشرا ؟
- لا أستطيع أن أميز شيئا .
- وتساءل عبد الراضى :
- ولاحيوانا ؟
- لم أر أى كائن حى .
- وقالت شهيرة :
- ربما كانوا فى البيوت ..
- لم يكن هناك بيوت ..
- وتساءل عبد القادر :
- إذن من زرع النباتات ؟
- إنها مساحات هائلة من الأشجار .. لا أظن أحدا زرعها .

.. لا بد أن يكون هناك حيوانات تعيش فى الأدغال .. ولكنك
لاستطيع أن تميزها ؟

.. ربما .. المهم أنه لم يكن هناك أى أثر لكائن يتحرك .

وقال عبد المهيمن :

.. على أية حال .. مادامت هناك نباتات .. فلا بد أن تكون هناك مياه
.. وإذا كانت هناك مياه .. فلا بد أن تكون حياة .. هذا شيء يبحث على
الأمل .

وأكمل عبد القادر حديثه قائلاً :

.. وتجعلنا نقدم على المغامرة ..

ثم وجه الحديث إلى عبد الخبير متسائلاً :

.. ألم يشجعك وجود الحياة ، على الإقدام على عملية النزول ؟

وتسأل عبد الخبير فى استنكار:

.. كيف .. مشياً فى الهواء .. أهذا معقول .. إن المسافة بيننا وبين
منطقة الجذب .. لا يمكن قطعها فى أقل من بضعة شهور . لو أننا نتحرك
ليل نهار .. ثم إننا لاستطيع السيطرة .. على توجيه أجسادنا فى الفراغ ..
إنها مغامرة غير معقولة .

واندفعت شهيرة فى البكاء قائلة :

.. إذن لا فائدة .. لا فائدة .. لأمل فى النجاة .. لقد حكم علينا
بالموت .. ماذا سيفعل الأولاد بذكرى .. آه يا أولادى .. آه يا محمود .. آه
يا راوية ..

وحاول أبوها طمأننتها قائلاً :

.. لا داعى لكل هذا يا شهيرة .. إننا لم نفقد الأمل بعد .. إنى سأبذل
جهدى لأجد وسيلة للاتصال بالأرض .. أجل .. لا بد أن أفعل شيئاً .. إن
لدينا فى السفينة طاقات هائلة .. وإمكانات لا حد لها ..
ونظر عبد اللطيف إلى الدكتور عبد الخبير وقال له متوسلاً :

- أرجوك يادكتور.. افعل شيئا .. لا تتركنا هكذا .

وقال عبد الراضى :

- الله يعمر بيتك يادكتور .. الله لا يرقد لك جنة فى فضاء .

وقال عبد المهيمن فى لهجة ضيق :

- على أية حال .. أرجو أن تعودوا إلى حجراتكم .. وأن تهدوا ..
إن الوقت مازال أمامنا طويلا .. ولا معنى لهذا الفرع .. إن لدينا من الطعام
ما يكفيننا شهرا .. وإذا اقتصدنا فيه فقد يكفيننا أسبوعا أكثر .. فأرجو أن
تعودوا إلى أماكنكم وتمنحونا فرصة العمل ..

وتسالم عبد اللطيف :

- ولكن ألا يمكننا أن نرى منظر الأرض الجديدة التى كنا نوشك أن
نهبط إليها ؟

- طبعاً سترونها .. ولكن أرجوكم الآن أن تتركونا قليلا .. تفضلوا .

واستدار عبد اللطيف تتبعه شهيرة ثم عبد الراضى وهريتم قائلا :

- هذا مانابنا منك يا أستاذ .. فموت معلقين فى الفضاء .

والثفت إليه عبد اللطيف وقال ساخرا :

- وفرت على روحك المشوار.. وعلى أهلك الدفنة .. لقد طلعت بنفسك
إلى الله ببساطة ودون أية إجراءات أرضية مزعجة .. ماذا تريد أكثر من
هذا ؟

- أريد أن أريح جنتى .. فى الآخرة .. بعد طول رمع فى الدنيا .. بين
المكاتب والمطبعة . كنت أظن أن الموت سيرحمنى من الشحطة والمرمطة ..
ولكن يبدو أن الشقاء كتب علىّ فى الدنيا والآخرة ..

وقالت شهيرة فى جزع :

- لاتذكروا سيرة الموت .. إننا لن نموت .. سنعود إلى الأرض ..
وسنقص مغامرتنا على الناس .. ستكون أول من تاه فى الفضاء .. سيكتبون
عنا مائشيتات فى صحف العالم كله .. أول امرأة .. تنزه فى الفضاء .. ما

رأيتك يا أستاذ عبد اللطيف ؟

— سبق عجيب .. والأعجب منه .. لوقمنا بالمغامرة إياها .. وخرجنا
نتمشى حتى القمر .. تصورى ماتشيت « أول امرأة تذهب إلى القمر .. سيرا
على الأقدام » .. و ..

وقاطعه عبد الراضى قائلا :

— أى أقدام يا أستاذ .. إننا سنذهب على الأقدام والأرجل .. والرؤوس
.. سنعموم فى الهواء كما نفعل الآن .. لوأنا نسير .. لهان الأمر .. إن قدما
أمام قدم .. تعنى .. خطوة للأمام .. حركة فيها بركة .. ولكن بالطريقة
التي نفعلها الآن .. ونحن نترنح .. ونتطوح .. نخطو خطوة لأمام واثنين
للخلف .. لن نعرف .. متى نصل .. وإلى أين نصل ؟.

— على أية حال .. سيصبح السبق أكبر .. سيقلون عنا .. أول من
يصعدون إلى القمر .. متطوحين .

ونظرت شهيرة إليهما وقالت :

— يبدو أنكما فائقين .. أهذا وقت مزاح !!

ورد عليها عبد الراضى قائلا :

— خليها على الله ياست شهيرة .. هو الذى أحضرنا .. وهو القادر
على إنزالنا .. سالمين .. مامن خطوة نخطوها إلا بإذنه .. يعلم ما بين أيدينا
.. وما خلفنا .

واتجهت شهيرة إلى قمرتها قائلة :

— عن إذنكم ..

وقبل أن تعبر الباب همس عبد اللطيف لها قائلا :

— لا تحملى هما .. إنى معك دائما .. بقيت فى السفينة .. أو سرت إلى
القمر .. وسأحتفظ لك من طعامى .. ما يمنحك فرصة أطول للبقاء ..
والتفتت إليه شهيرة وعلت شفيتها ابتسامة رقيقة وأجابته :
— إن وجودك معى .. يمنحنى الراحة والثقة .. أعادنا الله سالمين ..

ودخل عبد اللطيف إلى قمرته .. واستلقى على فراشه .. وأغمض
عينيه .. وأطلق زفرة طويلة .
- هنا مآلك يا عبد اللطيف .
نهاية لا بأس بها .
معلق في الهواء ..
تائه في الفضاء ..
مع حبيبة القلب .. ومنية الروح .
لاتعرف .. إذا كنت ستثوى معها في السفينة .. أم ستهم معها في
الفضاء ؟

ستطرق وإياها دنيا جديدة .. أم ستخرج وإياها من الحياة كلها .
عبد الراضى يؤمن .. أن خطواتك .. وخطواتها .. وخطوات الناس
كلهم .. محسوبة بإذن الله .
وهو نفسه يؤمن بالله .. وبأنه مدبر لكل مافى الكون من حركات
وسكنات ..
بما فيها .. حركاته .. وسكناته .. هو شخصيا ؟
ولكن لماذا ؟

وأوشك ذهنه أن يخوض في جدل القدرية والإرادة .. وما هو مفروض
على الإنسان بالقدرية الحتمية وما هو حر في فعله .. ومدى حريته في
تشكيل حياته وتقرير مصيره .. وحرية الإنسان في الاختيار ومسئوليته عن
كل مافى حياته عدا مجرد وجوده .. الشيء الوحيد الذى لم يترك له حرية
الاختيار فيه .. إنه خلق .. أما بعد هذا .. فللإرادة حق الاختيار المطلق ..
وهو نفسه قد اختار أشياء كثيرة في حياته .. وهو يعتبر نفس مسئولا
عن نتيجة هذا الاختيار .. ولكن أشياء كثيرة فرضت عليه .. وغير وجودها
نتيجة ما اختاره ببعض إرادته .. وكان عليه أن يتحمل مسئولية النتيجة
دون أن يكون له مسئولية الاختيار .

لقد اختار هو الصعود إلى السفينة .. لأنه يريد أن يكون مع شهيرة ..
وهو يقبل نتيجة هذا الاختيار .. ولكنه لم يختر عطل السفينة .. ومع ذلك
أضحى عليه أن يقبل نتيجة العطل .. الذى لم يكن هو مسئولا عنه .. وأن
يرضخ لهذه النتيجة التى بغير جدال ستتلف كل ما اختاره وهو صعبة شهيرة
بحيث تنهيا إلى فرقة مؤيدة ..

المهم .. أن عليه أن يقبل ما لم يختر .. ليقضى على ما اختار ..
وأن يستسلم ..

حتى التفكير .. لم يعد منه فائدة ..
فليستسلم بلا تفكير ..

ليقبل فى رضا .. فهذا أبعد على الراحة .
ولكنه لا يستطيع .. لأنه لا يملك إلا التفكير .
وفى القمرة الأخرى ..

كان عبد الراضى مستلقيا فى فراشه ..
خضع لما فرض عليه مستسلما .. بلا تفكير .
وغلبه النوم فى دقائق .. فعلا شغيره .

وفى غرفة العمليات كان يجلس الثلاثة الكبار بعد أن ألقى كل منهم
نظرة فى جهاز الرؤية الفضائى ..

وهز عبد المهيم رأسه فى أسف قائلا :
- خسارة .. أرض جميلة ..
ورد عبد القادر :

- ولكن لا يبدو بها كائن حى .. من يمكن أن نحكم .. وعلى من نفرض
السلطان ؟

وبدا عبد الحبير شاردا ...
وقال عبد المهيم :

.. على أية حال .. لا داعى للأسف .. بعد أن أصبح هيوطننا مستحيلا
.. فلا أظننا نستطيع أن نغرس سلطانتنا على الأرض من هنا ..
وقال عبد القادر متسما :
.. كالآلهة !!
ورد عبد الحبير وهو مازال فى شروده :
.. من يدري !! ؟ .

١٤ - رعية من الشجر

بدت الدهشة على عبد المهيمن وهو يستمع إلى سؤال عبد الخبير ورد عليه متسائلا في استنكار :

- من يدري ماذا ؟

وأجاب عبد الخبير :

- من يدري إذا كنا نستطيع أن نمارس السلطان على الأرض من هنا ؟
- لست أفهم ما تقصد .

- أقصد أنه قد يكون لدينا من الممكنات ما نستطيع أن نمارس به بعض أنواع التوجيه والسيطرة . على ما يوجد من كائنات حية في هذه الأرض القريبة التي نعجز عن الوصول إليها .

والتفت الجميع إلى عبد الخبير مأخوذين ورد عبد المهيمن غير مصدق :

- من هنا نمارس السيطرة والتوجيه ؟

وهتف عبد القادر :

- أمعقول هذا ؟

وتساءلت شهيرة :

- ولكن لماذا ؟

وهز عبد اللطيف رأسه وقال ساخرا :

- لكي نمارس الألوهية .. ما دمنا قد عجزنا عن أن نكون بشرا في القمر .. فلنجرّب أن نكون آلهة عليه .. ورفع عبد الراضى كفيه إلى أعلى وقال في يأس :

- والله ما أنا قاهم حاجة ..

وعاد عبد المهيمن يسأل فى إلحاح :

- أتقول إننا نستطيع من هنا أن نحكم القمر؟

ورد عبد الحبير:

- لم أقصد هذا بالضبط .. لم أعن أن نحكمه ..

وقاطعه عبد القادر فى حماس :

- سيكون حكما ديمقراطيا ناهيا من إرادة الشعب .

- لم أقصد أن نحكمه بمفهوم الحكم فى الأرض .. وإنما قصدت أننا نستطيع أن نوجه الحياة فيه ..

وقال عبد المهيمن فى حيرة :

- لأنهم .

ورد عبد اللطيف فى نفس لهجته الساخرة :

- يعنى شغل آلهة ..

وأجاب عبد الحبير فى تردد :

- ليس بالضبط .. فنحن لانملك خلق الحياة فيه .. وإنما نستطيع أن نوجهها .. ونطورها .

وقال عبد اللطيف :

- يعنى أنصاف آلهة .. شىء بين الحكام والآلهة ..

ورد عبد الحبير :

- لا أدري بالضبط ماذا سنكون .. ولكنها تجربة ..

وصمت عبد الحبير لحظة ثم استطرد يقول :

- على أية حال .. شىء نفعله .. فى وقفنا المعلقة فى الفضاء .. خير من أن نرقد عاجزين .. حتى تأتى آخرتنا .

وقال عبد الراضى متسائلا فى غير اقتناع بشىء مما قيل :

- نفعل ماذا ؟

وهزت شهيرة رأسها فى حيرة وهى لا تستطيع أن تتصور شيئا مما

يتحدثون عنه .

وقال عبد المهيعن وقد بدأ عليه الشرود وكأنه يحاول أن يتخيل شيئا
ما يمكن أن يحدث .

.. تجربة عجيبة لوصح ماتقول ا

وعقب عبد القادر على قوله وهو ما زال مأخوذاً :

.. إنها أخطر من أى شيء كنا نحلم به .

وهتفت شهيرة :

.. ما هو هذا الشيء الذى يتحدثون عنه ؟

ونظرت إلى عبد اللطيف متسائلة :

.. لأستطيع أن أفهم شيئا .. هل تفهم أنت ؟

وأجاب عبد اللطيف وقد علت شفثيه ابتسامة استخفاف :

.. يعنى !! أظننى أستطيع أن أخمن !!

وعادت شهيرة تهملق فيه .. منتظرة أن يكمل قوله .

وبعد لحظة صمت استطرد عبد اللطيف يقول شارحا :

.. أظنهم يتحدثون عن محاولة السيطرة على أهل القمر .. من هنا .

وصاحت شهيرة :

.. كيف ؟

.. ياستى .. لاتدققى .. ليفعلوا أى شيء .. فلا أظن أن هناك ما

يضيرنا .. بعدما صرنا إليه .

وقتم عبد الرضى قائلا :

.. على رأى المثل .. ضربوا الأعور على عينه . قال خسرانة خسرانة .

وهتفت شهيرة غير مقتنعة :

.. ولكن أمعقول هذا ؟

ورد عبد اللطيف :

.. وأى شيء حولنا معقول .. حتى يكون هذا معقولا ؟ ..

- أقصد هل يمكن أن يحدث ؟
- ولم لا .. إن شيئا مما لا يمكن أن يحدث .. قد حدث هنا بالفعل ..
- هل كنت تتصورين .. أن نتوه فى السماء ؟ ..
- وضرب عبد الراضى كفا بكف :
- ياناس .. نتوه فى السماء .. أهذا معقول ؟
- وجر عبد المهيمن عبد الخبير من يده واتجه به إلى غرفة العمليات وهو يتسائل :
- قل لى . ماذا دفعك إلى هذا الظن الذى تقول ؟
- ليس ظنا .. إنه حقيقة .
- حقيقة أننا نستطيع أن نسيطر من هنا على الحياة فى القمر ؟
- إلى حد ما .
- كيف ؟
- نستطيع أن نوجه إرادتها .. وأن نفعل بها أشياء كثيرة .
- أنستطيع أن نهيئها مثلا ؟
- هذا أسهل شيء .. إنها عملية تدمير .. مما نمارسه على الأرض ببساطة .
- وهل نستطيع أن نعيدها ؟
- وهز عبد الخبير رأسه وقال ببساطة :
- لا ..
- نبدأها من جديد ؟
- أيضا لا .
- إذن ماذا نستطيع أن نفعل ؟
- قلت لك نوجهها .. نسيطر على إرادتها وحركتها .
- وقال عبد القادر وهو ينصت إلى المناقشة :
- هذا يكفى .. يكفى جدا .

وتساءل عبد الخبير :

.. يكفى لماذا ؟

.. لكى نمارس تجربة الحكم والسيطرة ..

وقال عبد الخبير :

.. إنها ستكون مهمة أعقد من ذلك .. ليست مجرد حكم وسيطرة .

ورد عبد المهيمن :

.. ستكون شيئا خطيرا .

وقال عبد القادر :

.. ومثيرا .

واقترح عبد اللطيف وهريتمساءل فى دهشة :

.. ولكن ما الذى يدفعنا إلى هذا . لماذا نحشر أنفسنا فى مصير كوكب

بأكمله ؟

وقال عبد المهيمن :

.. ولماذا لانفعل .. إذا كنا نستطيع .. إنها تجربة رائعة .

.. إنها مسئولية خطيرة .

.. ولم لانجربها ؟

وقال عبد اللطيف :

.. لآستطيع أن أتصور كيف يمكن أن تكون .. خيالى يعجز عن

تصورها ؟

ثم التفت إلى عبد الخبير متسائلا :

.. وكيف يمكن أن تكون الحياة هناك .. من يعيش بها .. وكيف ؟ أى

أنواع الأحياء .. بشرأم حيوانات ؟

وقبل أن يجيب عبد الخبير قال عبد المهيمن :

.. دعنا نلقى نظرة ..

وأكد عبد القادر قوله وهو يتجه إلى غرفة العمليات :

- أجل .. يجب أن نرى أولا .. ميدان التجربة .
 وقال عبد اللطيف وهو يهز رأسه فى سخرية :
 - لنرى الرعايا .. أى نوع من العبيد هم ؟
 ورد عبد الحبير باسم :
 - لأعتقد أنهم عبيد .
 - حتى الآن .
 ووقف الجميع أمام جهاز معقد .. أبرز ما فيه لوحة بلورية مستديرة
 معتمة . تكاد تشبه شاشة التلفزيون ..
 وقال عبد القادر :
 - إننى لم أبصر بها سوى مسطح يلقه الضباب .. ثم خطوط متقاطعة
 .. مهتزة .
 ورد عبد الحبير وهو يحرك مساعرا صغيرا .. ثم ينزع شيئا صغيرا فى
 حجم رأس الديوس :
 - هذا الحجر يجعل حساسيته عجيبة ..
 وضغط عبد الحبير أحد الأزرار ثم وضع الحجر الصغير فى إحدى
 الفتحات ..
 وبدأت فى اللوحة بعض نقاط لامعة .. أخذت تكبر شيئا فشيئا ثم
 ظهرت خطوط معوجة متشابكة .
 ومضت فترة كاد الملل يصيبهم .
 ومد عبد الراضى عنقه وهو يحركه فلم ير شيئا ثم هز رأسه قائلا فى
 دهشة .
 - لا أرى شيئا فى هذا التلفزيون الباطل .. إن التلفزيون فى قهوة
 عتريس ...
 وزغده عبد اللطيف :
 - عتريس إيه يا عبد الراضى .. هذا ليس تلفزيون .

ورد عبد الراضى فى أسف :

- ياليتـه كان تلفزيون .. كنا تسليتنا من الهم .

وفجأ بدأت الخطوط تختفى ثم ظهرت ظلال .. أخذت تتجسد رويدا رويدا ..

وبعد لحظة بدا .. منظر عجيب ..

بدا فى دقة وعمق .. ونجسد كأنه الحقيقة .

لم يكن مجرد صورة .. وإنما منظرا .. حيا .. مجسدا .. رائعا .. يبدو كل ما به فى دقة ووضوح .. يكاد المرء .. أن يعيش داخله .. ويلمس كل ما فيه ..

ولقد بدا عالم عجيب من الأشجار .. بعضها فارغ الطول .. والآخر قصير غليظ الجذع .. بعضها .. تبدو أوراقه رقيقة والأخرى شائكة .. بعضها زاحف .. والآخر متسلق .. وبدت الزهور بكل ألوانها تكسو قمم البعض .. والبعض الآخر تنهدل ثماره ..

وسمع صوت حفيف الأوراق .. فى مهب النسيم ..

وأخذ الجميع يحملقون فى المنظر الأخاذ .

وهتف عبد اللطيف فى إعجاب :

- شىء .. كأنه الجنة .

وأخذ عبد المهيمن يحملق فى المنظر ثم ردد فى شرود :

- لست أرى شيئا يتحرك .

فقال عبد القادر :

- ولا أسمع صوتا .. سوى حفيف الأوراق .

ورد عبد الحبير :

- حتى المصافير .. لا يسمع لها صوت .

وكانت شهيرة .. مازال بصرها مشدودا إلى المنظر وقالت تتمتم فى

ذهول :

- هذا ليس شجرة .
 وتساءل عبد المهيمن :
 - ماذا تعنين ؟
 - إنه شيء أكثر من الشجر .
 وقال عبد اللطيف :
 - أنا أيضا أحس بهذا .
 قال عبد المهيمن :
 - عجيبة !
 وعادت شهيرة تقول :
 - أحس كأن في كل شجرة .. إنسانا .. مخلوقا يتنفس .. ويكاد يكون
 له عينان وأذنان .. وقلب يخفق .
 وهز عبد الحبير رأسه :
 - أنت على حق ..
 وتساءل عبد المهيمن :
 - ماذا تعنى ؟
 - أعنى أنى أحس بها شيئا أكثر من الأشجار .
 وردد عبد اللطيف :
 - بشر .. نباتى .. كأنه عالم مسحور .. تحول كل ما فيه من كائنات
 إلى أشجار .
 وتساءل عبد القادر :
 - أعتقد هذا ؟
 وقال عبد الحبير :
 - ألم تتحول الأشجار فى الأرض إلى حجر .. ألا تسمع عن النباتات
 المتحجرة ؟
 - أجل .

- قد يكون حدث هنا شيء مماثل .
وهتف عبد اللطيف صائحا :
- أجل .. كائنات متشجرة .
وهز عبد الراضى رأسه وتمتم قائلا :
- عليه العوض .. جن الأستاذ مثلهم . إنى لا أرى شيئا أكثرهما أرى
فى أم الشعور على النيل .. أو فى جناين القناطر ..
وقال عبد الخبير مؤكدا :
- لا يمكن أن تكون هذه مجرد .. أشجار .. إنها كائنات حية لها كل
سمات البشر ..
وقالت شهيرة وهى تحقق فى المنظر :
- هذه الشجرة الرقيقة التى تتمايل .. إنها أشبه بالمانيكان الجميلة ..
إنها تكاد تبتسم .
وقال عبد اللطيف :
- وهذه الشجرة الغليظة الجذع الجرداء .. إنها أشبه ببلطجية السينما .
وقال عبد القادر :
- وهذه الصبارة تبدو أوراقها كحد السيف .. إنها تبدو كالمقاتل .
وحملق عبد الراضى فى الأشجار المتواصلة أمامه ثم هتف :
- وهذه الشجرة التى تزحف .. إنها كالخنش .
وقال عبد المهيمن وهوى سمع تعليقاتهم :
- وبعدين .. ماذا يمكن أن يعنى كل هذا ؟
وقال عبد الخبير :
- إنه عالم من النبات .
ورد عبد اللطيف ضاحكا :
- رعبتنا .. أصبحت من الشجر .. جاء نقبنا على شونة .
وردد عبد القادر قوله فى ضيق :

- أجل .. ماذا يمكن أن ن صنع بشعب من الأشجار؟

وقال عبد الحبير :

- ولكنه ليس مجرد أشجار.. إنه كائنات حية .

ورد عبد المهيمن فى حدة :

- وماذا نفعل به .. إنه شعب بلا مشاكل .. يضرب جذوره فى الأرض

.. ليتناول طعامه بغير عناء ويمد فروعه فى الهواء ليلتقط شقيقه .. بلا

مشقة . غذاؤه فى الأرض المنبسطة يتوافر لكل طالب . وأنفاسه من الهواء

الفسيح لا تحدها حوائل .. شعب بغير أطماع .. فى عالم ليس به مايشير

الخلاقات والأحقاد .

وقال عبد القادر متمتعا :

- ماذا تفعل فيه الحكام أو الآلهة ؟

وقال عبد اللطيف ضاحكا :

- أجل شعب بلا مطالب ولا مطامع .. ولا ذنوب .. حتى الجنس عنده -

مشكلة المشاكل - وأس الذنوب .. لا تسبب أية مشكلة .. إنه شىء لا وجود

له ولا حاجة إليه .. يحمل النسيم حبوب اللقاح من الذكر إلى الأنثى ..

فتلقاها .. بلاحياء .. ولا عيب لتخصب .. وتنجب .. وتلقى بذورها فى

الأرض .. لتمتلى ذرية .

وقال عبد الراضى مشاركا فى الحديث :

- ذرية بلا متاعب .. ولا كسوة .. ولا طعام .. ولا مدارس .. ولا أية

مشاكل ..

وقال عبد القادر فى جزع :

- مصيبة ! ..

وردد عبد المهيمن فى يأس :

- ليس هناك مجال .. لسلطان عليه .. لن تكون هناك قيمة .. لقدرتنا

على توجيه الإرادة فيه .. لأنه عالم بلا إرادة .. عالم تلقائى . كل ما فيه

يسير بهتمية تلقائية .. لامجال للتدخل فيها .
وأطلق عبد الحبير تهيدة وقال :
- على أية حال .. إذا لم يعجبكم ...
ورد عبد اللطيف متسائلا فى سخرية :
- إذا لم يعجبنا .. ماذا ستفعل .. نبحث عن رعية أخرى فى كوكب
آخر ..

وقال عبد الحبير :
- لا أظن هذا بمستطاع .. بعد أن حلقنا فى مرقفنا هذا .
وتسأل عبد المهيم فى ضيق :
- إذن ماذا ستفعل إذا لم يعجبنا ؟
- نحاول تغييره
وهتف عبد القادر :
- نغيره .. من أين ؟
وقهقه عبد اللطيف قائلا :
- اختراع جديد فى دنيا الحكم والسلطان .. فى الأرض .. كان
الشعب يغير الحاكم عندما لا يعجبه .. ونحن هنا .. سنغير الشعب لأنه لم
يعجبنا ..

وعاد عبد القادر يتسأل فى إلحاح :
- نغيره .. من أين ؟
وقال عبد الراضى ببساطة :
- من بياع الشعوب ..
ونظرت شهيرة إلى عبد اللطيف وتمتمت فى شيء من الجزع :
- ما هذا التخريف .. إننا نتحدث كالمجانين .. هل تظن الصدمة قد
فعلت بمقلتنا شيئا ؟
وأجاب عبد اللطيف مؤكدا :

- لو أنها فعلت بعقلنا شيئا .. لغيرته إلى أفضل .. لأننا منذ أن انطلقنا إلى الفضاء .. ونحن لم نفعل شيئا يدل على العقل .. وكل ما نفعله الآن إنما هو استطراد طبيعي لما بدأنا .

ثم نظر إلى عبد الخبير وقال مؤمنا على حديثه باقتناع كامل :
- إذن فقد قررنا أن نغير رعيتنا النباتية السخيفة .. وعزمنا على أن نبدل شعب الشجر الأحمق الغبي .. الذي يعيش بلا احتياجات ولا خلاقات ولا مشاكل .. ولا أحقاد .. تمنحنا فرصة السيادة عليه .. والتحكم في شئونه .. وفض مشاكله .. وسد حاجاته .

وقال عبد الخبير وهو يشير إلى عبد المهيمن وعبد القادر وكأنه يدرا التهمة عن نفسه :

- هم الذين يريدون ذلك .

- وأنت قادر عليه ؟

- سأحاول .

- تحاول تغيير شعب بأكمله ..

وضرب عبد الراضى كفا بكف قائلا في دهشة :

- والله ولا الحواة ..

وعاد عبد المهيمن يتسائل في إلحاح :

- من أين ستغيره ؟

وهز عبد الخبير رأسه مستنكرا :

- من أين أغیره .. هل تظنون هناك مصرف لتغيير الشعوب ..

وقالت شهيرة في دهشة :

- ألم تقل أنت نفسك أنك ستغيره .

- أجل .. قلت .. ولكنى عنيت بتغييره .. أنى سأحاول أن أغیره

طبيعته .. ولم أقصد أن أستبدل به شعبا آخر .

وتسائل عبد اللطيف :

.. ستغير طبيعته ..
 .. سأحاول ..
 .. كيف ؟
 .. إلى عالم بشرى .
 .. هل تستطيع أن تمنحه الحياة ؟
 .. الحياة كامنة فيه .. إنه عالم حى .. ولا يحتاج لكى يصبح عاملا
 بشريا إلا أن يمنح صفات البشر .
 وهزت شهيرة رأسها فى دهشة :
 .. كل صفات البشر .. تمنحها لهذه الأشجار ؟
 وتمتم عبد المهيمن فى حيرة :
 .. كل هذا الشجر .. يمنح صفات البشر ؟
 .. يبدو لى أن خلق عالم من البشر أسهل كثيرا .
 وهمس عبد الراضى :
 .. أجل .. مجرد نومة .. يعقبها .. حمل .. وولادة .. وقلأ اللرية
 الأرض .. ويخلق عالم من البشر .
 وقال عبد اللطيف موجها القول إلى عبد الخبير محاولا الاستفسار :
 .. أتتوى أن تضع كل صفات البشر فى كل شجرة ؟
 ورد عبد الخبير فى تودة :
 .. صفات البشر الأساسية .. سنبعثها فى عالم الشجر .
 وتساءل عبد المهيمن :
 .. صفات البشر الأساسية ؟
 .. أجل ..
 .. مثل ؟
 .. شهوة الطعام .. من أجل البقاء ..
 .. ثم ماذا ؟

- شهوة الجنس .. من أجل التكاثر .

ورد عبد الراضى فى اقتناع :

- معقول ..

وارتفعت الأصوات من حول عبد الحبير متسائلة :

- ثم ماذا ؟

- شهوة الطموح والتميز .. من أجل التطور والتقدم .

- ثم ماذا ؟

- فقط .. هذه هى المميزات الأساسية الثلاث للبشر .. لو أننا أشعناها فى هذا العالم الشجرى .. لدبت فيه الحركة وقام الصراع .. وبدأت المشاكل والخلاقات .. ولأصبح لكم مكان بينهم .. أو على رأسهم .. تتسلون بغيارتهم وممارسون تروجيهم .

وبدا الانشراح على وجه عبد المهيم وهتف به :

- أيمكن أن يحدث هذا ؟

وقال عبد اللطيف وهو يهز رأسه مستسلما :

- ويتحول هذا الشجر الضارب بجذوره فى الأرض يأكل ويتنفس فى غير مبالاة .. إلى بشر يتطاحنون ويتصارعون من أجل لهفة القمة .. ورغبة الجنس .. ومتعة البروز من القطيع .. وتبدأ المشاكل والمتاعب والمصائب .

وبدت النشوة فى وجه عبد القادر ومتمم :

- ويصبح للحكم معنى وللسلطان طعم .

وبدت المسألة تتعمد فى ذهن عبد الراضى :

هذا الحديث عن تغيير الشعب .. كأنه جلاب ثم منع الشجر مزاجيا البشر ..

استطعام الأكل .. واستمتاع الجنس .. وشئ آخر لا يهمه كثيرا ولا يجد فيه أية مزية .

وبعد ذلك يتصارعون .. ويتطاحنون .

ويصبح للحكم معنى وللسلطان طعم .

أيتحدثون حقا ؟

أقد آن الأوان .. لكى تصبح ياعبد الراضى من هيئة الحكام .. وأهوك
لم يحلم مرة بأن يكون عمدة .. أو حتى شيخ خفر .

حقيقة أنك أضحييت عضو مجلس إدارة .. ذات مرة .

وقد يعتبرفى عرف البعض .. هيئة من الهيئات الحاكمة .

حاكمة .. ولو على مجلة الزمان .

ولكنه كان حكم الندامة .

وصدق عليه قول القائل .. الحكم بهدلة .. كالعز بهدلة .. بهدلة داخل

المجلس .. وبهدلة أكثر خارجه ..

ولكن الحكم الآن يبدو شيئا أكبر .. وأخطر .

.. تحكم على شعب بحاله ..

قد يكون الآن .. شعبا من الشجر ..

وقد لايزيد حاكمه على مجرد جناينى ..

ولكنهم يتحدثون عن تغييره .. وتحويله إلى شعب من البشر ..

أوالفجر .. يتضاربون .. ويتعاركون .. يلعن كل منهم سنسفيل أجداد

الآخر .. فى سباقهم من أجل اللقمة .. والمرأة .. ولكى يصبح كل منهم ..

فنتا على الآخر .

ويحتاج الأمر .. إلى بوليس ومحكمة .. وحكومة .. وحكم ..

وسلطان ..

وكما فهم أن الجماعة بما فيهم هو .. ميمارسون كل هذا .. من فوق

.. من السما .. دون أن يتنازلوا .. بالنزول .. إلى الرعية ..

والمفهوم أن سبب بقائهم فى السماء هو عجزهم عن النزول إلى الأرض ..

ولكن الرعية .. لن تفهم هذا .

بل ستأخذه . كمظهر للأثوية .

ملك يا عبد الراضى .. ينظمه أنت وزملاؤك .
لم يطف بخاطر واحد من أهللك منذ أن هبط جدك الأكبر الشيخ عبد
الراضى .. إلى هذه الأرض .
ولكنه حصل الآن .. لحفيده الصغير الغلبان .. عبد الراضى العتال .
سبحان المعطى ..
أعطى بلا حساب ..
وجعلك فوق .. فوق .. يا عبد الراضى .
ومن أسفلك الرعية .. تحت .. تحت .
ونظر عبد الراضى .. إلى الجماعة وقال وهو يهز رأسه فى ثقة :
- ومتى سنحكم ؟ ..
وضحك عبد اللطيف ورد قائلا :
- صبرك يا عبد الراضى .. لابد أن يتحول شعب الشجر إلى شعب الفجر
.. ويتعاركون .. ويتصارعون .
ونظر عبد الراضى إلى عبد الحبير قائلا :
- طب ما تشهلونا شوية .. قبل ما ينتهى الشهر .
وهز عبد اللطيف رأسه وأردف ساخرا :
- وقبل أن تموت الآلهة جوعا ..

١٥ - عسكري مرور

بدأ عبد الحبير عملياته الخطيرة .. فى استخدام العقل الإلكتروني والإشعاعات الكونية فى تحويل عالم الشجر إلى عالم بشرى .
ومضت فترة ترقب وانتظار انتابت فيها جماعة السفينة شتى المشاعر والانفعالات .. بعضهم استلقى فى استرخاء ولامبالاة .. والبعض شدت أعصابه فى قلق وتوتر ..

لم يأبه البعض فى أن يقضى خاتمة حياته .. متمسكا فى الفضاء ..
أو حاكما يسيطر على مقادير كوكب بأكمله .

ترقب عبد الراضى التجربة .. كما يترقب لعبة لأحد الحواة .. يشارك فيها مشاركة واحد من الجمهور صعد إلى المسرح ليكون مع الحاوى طرفا فى اللعبة .. فهو يساهم فيها متفرجا .. يشارك فى لعبة لا يندى شيئا عن أسلوبها .. أو نتائجها .

واستلقى عبد اللطيف فى غيراكتراث ينتظر ماتسفر عنه المفامرة .
غير المعقولة .. بإحساس المستسلم الذى لا يملك إلا أن يقبل ما ليس منه بد ،
دون أن يستطيع أن يحدد لنفسه موقفا بالتأييد أو الرفض .. والرضا أو السخط .

إن مصيره قد تقرر فى هذا الفضاء الفسيح .. وسواء نجحت التجربة أم لم تنجح .. وسواء ظل عبدا أو حاكما أو نصف إله .. فمصيره قد تحدد ولم يعد يرجو من الحياة سوى ما يريجه ضال فقد كل سبل الحياة .

ومع ذلك فهو حائر بين طرافة التجربة .. وبين الخوف مما يمكن أن ينتج عنها .. من إثارة فتنة فى عالم ساكن هادى .. ينعم بالاستقرار والسلام

ليتحول إلى عالم متلاطم بالصراع والأحقاد والخلافات .
وبدت شهيرة قلقة حائرة .. تضطرب فى نفسها الأحاسيس وتتقاذفها
المشاعر والانفعالات .
أحقا حلت النهاية .. وبات عليهم أن يظلوا قاهمين .. يلحقون مافى
الأنابيب حتى يلاقوا حتفهم ؟
أبقى حبسة السفينة .. مقضيا عليها بالموت .. أم تخرج هائمة ..
مع بقية المغامرين .. يهيمون فى الفراغ حتى تجذبهم الأرض الجديدة ..
فيهوا عليها .. خطاما .
وهذه التجربة التى يحاولون ممارستها .. تجربة السيطرة على الكوكب
من السفينة .. وتحويل أهله من شجر إلى بشر .. والعصف بكل مايسوده من
سكينة وسلام .
إنها تجربة غير معقولة ..
لو أنها نجحت .. لأصبحت مادة للنشر لم تتوفر لأى بشر . هل استطاع
بشر أن يحكم كوكبا ؟
يحكمه .. من عل .. وكأنه إله .. يسيطر على أمره ويتحكم فى
مصيره ؟
ولكن مافائدة كل هذا .. إذا لم تتح لها فرصة النزول إلى الأرض .
ما قيمة أى شىء حتى الألوهية .. إذا كان قد حكم على الآلهة بالموت
بعد ثلاثين يوما .
وماذا يمكن أن يفعلوا خلال هذه الفترة التى لا تزيد على إجازة صيف .
ماجدوى .. أمل .. يبيع الموت ببابه .. ينشر ظلاله على إشراقته ..
يطوى شعاعه .. ويعتم طريقه .
كل مايمكن أن تحصل عليه .. سترده بعد أيام ..
ستفقد .. كأن لم يكن ..
حتى الذكرى .. والشهرة .. والمجد والاستشهاد والخلود .. وكل

ما يعزى عن الموت فى الأرض .. أو يغرى به .. لن يكون لها من نصيب ..
فستضيع فى الفراغ .. ستبدد هباء .. دون أن يحس أحد بما فعلت
.. أو يذكر ما حققت .

ولكن أى شىء سيتحقق ؟

السلطان على أهل الكوكب !!!

وأى متعة فى هذا .. إذا كان أحد منهم لن يراها .. أو يعجب بها
.. أو يمنحها الثناء والتقدير .

ولكنهم سيمنحونها التقدير والحمد ..

من حقها كإلهة .. أن تطالب الرعاية به ..

وهبهم منحوها إياه ..

أية لذة فيه .. وهى تتلقاه على بعد .. دون أن تتعب به .. وتزهو
وتتخايل ..

وهل من حقها التخايل والزهو ؟

المفروض أن الآلهة .. فوق هذه المشاعر البشرية .

ولكن أية قيمة لكل ما تفعل إذا لم يكن من حقها الزهو به .

لا تبدو التجربة ممتعة .. على كل ما فيها من إثارة .. وروعة . ومع
ذلك فليس أمامها إلا أن تخوضها .

وإذا كان على المرء أن يختار أن يكون إلها لبعض الوقت .. أو ضحية
تنتظر الموت فى استسلام .

فمن الحق .. أن يرفض الألوهية ..

وبين غرفة العمليات والمراقبة كان النصف العامل من طاقم السفينة
منهمكا فى محاولة التغيير .. من أجل تطوير عالم الشجر إلى عالم بشرى ..
لكى تصبح عملية السلطان والسيطرة والتوجيه .. شيئا له قيمة .
وكانت الأعصاب متوترة .. والأبصار مشدودة إلى لوحة المراقبة .
والأصابع تتبادل الضغط على الأزرار .

وفى الأذهان كانت تدور الأفكار القلقة .. والخواطر الحائرة . تتقلب
فى الرموس برهة .. ثم تتطلق بين الثلاثة فى كلمات متسائلة وردود مقتضبة
.. أقرب إلى الاستفسار منها إلى الإجابة .

تسأل عبد المهيمن وعيناه تحديقان فى الأشجار المتكاثفة .. تهتز
أوراقها .. وتمايل أغصانها .. ويسمع منها حفيف ووشوشة ..
ـ يبدو كأن أغصاننا أخذت .. تتحرك ..
وأردف عبد القادر :
ـ وتتهامس ..

وقال عبد الخبير وهو يرقب المنظر المجسد .. وقد بدا من فرط ما به من
تفاصيل ودقائق كأنه شىء ملموس محسوس .
ـ ليس بعد .. إنها حركة النسيم يتخلل الأوراق .

وثبت عبد القادر بصره على شجرة تهدلت غصونها حتى بدت كالشعر
المسترسل .. وأحس بين الغصون المتهدلة كأن وجهها رقيقا يرقبه وهتف
مأخوذاً :

ـ إنها تحديق فى .. عندما ينزاح الشعر عن جبينها .. ويبدو وجهها
أخاذاً ..
وقال عبد المهيمن :

ـ إنها تسميها فى الأرض دموع الست .. إنها توجد على شاطئ النيل
وعلى حافة الترع .. وتتساقط فروعها فى الماء .
وعاد عبد القادر يهتف فى دهشة :

ـ وهذه الشجرة الطويلة الرفيعة .. إنها تكاد تقف وقفة المانيكان ..
إنها قطعاً تتحرك .

ورد عبد الخبير وهو منهك فى فحص أحد المؤشرات :
ـ كفى خيالات .. إن الكوكب مازال كما هو .. لم يتغير به شىء ..
وتساءل عبد المهيمن فى يأس :

.. وهل تتوقع أن يتغير فيه شيء ؟

.. أعتقد هذا ..

.. كيف ؟

.. عندما تصل إليه أولى صفات البشرية .

.. تقصد شهوة الطعام ؟

.. أجل لن تقبع المخلوقات في انتظاره .. بل ستتحرك إليه .. تبحث

عنه وتتصارع من أجله .. ستخزعه من بطن الأرض .. وجوف الماء ..

وتلتقطه من الهواء .. لن تكون عملية البقاء .. مجرد قبول .. ورضا .. بل

ستتحول إلى رغبة وفرض .. ستفرض بقاء الحياة .. لهفة الكائنات إلى

الطعام .. ولو لم توجد هذه الלהفة .. لأصبح البقاء .. مجرد فرصة .. تأتي

أو لاتأتي .. يبقى الكائن أو لا يبقى .. هذا ليس من شأنه .. ليس بداخله

ما يدفعه .. إلى انتزاع وسيلة البقاء .. وإلى فرض فرصته .. حتى على

حساب الغير .. بحيث يبدأ تنازع البقاء والتصارع من أجله .

وأخذ عبد المهيمن يحدق في اللوحة العجيبة ويحاول أن يلتقط همسة

بشرية .. من العالم الهاديء المستسلم الذي تتمايل أغصانه في استسلام ..

وتتهامس بالوشوشة .. والحفيف .

وفجأة .. سمعت فرقة .. غطت على صوت الحفيف والوشوشة .

وصاح عبد الخبير وهو يحدق في اللوحة :

.. أسمعون ..

وهمس عبد المهيمن وعبد القادر :

.. ماذا ؟

.. أصوات جنود تنخلع .. لقد بدأ التحول .

وصاح عبد القادر :

.. أجل .. أجل .. إنهم يتحركون .. أخرجت الأشجار جذورها من باطن

الأرض .. وحركت فروعها .. وتلافعت ..

وقال عبد المهيم :
- إنها تتصادم ..
وأقبل عبد اللطيف وشهيرة وراعهما عبد الراضى .. على صوت
الصياح والضجيج .
وهتفت شهيرة متسائلة :
- ماذا حدث ؟
وقال عبد المهيم :
- تحرك الشجر ..
وقال عبد اللطيف :
- غير معقول .
ورد عبد القادر :
- تعال وانظر .
ونظر عبد اللطيف إلى الشاشة الصغيرة .. وهتف جزعا :
- يلا تتر ..
وقالت شهيرة وهى تنظر إلى المنظر مرتاعة :
- ماذا حدث .. لماذا يتصادمون هكذا .. إن البعض يطوى البعض ..
ويلطمه .. ويدهسه .. لماذا يفعلون هكذا ؟
وقال عبد الحبير :
- إنها بداية الحركة .. من أجل البحث عن الطعام .
- تحولت الجذور إلى سيقان .
- والفصون إلى أذرع ..
- والجذوع إلى أجساد ..
- والأوراق إلى شعور .
- بدت معالم الوجوه فى قمة الجذوع .
وقال عبد القادر :

.. إنهم يتطاحنون ..

ورد عبد المهيمن :

.. أجل .. يجب أن نفعل شيئا .. قبل أن يدمر بعضهم البعض .

وأردف عبد القادر فى جزع :

.. ولا يبقى لنا منهم شيء نحميه .

ونظر عبد اللطيف إلى حركة الشجر المتطاحنة وكأن إغصارا مخيفا قد اقتلع كل شيء من موضعه .. وبدأ الكون يحرا متلاطما عصفت الريح بكل ما به .. ولم يعد يبدو هناك سوى ضربات ولطعات .. وتتم فى أسي :

.. لماذا فعلنا كل هذا .. لماذا لم نترك الكوكب يتمتع بالدعة والأمن والسلامة ؟

وهز عبد الراضى رأسه متسائلا وهو ينظر إلى الشجر المتلاطم :

.. ماذا حدث .. مالنا ولكل هذا ؟

وعاد عبد المهيمن يقول فى إلحاح :

.. يجب أن نفعل شيئا .. يجب أن نبدأ عملنا فورا .

وقال عبد الخبير فى هدوء :

.. لن نستطيع أن نفعل الآن شيئا ..

وتسائل عبد القادر :

.. ومتى سنفعل ؟

وهز عبد الراضى رأسه وقال ساخرا :

.. بعد خراب مألطة .

وقال عبد الخبير فى هدوء :

.. لن تخرب مألطة ..

.. بعد كل هذا ؟

.. لن يلبث الهدوء أن يسود .. سيستقر كل شيء فى موضعه .. بعد

أن يحصل كل على ما تمنحه قدرته ..

- وإذا دمر كل شيء .. إذا لم يبق على ظهر الكوكب مخلوق ؟

- بل سيبقى الأقوى .. والأقدر على انتزاع وسيلة الحياة ..

- وماذا سنفعل بعد هذا ؟

- نبدأ تنظيم الكون .

وقال عبد اللطيف :

- إذن فلنجلس حتى نتشاور .. ونتدارس .. ونخطط .. ونوزع العمل .

ونظر عبد القادر إلى عبد المهيم ثم قال :

- إن الكابتن سيدرس الأمر ، ويعطى كلا منا واجبه .. الذى يتحتم

عليه أدائه .. فى إدارة الكوكب ..

وقال عبد المهيم معترضاً :

- بل الأفضل .. أن نجلس .. ونتشاور .. ويدلى كل منا برأيه .

وقال عبد اللطيف ضاحكاً :

- وبعد أن يدلى كل منا برأيه .. نختار رأى الكابتن .

ورد عبد المهيم فى رفق :

- بل نختار الأفضل ..

وقال عبد القادر :

- هيا بنا .

وتردد عبد المهيم برهة وهو ينظر إلى الكون المتلاطم من خلال الشاشة

الصغيرة وقال فى قلق :

- ونتركهم هكذا ؟

ورد عبد الحبير مؤكداً :

- لا تخش شيئاً .. كل شيء سيستقر .. فى الوضع الذى لامناص منه

.. والذى يفرضه .. صراع القوى البدائية .. ونزاع القدرات من أجل البقاء

.. مجرد البقاء .

واستقر الجماعة حول المنضدة .

وقال عبد المهيمن :

- بدأت مسئوليتنا عن الكوكب .. ولابد أن نتحملها من الآن كاملة .

وتسائل عبد اللطيف :

- مسئوليتنا عن أى شيء فيه ؟

- عن الحياة .. وعن البشر .

- إلى متى ؟

ورد عبد الراضى ببساطة :

- إلى أن نموت ..

- أجل .

- شهر !! ماذا تعنى مدة شهر فى حياة البشرية .. إنها غسقة

عين ..

وقال عبد الراضى :

- بين قبضة شهر .. وقبضة شهر آخر .. يعنى فرقة كعب .. لا يستطيع

المرء حتى أن يسدد ديونه .

- ولا أن يتجنب .

- لن نعرف حتى إذا كان التكاثف قد بدأ .. ونطمئن على استمرار

الوجود .

- ستترك الإناث حاملات فى شهر .

وردت شهيرة :

- بل لن نعرف حتى .. إذا كن حاملات .. وإذا كان الجيل التالى ..

قد وجد فعلا .

وقال عبد الحبير فى ثقة :

- بل سيكون الشهر كافيا لأشياء كثيرة :

وتساءلت شهيرة :

- كيف ؟

.. هناك اختلاف كبير فى حساب الزمن بين الأرض والكواكب .

وهز عبد اللطيف رأسه متسائلا :

.. يعنى ماذا تفرق عن الأرض ؟ .. يضع ساعات ؟ .

.. وقال عبد الحبير :

.. يل قل بضعة قرون .

.. غير معقول .

.. إن الحساب التقريبي لنسب الزمن يكاد يحدد بساعة فى الأرض لكل

سنة فى الكوكب .

.. ساعة لكل سنة ؟

.. أجل .

.. تعنى أن مدة الحمل عندهم ساعة إلاربعاً ؟

.. تقريبا .

وهز عبد الراضى رأسه وهمس لعبد اللطيف :

.. سامع يا أستاذ .. الجماعة نجلوا .. كنت أظننى صاحب الكيف الوحيد

هنا .. ولكن أقسم الآن أن الجماعة أسطوات فى الكار .. سلهم وحياة

والدك .. أى صنف يتعاطون .. تصور مدة الحمل ساعة إلاربعاً .

.. إن آخرما استطاع أن يصل إليه ذهننا فى الأرض .. هى النقطة

التي أطلقت على أحد الزعماء أنه قال فى خطاب العرش « وستحاول

حكومتى جاهدة زيادة النسل فى البلاد .. وذلك بتقليل مدة الحمل إلى ستة

أشهر » ..

رد عبد الراضى :

.. ستة أشهر مقبولة .. ولكن ساعة إلاربعاً ١٤ .. يعنى يستيقظ المرء

فى الصباح ليجد فى حضنه ستة أولاد .

وكان عبد المهيمن يتهامس هو وعبد القادر فى اهتمام شديد ثم نظر عبد

المهيمن إلى عبد الحبير قائلا :

- أوافق أنت من هذا ؟

- أجل ..

- يعنى هذا أن يومنا بأربعة وعشرين عاما عندهم ؟

وهز عبد الحبير رأسه موافقا .

وعاد عبد القادر يتسأل :

- وشهرنا بسبعمائة وعشرين عاما .

وتتم عبد المهيم قائلا :

- يعنى أننا سنحكم سبعة قرون .

وقال عبد اللطيف فى دهشة :

- سبعة قرون 11 .. إن حكمنا سيفوق أى حكم لأية إمبراطورية فى

تاريخ الأرض ..

وقالت شهيرة وهى تهز رأسها فى حيرة :

- ولكننا لن نستطيع أن نعيش أكثر من شهر.

- لا بهمنا الوقت الذى سنعيشه . وإنما المهم هو الوقت الذى سنحكمه

.. إن حساب الزمن ستأخذه من أمفل .. من عمر الرعية التى نحميها ..

وقال عبد الحبير :

- إذا حسينا معدل العمر بسبعين عاما فإن هذا يعنى أننا سنحكم عشرة

أجيال .

وتسأل عبد اللطيف :

- سبعين عاما .. تعنى عندنا سبعين ساعة .. أى ثلاثة أيام تصوروا

.. يولد الإنسان . ويكبر .. ويصبح شاب ويتزوج وينجب .. ويمر

بدور الكهولة .. فالشيخوخة .. ثم يموت .. كل هذا فى ثلاثة أيام .. أى

عمر هذا ؟

ورد عبد الحبير :

- إنه سيعيش حياته كاملة كما نعيش حياتنا .. إنه سيقضى فعلا

سبعين عاما .. ولكنها ستمر بالنسبة لنا فى ثلاثة أيام .

وتساءلت شهيرة :

.. وكيف سنراه نحن ؟

.. سنراه ينمو بسرعة . فى كل دقيقة يكبر ستة أيام .. فى ستين دقيقة سيكون قد كبر عاما بأكمله .

وهز عبد الراضى رأسه وتمتم قائلا فى جزع :

.. مصيبة .. لا يكاد الإنسان يلاحق نمو الأولاد بالملابس والأحذية عاما

بعد عام .. وفى آخر العام .. تكون الجزمة قد ضاقت .. والآن يصبح علينا أن تشتري لهم حذاء كل ساعة .

وهمس به عبد اللطيف قائلا :

.. أية أحذية يا عبد الراضى ؟

.. ألن نصبح مسئولين عنهم كما قال الكاهن ؟

.. ولكننا لن نلبسهم أحذية .

.. أستركرمهم حفاة ؟

.. حفاة .. أم عراة .. ليفعلوا ما يحلو لهم .

.. إذن لن نكون مسئولين عنهم .

وتساءل عبد المهيمن محاولا أن يسكت المناقشة الجانبية :

.. ما بالكما ؟

وقال عبد الراضى :

.. كنت أظننا مسئولين كما قلت عن الأهالى .

.. أى أهالى ؟

.. الذين تحت .

.. مالهم ؟

.. هل نحن مسئولون عنهم أم لا ؟

.. طبعا مسئولون .

- استلبسهم أحذية أم لا ؟
 وبدأت الحيرة على عبد المهيمن وتساءل :
 - أحذية ؟
 - أجل .
 - هذه مسألة نفكر فيها بعدين .
 - هل سنتركهم حفاة . كما تركنا الحكام فى الأرض ؟
 - طبعا لا .
 - إذن لابد لهم من أحذية .
 - أعتقد هذا .
 - كل ساعة ؟
 - ماذا تعنى بكل ساعة ؟
 - لأن مقاسهم سيتغير كل ساعة .. سيكبرون عاما بحسابهم .. ويصبح
 كل منهم فى حاجة إلى حذاء جديد .
 وبدأت الحيرة على وجه عبد المهيمن .
 معقول أن لا نترك الرعية .. حافية بلا حذاء .
 ومعقول أن تضيق بهم الأحذية .
 ولكن أن يغيروا الحذاء كل ساعة .. أمر غير معقول ..
 ولم يكن من المعقول أيضا أن ترتبك الآلهة .. فى أول مشكلة تتعرض
 لها .. رغم ما بها من ثقافة ..
 فالمفروض أن تبدأ الحكم بمشاكل أعوص .. بحيث تبدو هيئة الحكم
 معذورة إذا عجزت عن حلها ..
 أما أن تختار فى أحذية الرعية .. فهو أمر غير مشرف للهيئة .
 ولم يجد عبد المهيمن خيرا من الكلفتة . فرد على عبد الراضى فى
 شىء من عدم الاكتراث :
 - مسألة الأحذية هذه .. ليست مشكلة .. إنما سندبرها بعدين .. و..

وقال عبد القادر في كبرياء :

- نحن هنا أكبر من حكام .. إننا في مصاف الآلهة .. ومن غير المعقول .. أن نشغل أنفسنا .. بهذه المسائل التافهة .. كالجزم والشباشب .. هذه أشياء ستحل نفسها بنفسها ..

وقال عبد اللطيف مستطردا :

- على رأيك .. مسألة الأخذية هذه .. لا تشكل معضلة .. ولكن المعضلة هي أسلوب الحكم الذي سنمارسه في الرعية .. ومدى مسئوليتنا عنها .

وقال عبد الحبير :

- بمقياس الألوهية .. نحن مسئولون عن كل ما تفعل .. إننا نحن الذين نرسم خطاها .. ونقرر مصائرها .. ونحدد لها كل ما تفعله .

وتساءل عبد اللطيف :

- نحن سنفعل هذا ؟

- المفروض .

- وكيف ؟

- بالسيطرة والتوجيه .

- أتعني أننا مسئولون .. عن توجيه كل فرد .. ورسم خطاه .. وتقرير مصيره .. وتحديد كل ما سيفعل قبل أن يفعله .

- هذا هو المفروض .

- هذا يحتاج إلى هيئة هائلة .. من المخططين والموجهين .. يحتاج إلى جيش من الموظفين ..

- وجيش الموظفين .. يحتاج إلى جيش آخر لخدمته .. مستخدمين .. وحسابات .. وأرشيف .. ويصبح شغلنا الشاغل .. هو جيش الموظفين .. بترقياتهم وعلاواتهم .. وتظلماتهم .. وزوغانهم من العمل .. و .. وعلى الكوكب وأهله العرض ..

... إذن ما العمل ؟

وقال عبد الحبير :

... إننا نملك القدرة على السيطرة والتوجيه .

وقال عبد المهيمن :

... والمفروض أن نستعملها ..

وقال عبد القادر :

... وإلا كنا كعدمنا .. ولأصبح الكوكب فوضى .

وقال عبد اللطيف :

... نستعملها في توجيه كل فرد .. هذا غير معقول ..

... إذن ماذا تقترح ؟

... المفروض أن كل مخلوق توجهه .. حصيلة القوى المركبة له .. إن

الكائن الحي .. مجموعة عناصر تتفاعل في داخله .. وحركته في أي اتجاه

.. هي نتيجة تفاعل هذه العناصر .. ولا أظننا سنحتاج لأي جهد لكي

نحرك المخلوقات .. فالصراع بين قوى الذهن والنفس والبدن .. التي تختلف

نسب تركيبها من مخلوق إلى مخلوق .. هو الذي يوجه حركتها .. ويحدد

مصيرها .

... وماذا سنملك نحن .. إذا كانت حركة كل مخلوق تحددها نسبة

تركيب العناصر التي تكونه .. وقد وجدت فعلا .. وأضحى هو نفسه كبداية

.. يحددها هو .. ولكنه لا يملك الاستمرار ..

... لماذا ؟

... لأنه لا يتحرك وحده في الكون .. ولكنه يتحرك مع مجموعة هائلة

من المخلوقات .. التي تتعارض حركتها بعضها مع بعض .. ككرات

البلياردو .. تتصادم فتغير كل منها اتجاه الأخرى .

... أهذه هي الصدفة أو الحظ أو القدر ؟

... سمع ما تشاء .. إنها تعارض حركة مخلوق يسير بتركيبه الذاتي مع

حركة مخلوق آخر يسير بتركيبته الذاتى هو الآخر ويسعى لتحقيق هدفه بإرادة هذا التركيب . وقد يصطدم خلال حركته بالمخلوق الأول فيتغير اتجاهه بلا وعى ولا قصد .

ـ كيف ؟

ـ فى الأرض يبدأ المخلوق حركته نتيجة صراع بين ذهنه وجسده .. بين إرادة توقف النزوة .. ورغبة فى النزوة .. بين مشقة تفرضها الإرادة .. ومتعة يرتاح إليها الجسد .. وتبدأ الحركة .. حركة إرادية نتيجة صراع بين عنصرين فى داخله .. حتى تصطدم بمعارضة خارجية .. مقصودة أو غير مقصودة .. ولكنها نتيجة صراع .. عناصر فى داخل جسم آخر . يخرج المخلوق . قاصدا اتجاها .. بإرادته .. فيتقابل مع مخلوق آخر يسير بإرادته فى اتجاه مضاد .. بعربة مثلا .. قد تصرع المخلوق الأول .. فتوقف حركته .. أو تحمله فتعجل بها .. قدر .. عطسه .. أو ساعده !! صدفة .. لم يقصدها مخلوق آخر .. وإنما هو مجرد تقاطع .. أو تصادم .. أو تقابل .. يشكل .. الإرادة الأخرى التى تحرك المخلوقات .. إرادة القدر أو الحظ .
وساد الصمت برهة واستغرق كل منهم فى تفكيره الخاص .

وتسأل عبد المهيمن وقد بدا عليه الشرود :

ـ ماذا إذن نملك نحن .. بين إرادة الفرد ويحددها تركيبه الذى أوجده الخالق فيه .. وبين .. إرادة لاتعارض مع حركة مخلوقات .. فى كون .. لا يوجد به المخلوق وحده .

مستولا بمجرد وجوده بهذا التركيب المحدد عن حركته نتيجة الصراع المستمر بين هذه المركبات فى داخله ؟

ـ معنى هذا أن يحدد كل مخلوق حركته ويحدد مصيره . بإرادة تركيبه الذاتى .

ورد عبد اللطيف :

ـ إننا نستطيع أن نراقب .. وأن نضع القواعد .. لتنظيم حركة

المخلوقات .. ومنع التصادمات الكبرى .

وقال عبد الراضى :

.. تقصد كهسكرى مرور؟

وهز عبد اللطيف رأسه وأجاب ضاحكا :

.. شىء كهذا ..

وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى حسرة :

.. يا خسارتك يا عبد الراضى .. دائما .. موكوس .. حتى فى السماء

.. سنحت الفرصة لتكون إلها .. ورسيت فى النهاية على عسكرى مرور ..

قسمتك !!

١٦ - حل رجالي

بدأ حكم السفينة للكون الجديد ..
ولم تبد المسألة تحتاج إلى مهارة كبيرة ..
لم يكن هناك مطلب للرعية سوى الطعام .. ولم يبد الطعام مشكلة
معقدة .. فقد توافر الطعام لكل حسب قدرته في الحصول عليه
وانتزعت القوة لأصحابها ما احتاجوا إليه من الطعام .. أكل القوي الضعيف
.. واقفات الضعيف بما لا يحتاج إلى قوة لانتزاعه .
وأخذت الجماعة تشاهد الحياة الجديدة .. مأخوذين وكأنهم سياح ..
يرقبون أحد مشاهد الأدغال . وهتفت شهيرة وهي ترقب الصراع البدائي من
أجل اللقمة :

.. شيء فظيع ..
وقتم عبد اللطيف :
.. إنه أبسط مظاهر الصراع .. صورة بدائية لما يحدث في عالمنا
المتحضر ..

- يأكل بعضهم بعضا ؟
- ولكني يجد طعامه .. من أجل أن يحيا .
- ويموت الآخرون ؟
- لأجل بقاء غيرهم ..
- أحتم على الحياة أن تبعث من الفناء ؟
- بقاء البعض مستمد من فناء البعض الآخر .
- أسلوب يشع للبقاء .

- ألا يشكل جسد الخروف وليمة للإنسان ؟

- لأنه خروف .

- أمن حق الإنسان وحده أن يستبيح حياة الآخرين لبقائه ؟

- إنه يرى حياته أقيم ما فى الوجود .. إنه وحده صاحب الحق فى الحياة .. وبقية الأحياء مسخرون لبقائه .

- وهم كاذب .. إنه قطرة فى بحر الوجود .. إنه - عما ما بينه من صراع - يشكل طرفا ضئيلا فى الصراع الكونى .. تميزه القدرة على التفكير .. لقد أصبح ذهنه أمضى أسلحة الصراع الكونى .

ونظر عبد اللطيف إلى عبد الراضى وقد بدا كأنه منصت إلى المناقشة :

- والا إيه يا عبد الراضى ؟

ورد عبد الراضى فى موافقة مستسلمة :

- إيه ؟

وسأله شهيرة :

- يعنى موافق ..

- على ماذا ؟

- ألم تسمع المناقشة ؟

- أجل ..

- وما رأيك .. هل توافق ؟

- ولماذا لا أوافق ؟

وسأله عبد اللطيف ضاحكا :

- توافق على أى شىء ؟

- على أن الخروف يشكل وليمة للإنسان ..

- أهذا كل ما فهمته من المناقشة ؟

- عندما يعيش الإنسان عدة أيام على أكل الأنابيب .. يصبح الخروف

- بلا منازع - أهم جزء فى أى مناقشة تدور أمامه .

وكان عبد المهيمن وعبد اللطيف من همكين في مراقبة الكوكب الذى تحولت أشجاره إلى مجموعة من البشر متهدلة الشعور منتصبه الجذوع ممدودة الأذرع مستطيلة السيقان .. يتشاغل البعض بالطعام .. وعيد البعض فمه يعجب الماء من نهر يتدفق وسط الأعشاب .. ويتمطى البعض متثابها فى استرخاء .. ويستلقى البعض الآخر .. بلا حراك ..

وألقى عبد الحبيب نظرة على ساعة أمامه وقال بهدوء :
- ومضت ساعة ..

وهتفت شهيرة فى دهشة وهى تتحدث فى أهل الكوكب :
- كل هذا فى ساعة ؟

وقال عبد اللطيف ساخرا :
- ساعة بحسابنا ..

وأردف عبد الحبيب يقول :
- يعنى سنة بحسابهم .

ورد عبد المهيمن فى دهشة :
- سنة .. سنة كاملة ؟

- أجل ..

وأخذ عبد القادر يتحدث فى مجموعة البشر التى تملأ أرض الكوكب .
- يبدو بعضهم لا يتحرك .

- لعله نائم .

- أو ميت .

وبدا الشرود على وجه عبد المهيمن ثم قتم قائلا :

- لقد قنى جزء من الرعية .

ورد عبد اللطيف :

- يا أخى .. ما بقى فيه الكفاية .

- ولكنه سيتناقص يوما بعد يوم .. إن أسباب الفناء تحيط به .

- ولكنه قابل للتجدد .. إنه يفنى من ناحية ويتجدد من ناحية أخرى ..
 - تقصد بالتكاثر ؟
 - أجل .. ما يأخذه الموت .. تعرضه الولادة .
 - ولكن .. لست أرى فى الرعاية .. علامات ولادة .
 وعادت الجماعة تتحدث فى الأجساد التى تملأ أرض الكوكب .
 وتمتت شهيرة :
 - لست أرى بهم صفارا .
 وقال عبد اللطيف :
 - امنحوهم فرصة .
 وقال عبد القادر فى قلق :
 - لا تبدو بهم بطون منتفخة .
 وضرب عبد الراضى كفا بكف وهتف صائحا :
 - ياناس .. كل هذا يحدث فى ساعة .. بطون تنتفخ وأولاد تهبط ..
 فى ساعة ؟
 وزغده عبد اللطيف وقال ناهرا :
 - ياغبى .. فى سنة ..
 - سنة ١١٢
 - أجل .. ألا تفهم ؟ الساعة عندنا .. بسنة عندهم .
 وقال عبد المهيمن :
 - والمفروض .. أن يكون بعض نسائهم قد حملن .. وبعضهن قد ولدن .
 وقال عبد الحبير :
 - المفروض ..
 - لماذا إذن لم يحدث ؟
 - ولماذا يحدث ؟
 وتساءل عبد الراضى فى استنكار :

— أليس عندهم رجال ؟

ورد عبد الحبير :

— طبعاً يوجد ذكور .. وإناث .

— إذن ما الذى يمنعهم ؟

— يمنعهم من أى شىء ؟

ونظر عبد الراضى إلى شهيرة .. وبدا عليه التردد .. ثم قتم قائلاً :

— هذا كلام لا يقال أمام الحريم .

وردت شهيرة نيابة عنه فى غير استحياء :

— ما الذى يمنعهم من التكاثر ؟

— لأنه لا شىء يدفعهم إليه .

وتسأل عبد المهيم فى غيظ :

— ألا يدركون أن إحجامهم عنه يعنى ضمور الحياة وانتهائها ؟

— هذا أمر لا يهمهم .. إذا كانت نهايتهم حتمية .. فماذا يفيدهم

استمرار الحياة ؟

— من أجل أولادهم ؟

— وأين هم الأولاد ؟

— أمعنى هذا أنهم لن يتكاثروا ؟

— إلا إذا كان هناك ما يدفعهم إليه .. بالفرصة .. يجب أن يمنحوا

الصفة الثانية من الصفات الأساسية للبشر .. يجب أن توجد فيهم لهفة

الطعام ومتعته .. التى دفعتهم إلى البقاء .

— وبغير هذا لا يقبلون على التكاثر ؟

— أن يجد أحدهم فى نفسه ما يدفعه إلى تحمل متاعبه .

— ويتوقف استمرار الحياة ؟

— إلا إذا حدث تكاثر تلقائى كحبوب اللقاح تحملها الرياح أو أجرى

تكاثر صناعى .. كما تلقح قطعان البقر .. بصنف متميز من الذكور.

.. ليست هذه هي الحياة الطبيعية .
.. إذن فلا مفر من أن نشع فيهم الصفة الثانية .
.. وماذا يمنعك من هذا ؟
.. ستزداد الأمور تعقيدا .
.. إن هذا يمنحنا فرصة عمل .
.. لن يكون من السهل السيطرة عليهم .. إذا ازدادت رغباتهم وتعددت مطالبهم .

وقال عبد المهيمن فى حزم :
.. يجب علينا ألا نتردد .. ما دمتنا قد قررنا أن نحكم .. فلا بد أن نتحمل المسئولية كاملة .. إننا لم نفعل كل ما فعلنا .. لكى نحكم قطيعا من الحيوانات .. لا تشغله سوى مشكلة الطعام .
.. إنه لم يصل حتى إلى مستوى الحيوانات .
وضحك عبد اللطيف قائلا :
.. سيرتفع الآن إلى هذا المستوى بعد أن غنحه الصفة الثانية .
وقال عبد المهيمن فى إلحاح :
.. أرجوك يادكتور .. أسرع .. أنت تعرف قيمة الساعات فى هذا الكوكب .

وأردف عبد المهيمن :
.. لو انتظرنا عليه بضع ساعات لانقرض البشر منه ..
وقال عبد اللطيف :
.. وانتهت الحياة .. ولما وجدنا فيه ما يحكم حتى النباتات .
وقال عبد المهيمن فى قلق :
.. دعوه من فضلكم .. يجب أن ينتهى من مهمته فى أقرب وقت .
وهز عبد الراضى رأسه فى دهشة قائلا :
.. ياناس .. ياهوه .. لماذا لا تتحركونهم فى حالهم .. المفروض فيكم

كآلهة .. أن تهينوا لهم الهداية .. لا أن تثيروا فيهم الفتنة ..

وصاح فيه عبد القادر :

- هل تريدون أن يبقوا هكذا في هدايتهم حتى ينقضوا ؟

- ينقضوا .. ينقضوا .. أليس هذا خيرا من أن تهينوا لهم الغواية
وتدفعوهم إلى الضلال .. فيفسدوا في الكوكب .. وتنزلوا بهم العقاب .

- عقاب لماذا ؟

- على الزنا .

- ولماذا الزنا .. لماذا لا يفعلونها بالأصول ؟

- أية أصول ؟

- الأصول التي سنضعها لهم .

وهز عبد الراضى رأسه وقال في سخرية :

- كان غيركم أشطر .. هذه أشياء تفعل .. بالمزاج وليست بالأصول .

- إن تلك هي مسئوليتنا ولا بد أن نأمرها .. أما أن نترك رعبتنا

تنقض .. خوفا من الغواية .. ونقف للتفرج عليها .. وهي تفتى .. فرحين
بهدايتها .. فذلك ما لن نسمح لأنفسنا به ..

وقال عبد القادر :

- نحن لا نبحث عن الراحة .. ولو كانت هي هدفنا .. لبقينا في

السفينة .. ننتظر نهايتنا المحتومة .

ووجه عبد المهيمن حديثه إلى عبد الحبير :

- أسرع يادكتور أسرع .. الوقت يسرقنا .

وكانت شهيرة قد تنحت جانبا وقد أحست بالحرج من الخوض في

المناقشة .

ومر الوقت وعيون الجماعة مترجحة بين عقرب الساعة ولوحة المراقبة

وكلما تحرك عقرب الدقائق مؤذنا بمرور دقيقة هتف عبد القادر في قلق :

- مرت ستة أيام .

واستمر أهل الكوكب فى حالهم .. ما بين أكل وشارب .. ومسترخ .. وميت ..

وفجأة بدت بينهم حركة غير طبيعية .
لم يعد الطعام وحده يشغلهم ..
بدأ الذكور .. يتعقبون الإناث ..
والإناث يرمقن الذكور .. ويتخايلن أمامهم فى دلال .
وأشاح عبد الراضى بعينيه عن اللوحة وهو يردد :
- الفتنة نائمة : لعن الله من أيقظها .
وقال عبد اللطيف ضاحكا :
- بعد لحظات سيستحق المشهد مقص الرقيب .
وقال عبد القادر فى حزم :
- أوتضع بجواره « للكبار فقط » .
ومضت ساعة أخرى .
وعلت من اللوحة .. صرخات أطفال .
وهتف عبد المهيمن فى سعادة :
- أجل .. هذا أفضل .. لقد ضمنا استمرار الوجود .. لم تعد رعبتنا
مهدة بالفناء .. إنها تتكاثر .. وتتزايد .
وقال عبد اللطيف وهويشير إلى البطون المنتفخة :
- والبقية تأتى .
وأخذ عبد القادر يعن النظر فى مجموعة البشر التى تعالى من وسطها
صراخ المواليد وتمتم قائلا :
- تبدو المواليد قلة .
وتساءل عبد المهيمن :
وماذا تقصد ؟
- أقصد أن الموتى أكثر كثيرا .

... مازال فى البطون المنتفخة مزيد من المواليد .

... لن يعادلوا عدد الموتى .

... لننقص عدد الموتى .

وقال عبد الحبير :

... لأظن إنقاصه عن هذا القدر أمرا ميسورا .. إن هذا هو المعدل

الحتمى للموت .. بشتى أنواعه .. موت النهاية .. والموت الناتج عن

صراعه مع مختلف العناصر .. سواء كان صراعه مع نفسه .. أو مع غيره

من الكائنات والقوى .. من الجراثيم .. إلى قوى الطبيعة كالزلازل

والعواصف والصواعق .

ورد عبد المهيمن :

... إذا قلنا من المواليد .. لابد أن تكون نسبة القادم إلى الكوكب أكبر

من الخارج منه ..

وقال عبد القادر مؤكدا :

... أجل لابد من زيادة النسل .

عبد اللطيف وهبهز رأسه فى حيرة :

... زيادة النسل .. كيف ؟

ومال عبد الراضى نحوه يهمس فى أذنه قائلا :

... إن لدى تحويجة .. مضمونة .. نستطيع أن نصفها لهم .

وقال عبد الحبير وهو يرقب الكوكب :

... يبدو أن الرجال أقل من النساء .

وقال عبد المهيمن متسائلا :

... ولكن لماذا يقتصر كل رجل على امرأة ؟

وأردف عبد القادر :

... لو أن النساء كلهن ألجين .. لزادت نسبة المواليد على الموتى .

وتسأل عبد اللطيف :

- ولكن كيف ينجين كلهن إذا كان عدد الرجال غير كاف ؟
وقال عبد الراضى :
- لكل رجل .. أربع .. على سنة الله ورسوله .
ورد عبد الحبيب :
- لا يكفى .. إن النساء أكثر بكثير .
وقال عبد الراضى :
- وما ملكت يداه .
وعاد عبد الحبيب يقول مؤكدا :
- أكثر بكثير ..
وقال عبد الراضى فى انشراح :
- ماشاء الله .. الحال فى الكوكب رضا .. لماذا لا نحاول النزول ؟ ..
إن العيش فيه مع الرعية أفضل بكثير من هذا الحكم الذى فارسه هنا .
وقال عبد المهيمن وقد بدا عليه الجهد والتفكير:
- مشكلة .. لابد من حلها .. دبرنا بأعبد القادر 11
وأجاب عبد القادر :
- العملية تحتاج إلى تنظيم .. لابد لكل رجل من مقطوعة يقوم بها .
وقال عبد الحبيب :
- حل غير معقول .. هذه عملية لاتقبل الإكراه .. إنها مسألة مزاج كما
قال عبد الراضى .
وسأل عبد المهيمن :
- إذن ماذا تقترح ؟
وقتم عبد الراضى قائلا :
- نهى . له المزاج .
وقال عبد الحبيب :
- بالضبط .. هذا هو الحل .

ورد عبد المهيمن قائلا فى استنكار:

.. كيف .. أيمكن أن ندخل فى عملنا .. مهمة تهيئة المزاج ؟ ..

وقال عبد الحبير :

.. اسمعوا .. إنها مسألة علمية .. تحتاج لحل علمى .. إن مجرد منحنا الرغبة للجميع .. قد أدى إلى أن ينجب كل رجل من امرأة واحدة وبهذا اقتصر عدد المواليد على عدد الرجال . ولما كان عدد النساء أكثر كثيرا من الرجال .. فالمطلوب أن يكون الإنجاب بعدد النساء .. إذن فلا بد أن نبعث الرغبة فى نفس الرجل . لكبر عدد من النساء .. ولما كانت المرأة لا تنجب إلا ولدا كل تسعة أشهر .. مع تعدد لقائها بالرجل . فغير مطلوب أن نبعث فيها الرغبة إلا لرجل واحد .. ولما كان الرجل قادرا على أن ينجب من أول لقاء بالمرأة .. فلا داعى لتكرار اللقاء مع امرأة واحدة أكثر من مرة .. بل ويصبح المطلوب هو بعث الرغبة فى نفسه للقاء جديد مع امرأة أخرى .. بحيث لا تذهب نتيجة اللقاء سدى إذا تكررت مع المرأة الواحدة .. والنتيجة تحتم علينا أن نبعث فى الرجال الرغبة المستمرة فى امرأة جديدة .. حتى نضمن أن كل لقاء يصبح ذا جدوى .. أمفهوم هذا ؟

وصرخت شهيرة محتجة بعد أن أخذت تتبع الشرح فى اهتمام حتى تعرف نتيجته :

.. هذا غير معقول .

وسألها أبوها فى دهشة :

.. ما هو هذا غير المعقول ؟

.. هذا حل رجالى بحث .. إنكم هنا تتصرفون فى مصير الكوكب

بعقلية الرجل ..

وقال عبد المهيمن محتجا :

.. إننا نتصرف كحكام .

..حكام رجال .. تريدون أن تكرروا فى الكوكب مأساة الرجل فى

الأرض .. تريدون أن تهيئوا للرجل « فروغية » العين . وأن تغرسوا فى نفسه الخيانة .. حتى يريد دائما امرأة جديدة .

وقال عبد القادر محاولا أن يشرح القضية :

ـ إن المسألة .. ليست مسألة رجل وامرأة .. ولكنها مسألة كون بأكمله وصرخت شهيرة :

ـ يجب أن تتساوى المرأة بالرجل .

ـ ولكننا لانحاول التفرقة بينهما .

ـ كيف ؟ .. إنك تمنح الرجل حق الرغبة الدائمة فى امرأة جديدة ..

وقاطعها أبوها قائلا :

ـ لأن عدد النساء أكبر من الرجال ، ولأن كل لقاء لرجل بامرأة جديدة

.. يمنحنا وليدا .. ونحن فى حاجة إلى مزيد من المواليد .. حتى تعادل نسبة

الوفيات :

وقالت شهيرة محتجة :

ـ ولكن هب أن عدد الرجال زاد على عدد النساء هل تمنح النساء هذا

الحق .

ـ لن يكون له أية فائدة .. لأننا لن نغيد من لقاء المرأة بالرجل .. إلا

وليدا كل تسعة أشهر مهما تعدد اللقاء . وتنوع الرجال .. ومن أجل هذا لن

يحتاج الكون من المرأة الطبيعية سوى الرغبة فى رجل واحد والاكتفاء به .

وقالت شهيرة ساخرة :

ـ بينما نحتاج من الرجل الرغبة الدائمة فى امرأة جديدة .

وقال عبد القادر :

ـ بالضبط .

وصاحت شهيرة محتجة :

ـ هذا غير معقول . إنكم تقننون حياة الكوكب بعقلية الرجل .. أنتم

تريدون هنا .. أن تحللوا للرجل .. خطاياهم .. أن تجعلوها .. حقا مشروعا ..

أنا أحتج .

وقال عبد الراضى فى مسكنه :

.. ليه يا ست شهيرة ؟ والله الرجل غلبان .. عندما يمارس رغباته الطبيعية .. التى يفرضها عليه تكوينه يتهم بالانحراف والخيانة .. وتتكوم على رأسه التهم .. دعيهم ينصفوه مرة فى الكوكب .
وشخطت فيه شهيرة قائلة :

.. اسكت أنت .. أنت أيضا رجل .

وحاول عبد اللطيف تهدئتها قائلا :

.. اهدنى يا شهيرة .. دعيهم يجربوا الحل الذى يريدونه .. وأنت على أية حال .. لن يصيبك منه ضرر .. فأنت هنا حاكمة .. ولست من الرعايا .. ولن تنطبق عليك التنظيمات الموضوعة هناك .. ولن يمسك أحد بالخيانة فأنت هنا وحدك لاشريكة لك .

وقالت شهيرة :

.. إنى لا أتكلم عن نفسى .. ولكنى أنظر إلى المسألة من ناحية المبدأ .. غير معقول أن نعطي لرجل حق الخيانة واللعب بالذيل .. وأن نتركه فى الكوكب على حل شعره .. دون أن نحاسبه .

وقال عبد المهيمن فى دهشة :

.. ولماذا لانحاسبه ؟

.. إذا كنت قد غرست فيه هذا الميل فلماذا نحاسبه ؟

.. إننا سنقول له إنها خطيئة وتؤاخذ إذا ارتكبها .

وصاح عبد الراضى محتجا :

.. ما شاء الله .. كأننا لا رحنا ولا جينا .. تمنحونه الرغبة فى النساء .. لأجل أن يمنحكم الذرية .. ويضمن لكم استمرار الحياة .. لكى تمارسوا السيادة .. ثم تقولون له إن هذا خطأ ونحاسبونه عليه .. هذا أمر غير معقول

وقال عبد القادر :

— إننا سئمنحه الإرادة لمقاومته .

— تمنحه الإرادة .. ورغبة أقوى من الإرادة ثم تؤاخذ بهد ذلك .. حرام والله .. حرام .

وصاح به عبد المهيمن :

— كفى صراخا .. هذا ليس شغل حكام .. هذا شغل همج .. ماذا تقول الرعية عنا لو سمعتنا .. نتعارك هكذا ؟

ثم وجه القول إلى عبد الخبير قائلا فى حزم :

— اسمع يادكتور عبد الخبير .. إن استمرار الحياة فى الكون أهم من كل شيء .. افعل ما أشرت به ..

وقال عبد القادر :

— وأى مشاكل تنتج عن هذا .. سنحاول حلها .. إن هذا من صميم اختصاصنا .. إننا مسئولون عن حل مشاكل الرعية .
وأخذ عقرب الساعة يدور .

ومرت ساعة أخرى .

وزاد عدد صراخ المواليد .. وبدأوا يزحفون على الكوكب كالنمل .

وصاح عبد المهيمن :

— هؤلاء الصغار .. كيف سنتركهم يهيمنون هكذا .. لابد لهم من حماية ورعاية .

وقال عبد اللطيف :

— ليس أولى برعايتهم ممن وضعنهم .

وصاح عبد المهيمن أمرا عبد الخبير :

— اغرس اللهفة عليهم فى نفوس أمهاتهم .

وقال عبد اللطيف :

— أمهاتهم فقط .. لابد لهم من عائل يشد أزهرهم ويواجه معهم صراع

الحياة .

وقسم عبد المهيمن قائلا :

- اربط الرجال بالأمهات والأولاد .. لابد أن تكون هناك وحدة لمواجهة ..
.. تحديات الحاجة ومشاكل الحياة ..
وبدأت التجمعات الصغيرة في الكوكب .. وحتمت تحديات الحاجة ..
وصراع القوى المعادية .. تجمعا أكبر ..
وبدأ الصراع تتسع رقعته .. ويزداد حجمه .. صراع من أجل البقاء
والاستمرار .. الحصول على اللقمة .. والتكاثر .. واتقاء عواذى الطبيعة ..
وشاهدت جماعة الحكام .. تطور الحياة في الكوكب .. تطورا تفرضه
الحاجة إلى اللقمة والجنس والأمان .
وبدا مجتمع الكواكب .. متجمدا .. لا يزيد في مظهره .. ومشاكله
.. على عالم حيواني .. مشكلته الحصول على اللقمة والتكاثر والدفاع عن
النفس ..

ومضى يوم .. على هيئة الحكام ..

وتناوبوا مراقبة الكوكب .. دون أن يحدث ما يشير الاهتمام .. أو
يدعو .. إلى ممارسة السلطان .
وجلس عبد المهيمن يرقب أهل الكوكب في حياتهم الرتيبة دون أن
يشعر أن أحدا منهم في حاجة إليه .
وقال لعبد الحبير :

- وآخرتها يادكتور .. لقد أصبح الحكم يدعو إلى الضجر.

وتنهذ عبد الحبير متسائلا :

- وماذا تريد ؟

- نريد حياة حقيقية .. نريد مشاكل ومتاعب .. نمارس فيها قدرتنا

على الحكم .

وقال عبد الحبير :

.. لم تبق غير الصفة الثالثة .

.. الصفة الثالثة ؟

- أجل .. صفة الرغبة في التميز .. والطموح .. والخروج عن القطيع .

- إذن عجل بها .. لقد مضت في حكمنا عشرون عاما .. رتيبة مملة

.. نريد عالما حقيقيا من البشر بكل مآلديهم من مشاكل ومتاعب .

١٧ - فوضى

منع أهل الكوكب الصفة الثالثة من صفات البشر الأساسية . صفة الطموح .. والرغبة فى التميز .. والخروج من القطيع . وتعقدت رغبات المخلوق التى يحدده الصراع الداخلى الدائم بينها حركة الإنسان فى الحياة .

وبدت الصفات الثلاث التى منحت للكائنات .. الواحدة بعد الأخرى .. وقد عقدت حياتها وزادت من مشاكلها ومتاعبها . وتعددت القوى المتصارعة .. التى ترسم صور الحياة فى الكوكب وتحدد ملامحها ..

لم يعد الصراع الذى تواجهه الكائنات الحية يقتصر على قوى الطبيعة ..

.. ربيع تلطم أوراقها .. وعواصف تقتلع جذورها .. وصواعق تنقض على قممها .. وزلازل تشق الأرض أسفلها . بل ظهر تعدد فى أشكال الصراع الذى تواجهه الكائنات .. فى باطنها .. ومع بعضها البعض .

لم يعد الكائن الحى يهتأ بهدوء الشجرة .. وتمتد جذورها فى باطن الأرض تمتص غذاءها فى صمت .. وتخرج أنفاسها فى هدوء .. وتنفض كساءها البالى .. لتخرج من براعمها كساء أخضر يانعاً .. فى موعد مرقوت .. لا يتأخر لحظة ولا يتقدم لحظة .. وفى مكون تخرج حبوب اللقاح منها .. أو إليها .. أو منها وإليها .. لتتملقها بالزهر .. وتوشىها بالنقوش الملونة .. الفواحة بالعطر .. وتحملها بالثمر .. يلتقى بنوره على الأرض بغير

جهد .. لتثبيت وتنكاثر.. وتواصل الحياة الخضراء اليانعة المزهرة .. تشيع
فى الأرض السلام والأمان .

خرج الكائن الحى من وقفته الهادئة .. جرى وراء الطعام ..
والشراب ..

ومن كائن حى آخر .. كان طعامه .. وشهد الكوكب أول مصرع
للحياة .. من أجل الحياة .. رغم وفرة الطعام فى الأرض .. وتدفق المياه
فى القدير .. فلم تحل له إلا لقمة غيره يصارعه من أجلها .. ولم يطب له
إلا مورد سواء يزاحمه فى السقيا منه .

وأصبح عليه .. أن يأكل .. ويحمى نفسه من أن يؤكل .
ورغم هذا فقد نعم بنوع من الهدوء .. سرعان ما اقتطعه عندما منح
رغبة الجنس واللفه عليه .

وتعددت مشاكله .. بأسرة وذرية كان عليه أن يتحمل مسئوليتها .
لم يعد يستطيع وقتما يريد .. فيتشامب ويهب للبحث عن طعامه ..
فياكل ويشرب .. ثم يشب على أول أنثى تصادفه .. ثم يعتمد مسترخيا فى
قطعة ظل .. حتى يجوع فياكل .. ويقالبه النعاس فينام .

لم يعد يملك القدرة على أن يشعم بهذه العفوية الهادئة .. التى لا يقطع
هدوها .. سوى عنصر معارض .. قد يجىء وقد لا يجىء ، لقد أضحت
مشاكله تثار من داخل محيطه .. من أسرته الصغيرة التى بات مسئولاً عن
إطعامها وحمايتها .

كان انعدام الملكية الخاصة .. أو الإحساس بالملكية المطلقة للكون كله
.. لا يتطلب منه إحساسا بالمسئولية .. مسئولية الرعاية والصيانة والحماية .

لم يكن يعرف أين أولاده حتى يدافع عنهم .
وكانت كل إناث الكون إناثه .. فلم يجد ما يدعو به إلى أن يخصص
واحدة منهم بالذود عنها .. أو الغيرة عليها .

ولكن .. لكى تبقى الحياة وتنمو بات عليه أن يحمل هو مسئولية

استمرار الحياة .. وحمايتها .
ولم يكن أمامه بد من تحمل المسؤولية .. مسئولية التكاثر .. بالحجاب
الذرية وحمايتها .
وابتلع طعم اللقمة الشهية .. ورغبة الجنس اللذيذة .. وراح يملأ
معدته بالطعام ... ويشبع نفسه بالجنس .. فعاش .. وألحج ذرية .
وبات عليه أن يواجه .. متاعب الحياة .. وصراعاها .. من أجل نفسه
.. ومن أجل حمل من الذرية يشغل ظهره .
ومع كل هذه المتاعب .. سارت به الحياة .. فى هدوء نسبي .
كائن حى .. يأكل لينمو .. ويتلاقح .. ليتكاثر .. ويحمي نبتة حتى
يشهد عوده .. ويرمى بذرته .. لتنبث .. وتتكاثر .. وهكذا تستمر الحياة .
وضمن جماعة السفينة .. مواصلة الحكم .. واستمرار السلطان .. فى
حياة .. تتدفق .
ولكن تدفق الحياة .. كان رتيباً .. مجرد أكل .. وتكاثر .. وصراع
بدائى .. من أجل اللقمة .. والجنس .
لاتطور .. ولا تقدم .
ومنع الأحياء الصفة الثالثة .
وبدا الطموح بينهم .
بدأت الرغبة فى التميز .
والسباق بين القطيع .
لم يعد الأحياء .. يسرون صفاً .. ولاعادوا سواسية كأسنان المشط
.. بل بدأ التسابق .. والتدافع بالأيدى والمناكب .. لالهدف محقق .. لا
للقمة .. ولا لشهوة .
ولكنه سباق مطلق .. تدفع إليه إمكانيات السبق .. والرغبة المطلقة
فيه .. أكثر مما تدعو إليه أهداف معينة .
وتعددت ميادين السبق .. كل بإمكانياته .. وقدراته المختلفة ..

وشحذ الأحياء أسلحة الصراع فى سباق الحياة .. سراء كانت جاذبية الشكل
أو قوة البدن أو حدة الذهن أو إرهاف الحس .

ولم يعد الصراع يقتصر على مشكلة الفرد البسيط من أجل الحصول
على اللقمة والمجابهة الذرية وتأمين البقاء .

وبدأ يبرز من وسط الصفوف أفراد .. متميزون بأحد مظاهر التميز
يقودون من حولهم إلى صراع جماعى .. يضمن لهم مزيدا من القوة ..
يقهرون بهم غيرهم من الأفراد أو الجماعات الأضعف .

وأحست الجماعة فى السفينة بتبلور المجتمع فى قبائل .. استطاع
الطموح والرغبة فى التميز التى منحها الأحياء أن يستغل تفوق القدرات
لدى أصحابها .. فتدفع بهم إلى الأمام .. ليسلمهم الغير زمامهم .. حيث
يحملون عنهم بعض مسئوليات الحياة يوزعونها مشاركة عليهم .. ويتولون
قيادتهم فى ممارستها .

.. وأخذت الجماعة ترقب الرعية .. تمارس نوعا متقدما من الحياة .
ويشاركون فى مسئولياتها .. ويتولى البعض قيادتهم فيها .
وقال عبد المهيمن وقد تملكه إحساس بالرضا :
.. هذا معقول ..

وقال عبد الحبير :

.. لم يعودوا مجرد حيوانات .. تأكل وتتكاثر .. إنهم يحاولون دائما ..
أن يطوروا حياتهم إلى أفضل .
ورد عبد القادر :

.. يبرز منه متميزون .. يكشفون حقائق ويحققون انتصارات ..
ويقودونهم إلى مزيد من الرخاء .
وقال عبد اللطيف :

.. إني أسمع أصواتا .. تصدح بالفناء .. وأرى الناس ينصتون إليهم
فى نشوة .

وقالت شهيرة :

- بدأت النساء تتزين ..

ورد عبد الراضى :

- ليس هذا جديدا عليهن .. هذا مامنحته الصفة الثانية للأحياء ..

وهن يمارسن عملية جذب الرجل .. المسكين .

وقالت شهيرة :

- لست أقصد جذب الرجل .. ولكنى أقصد أنهم أحسن بقدرهن ..

وبدأن يظهرن بالمظهر اللائق بأنشى .

وقال عبد اللطيف :

- المهم أن الكون يتطور .

وتنهى عبد المهيم :

- ولكن دون جهد واضح منا .

ورد عبد الحبير :

- ليس مفروضا علينا أن نعمل أكثر من هذا .

وقال عبد القادر :

- هل تظن عملنا سيقصر على مجرد الفرجة على الرعية ؟

- لقد متحنناها .. المركبات البشرية اللازمة .. وليس معقولا أن نشتيع

كل فرد .. لنحركه كما نريد .. إن الأحياء يتحركون .. بالقدرات الممنوحة

لهم .. وعليهم بعد ذلك أن يوازنوا صراع هذه المركبات فى داخلهم ..

وعليهم بعد ذلك أن يصارعوا القوى المعارضة لحركتهم والتي تمارس حركتها

التلقائية فى مجال حركتهم .

وتساؤل عبد الراضى :

- وإذا ضل أحدهم ؟

- ضل عن ماذا ؟

- عن الصراط المستقيم .

.. لم نضع له بعد صراطا مستقيما حتى يضل عنه .. إن كلا منهم
يقصر حسب ما تدفعه إليه محصلة مركباته .. وحسب رغباته .. ومصالحه.

وسأل عبد اللطيف :

.. وإذا ظلم غيره أو اعتدى عليه ؟

.. كل منهم مسئول عن رد العدوان عن نفسه .. فلا أظن في قدرتنا أن
تنزل لئرد العدوان عن كل مظلوم .

وقالت شهيرة مستنكرة :

.. هذه تصبح فوضى .

وقال عبد اللطيف :

.. كان أولى بنا أن نتركهم في استرخائهم النباتي .. بدل أن نثير فيهم
الرغبات ونتركهم يتصارعون .

وهز عبد المهيم رأسه قائلا في حزم :

.. لا أظننا نستطيع أن نقف مكتوفى الأيدي لو عمت الفوضى في
كوننا .. وإلا انتهى بالدمار .

ورد عبد القادر :

.. ولعدنا كما كنا .. حكاما بلا رعية .

وهز عبد الراضى رأسه قائلا في سخرية :

.. وكأنك يا بوزيد ما غريت .

وتنهذ عبد الحبير قائلا في دهشة :

.. لماذا تحاولون البحث عن المتاعب .. لماذا لاتدعونهم في حالهم ؟

وقال عبد اللطيف مستنكرا :

.. ولكننا لم ندعهم في حالهم من أول الأمر .. بل بعثنا فيهم الرغبات ..
وأكثرنا الفتنة .

وأكملت شهيرة :

.. وبعد هذا تقول لماذا لاتدعهم في حالهم ؟

وقال عبد المهيمن :

— على أية حال .. إن علينا أن نراقب .. وسنتصرف حسب ماتحتمه
مستوليتنا علينا .. إننا على أية حال لن نقف سلبين تجاه رعييتنا .
وفجأة أشار عبد الراضى إلى اللوحة صائحا :
— يانهار اسود ..

وهتفت شهيرة :

— ماذا حدث ؟

— طبقوا فى بعض .

وقال عبد اللطيف :

— حرب .. بدأت الحرب بينهم .

وبدت اللوحة . كميدان قتال .

قاد أحد الزعماء قبيلته فى عملية غزو .. بعد أن أكد لقبيلته .. أن
أرضهم قد ضاقت بهم .. وأن الأرض المجاورة خيرها أكثر ورزقها أوفر .
وبدأ القتال .. بكل أنواع الأسلحة المتوافرة لدى الرعية .. بالعصى
والحجارة والآلات الحادة .. والأظافر والأنياب .

وصاحت شهيرة فى جزع :

— فظيع .. يجب أن نفعل شيئا .

وأكد عبد اللطيف قائلا :

— أجل .. غير معقول .. أن تتركهم هكذا يفنى بعضهم البعض .

وهز عبد المهيمن رأسه قائلا :

— أجل .. إننا كمستولين عن الرعية يجب أن نتدخل وأن نوقف هذه

الحرب المريعة .

وتسائل عبد الخبير ببساطة :

— كيف ؟

ورد عبد القادر :

- ألا نملك القدرة على توجيههم ؟

- أجل ..

- إذن نستعمل هذه القدرة في وقف الحرب .

- نستعملها مع من ؟

- مع .. مع .. مع صاحبنا هذا الذي يقودهم إلى القتال .

- ولكن غيره من الطامعين في مركزه .. سيحل محله .. ويواصل
قيادتهم في القتال .. ولو انتظرنا عليهم بعض الوقت .. لقضى عليه أحدهم
.. وحل مكانه .

- نوجه المقاتلين أنفسهم إلى عدم القتال .

- إذا فعل البعض ذلك .. إما أن يقضى عليهم القادة بتهمة الخيانة ..

أو يقضى عليهم خصومهم نتيجة استسلامهم .

- نوجه الجميع إلى الكف عن القتال .

- يحتاج الأمر إلى تغيير تركيبهم البشري .. إلى نزع رغبتهم في

الطموح .

- ولماذا لا نوجه طموحهم إلى الخير ؟

- خير من ؟

- خير أنفسهم .

- ولكنهم يعتقدون أنهم يعملون لخير أنفسهم .

- بالقتل ؟

- لم لا .. ألم نسلم بأن فناء كائن حي .. قد يكون ضرورة .. للحياة

كائن حي آخر ؟

- في مجتمع حيواني .. أجل .. ولكن بعد أن تطور المجتمع .

- سلمنا بأن يأكل الإنسان الحيوان .

- أجل ..

- وسلمنا بالصراع الذي يحتمه الطموح .

- صراع فردى .. عندما تتعارض مصلحة أحدهم مع الآخر .. ولكنه
ليس إلى درجة القتل .. وليس بالقتل الجماعى .
- هذ مسألة تحتاج إلى مجرد تنظيم .. وتقنين .. يوضح فيه ما هو
محرم .. وما هو مسموح به .. أما عملية التوجيه .. فغير مستطاعة إلا
بتغيير التركيبة البشرية .. وسلبها ما فيها من طموح .. والعودة بها إلى
الطبيعة الهادئة السلبية .. التى تأخذ وتعطى بتلقائية .. لا إرادة فيها ..
هل تريدون هذا ؟

وهز عبد القادر كتفيه وقلب شفته السفلى ثم قال فى استنكار :
- وأية قيمة تصبح لنا بعد هذا ؟
وعاد عبد الراضى يكرر جملته الساخرة :
- وكأنك يا أبو زيد ما غزيت .
ونظر إليه عبد القادر متسائلا فى غيظ :
- إيه أبو زيد .. الذى دوشتنا به ؟
- أبو زيد الهلالي .. كنا فيما مضى نسمع حكايته على الرماية ..
أحبون أن أروى لكم شيئا من سيرته .. إنى مازلت أحفظ بعضها ؟
وضحك عبد اللطيف قائلا :
- أهذا وقته يا عبد الراضى .. الرعية تحارب وتكاد تقضى على نفسها
.. والآلهة ملخومة .. وأنت تروى لنا أبو زيد الهلالي ؟
- نتسلى .. حتى تنفض المعركة .. بدل هذه الحيرة التى نحن فيها ..
ونظر إلى عبد المهيمن متسائلا :
- والا إيه يا باشمهندس ؟
ونظر عبد المهيمن إلى عبد القادر قائلا :
- ما رأيك ذيرنا يا عبد القادر ؟
- فى أبو زيد الهلالي ؟
- بل فى الحرب الدائرة أسفلنا .

وهز عبد القادر رأسه فى حيرة وقال :
.. ليس أمامنا .. كما قال الدكتور .. إلا أحد أمرين .. إما أن نتركهم
يتقاتلون .. أو نعيدهم .. أشجارا .. كما كانوا .. فالشجر هو الحى الوحيد
الذى لا يتقاتل ؟

وردد عبد اللطيف :
.. أجل .. إنه ينبت وينمو .. ويورق ويثمر ويثمر ..
وقال عبد الراضى متمتما :
.. ويؤكل ..
وقالت شهيرة فى أسف :
.. أى يعتدى عليه ..
وقال عبد اللطيف :
.. ويقبل العدوان فى رضا واستسلام .. كأنه وجد ليفنى فى سبيل غيره
من الأحياء ..

وهز عبد الراضى رأسه متأثرا وقال :
.. والله عالم نموذجى .. لست أدرى لماذا حورناه .. إلى ما أصبح عليه
.. ألم يكفنا .. ما يفعل الناس على الأرض ؟ .. المقصود .. لافائدة من
الكلام .. بعد أن وقع مارق ..
وقالت شهيرة فى قلق :
.. والآن ماذا قررتم أن تفعلوا ؟

ووجد عبد المهيمن أن عليه أن يتخذ قرارا حاسما ..
ولم يكن بالطبع يرغب فى أن يحكم شعبا من الشجر .. ووجد أن بشرا
يتقاتلون .. خير من شجر آمن ..
وقال فى حزم :
.. إتنا لن نعيدهم بالطبع أشجارا مرة أخرى ..
وتساءلت شهيرة :

.. إذن ماذا تفعل ؟
 .. نتركهم يتقاتلون ..
 وقال عبد القادر مؤكدا :
 .. إنهم ليسوا أول بشر يتقاتلون .
 .. ولا أول حرب تنشب فى الكون .
 .. ولم نسمع أن حربا .. أفنت البشرية .
 .. بل إنها قد تكون ضرورة .. من ضرورات الحياة .. حتى تأخذ بعض
 الزيادة البشرية وتزيل بعض التضاحم الإنسانى .
 .. إن الصراع أمر طبيعى .
 .. ولابد أن نتركهم يعانون تجربته ..
 .. أجل .. يجب أن يخوضوا الحرب . ويعرفوا بلائها بأنفسهم .. حتى
 يكفوا عنها .
 .. أجل .. أجل .. يجب أن يمروا بجميع التجارب .. حتى يعرفوا
 الطيب من الردى .. والخير من الشر .. ويعرفوا ماذا يفيدهم وماذا يضرهم .
 وانتهى الحوار بين عبد المهيمن وعبد القادر بقول عبد المهيمن :
 .. هذه الرغبة .. كالطفل .. يجب أن تكتسب حصانة بممارسة كل
 التجارب .. يجب أن تلوق المتاعب .. حتى تختار الطريق السليم بنفسها
 .. وإلا نشأت كالطفل المرفه .. تقضى عليه .. أبسط نزلة ..
 وبعد فترة صمت قال عبد الحبير :
 .. إذن اتفقنا على أن نتركها تحارب .
 وقال عبد المهيمن :
 .. أجل .. لندعها تحارب .
 وقال عبد الراضى مستسلما :
 .. تحارب .. تحارب .
 ثم اتجه برأسه إلى ناحية اللوحة التى يدور فيها القتال متمثما :

- دعوها تحارب . ودعونا نتفرج ..
 وبعد لحظة أردف فى حماس :
 - والله فرجة هائلة ..
 ثم بدأ الفاظ التشجيع فى حماس .. وهو يرقب المعركة قائلاً :
 - أيوه .. اضرب .. اديله جامد .. دى طلعت آوت ..
 ونظر إليه عبد المهيم فى استنكار قائلاً :
 - ماهذا يا أخي ؟
 وقال عبد الراضى فى حماس :
 - أنا مع الأهلى .
 ثم وجه التساؤل إلى عبد اللطيف :
 - أنت مع الأهلى والا الزمالك يا أستاذ ؟
 وعاد عبد المهيم يزجره قائلاً :
 - الزمالك إيه .. وأهلى إيه ؟ ..
 وقال عبد الراضى مفسراً :
 - الذين على اليمين هم الأهلى .. والذين على اليسار هم الزمالك .
 ثم عاد يصيح وهو يركز اهتمامه على اللوحة :
 - اجمد يا أهلى .. صاب الحجر نافوخه .. بطحه .. دشدشت الشومة
 ضلوعه .. جابته الأرض .. ياسلام .. أهو كده الضرب ..
 وقال عبد اللطيف وهو ينظر إلى اللوحة :
 - الزمالك .. حايقلب .
 - ابقى قابلى .. شوف دى .
 ونظر عبد المهيم إلى الاثنين وضرب كفا بكف وصاح مستنكراً :
 - غير معقول .. هذه مسخرة .. هنا ليس شغل حكام أبدا .
 وأردف عبد القادر قائلاً :
 - هنا شغل جمهور درجة ثالثة .

وقالت شهيرة وهى تشيح بوجهها بعيدا عن اللوحة :
 - هذا توحش ..
 وهز عبد الراضى رأسه قائلا :
 - نحن لسنا مسئولين عنه .. إننا مجرد متفرجين .
 وقال عبد القادر :
 - على أية حال .. لابد أن نشعود على هذه المناظر .. إننا سنصادف
 منها الشيء الكثير .
 ورد شهيرة فى جزع :
 - غير معقول .. إنى لم أكن أطيق منظر الملائكة .. أو المصارعة فما
 بالكم بمجزرة ...
 وهزت رأسها فى أسف قائلة :
 - هذا ليس شغل آلهة .. إنه شغل بلطجة .
 وقال عبد الحبير وهويرقب الشاشة :
 - أوشكت المعركة على الانتهاء ..
 وتسامل عبد الراضى وهو ينظر إلى اللوحة فى حيرة .. دون أن يعرف
 أى الفريقين كسب الحرب :
 - والنتيجة ؟
 وقال عبد الحبير :
 - تضعضع الفريقان ..
 وقال عبد المهيمن :
 - لعل هذا يكون درسا قاسيا للرعية كلها ..
 وتساءلت شهيرة :
 - وأين الزعماء الذين أشعلوا نيران المعركة ..
 - قتل أحدهم .. وانتحر الآخر .. ويبدو الثالث معلقا من قدميه فى
 شجرة ..

وانتهى القتال .. وعادت كل قبيلة إلى أرضها .. تعلق جراحها .. ولم
يعرف أحد .. ولا الآلهة التي فوق .. من الذي انهزم ومن الذي انتصر .. ولا
من .. أخذ .. ماذا .. من الآخر ..
ومن جديد .. عاد السلام إلى الكوكب ..
وواصل البشر الحياة ..
حياة طبيعية .. تحتمها .. مركباتهم ..
استمر الطموح .. واستمر بروز أصحاب القدرات المتميزة عن القطيع
.. يستمتعون بأكبر قدر من خير الأرض .. من الطعام .. والجنس ..
وشبهوا .. فقد كانت طاقتهم على استيعاب المتعة محدودة ..
ودفعهم الطموح غير المحدود إلى التفتن في المتعة .. واستغلال جهد
الغير .. من أجل الحصول على مزيد من المتعة .. بأقل جهد ..
وتقاسم المتميزون استبعاد القطيع .. يستنفزون منه .. أكبر جهد ..
بأقل أجر ..
وزادت إمكانياتهم على جلب المتع ..
فبحثوا عن المزيد منها .. وتفتنوا في الاستمتاع بها ..
عصروا الثمار .. فسكروا ..
وطال الوقت لديهم .. بلا عمل .. وبلا جهد فقامروا ..
ولم تعد اللفتة الجنسية .. وسيلة للتكاثر .. بل أضحت هدفا في حد
ذاته ..
ومنعوا التكاثر .. حتى لا يحملوا عبئه .. وواصلوا متعة الجنس ..
بكل ما يملكون من قدرة .. وتفتن ..
ودار عقرب الساعة في السفينة .. يؤذن مرور العام تلو العام ..
والجماعة ترقب .. الرعية ..
ونظر عبد الراضى إلى اللوحة وضرب كفا بكف :
- هاصت ..

وقال عبد اللطيف وهو يهز رأسه قائلا :

- آخر فوضى .

وقال عبد الخبير :

- استعبد المتميزون من الرعية .. الغلبة فيها .

وقال عبد المهيمن :

- وسكرت الرعية .

وقال عبد القادر :

- وغرق بعضها فى الملذات وغرقت الأغلبية فى الحرمان .

وقالت شهيرة :

- ولم يعد هناك قيم للأخلاق .. هذه عاقبة .. « فروغية » العين التى

منحتموها للرجال .

ورد عبد المهيمن :

- من أجل ضمان التكاثر فعلنا ذلك .. وليس لمجرد العبث .

- ولكنها الآن صارت للعبث .. والاستمتاع .. إن التكاثر لا يخطر على

بالهم .

وقال عبد الخبير :

- لضرورة لأن يخطر على بالهم .. يكفى أنه يحدث تلقائيا .

وتساءلت شهيرة :

- أيعجبكم هذا الانحلال ؟

ورد عبد الخبير :

- طبعا لا .

وقال عبد اللطيف ضاحكا :

- إذا أعجبنا كبشر .. فلا أظنه يعجبنا كآلهة ..

وقالت شهيرة ..

- أيمكن أن نسكت على هذا ؟ ..

وقال عبد اللطيف :

.. وماذا نستطيع أن نفعل .. ألم نرد رعية نحكمها .. هذه هي الرعية
ليست أسوأ منا .. عندما كنا نحن أنفسنا رعية ..

وقال عبد الراضى :

.. الحال من بعضه بأستاذ .. دعوهم فى حالهم .

وقال عبد المهيمن فى استنكار :

.. غير معقول .. إنه سبة فى حقنا ..

وقال عبد القادر :

.. مافائدة وجودنا إذا كانت الرعية ..

وأكمل عبد الراضى مقاطعه :

.. سائبة على حل شعرها ..

وأكد عبد القادر قوله :

.. أجل .. يجب أن نوقفها عند حدها ..

وقال عبد المهيمن :

.. لا بد أن نفعل شيئا ..

ثم نظر إلى عبد الحبير قائلا :

.. أظن من الحماقة .. أن تتركها فى هذه الفوضى .. إن من حقنا .. بل
من واجبنا .. التدخل .. مارأيك يادكتور ؟

وأطرق عبد الحبير مفكرا ثم قال : بعد لحظة :

.. أعتقد هذا .

وتسالم عبد الطيف :

.. كيف ؟

وقالت شهيرة :

.. نوجهها إلى الخير.. نهديها سراء السبيل .. إننا بذلك نكون قد
حققنا نصرا هائلا .. إنه يمكن أن يحدث ضجة فى الأرض . يمكن أن يكون

مانشيت غير معقول .

وقال عبد الخبير :

- مانشيت إيه يا شهيرة .. إتنا نحاول أن نهدي رعية .. ولسنا فى سبيل سبق صحفى .

وقال عبد المهيمن :

- ليس هذا وقته .. المهم أن نبدأ عملنا فوراً .

وقال عبد القادر متسائلاً :

- هل ستوجه الرعية كلها بالأشعة ؟

ورد عبد الخبير قائلاً :

- إن هذا يعتبر هدماً لمركباتها .

وتسأل عبد المهيمن فى دهشة :

- ماذا تقترح إذن ؟

- أقترح أن نوجه أحدها .. إلى هدايتها . أن نغير تركيبه . ونشحنه

بما نريد أن يهديها إليه ..

وقال عبد المهيمن مفكراً :

- معقول ..

وقال عبد القادر فى تردد :

- لمجرب .

١٨ - الهداية

بدأت عملية إنقاذ الرعية من موجة الفساد والانحلال التى توشك أن تدمر كونها . وأخذت جماعة السفينة يبحثون عن وسيلة لهم لهدايتهم من الضلال الذى انحدرت إليه ومن تقاديتها فى الانحراف والعبث .

كان لابد من وقف العدوان والظلم والاستعباد والسرقة والكذب والسكر والزنا . التى قادت إليها التركيبة البشرية .. وبدأت كأنها أمر طبيعى تحتمه الحاجة إلى الطعام والرغبة فى الجنس .. واللهفة على التميز بكل ما يجره من صراع ويدفع إليه من استغلال الغير فى سبيل التفوق فى سباق الحياة من أجل الحصول على أكبر متعة بأقل جهد .

وجلست الجماعة تتدبر أمر المختار الذى ستهتدى به الرعية وقال عبد المهيمن وهو يرقب عقرب الساعة يتحرك :

- دعونا ننتهى بسرعة .. فالسنون قر سراعاً .. ولقد أوشك قرن من حكمنا على الانتهاء ..

وتسأل عبد الراضى مستفسراً وهو يهز رأسه فى دهشة :

- قرن ١١١ قرن إيه .. فلفل ؟

ونظر إليه عبد اللطيف فى غيظ قائلاً :

- قرن زمنى .. يعنى مائة عام .

وتسأل عبد الراضى وهو يبسط كفيه فى استسلام :

- مضى بنا مائة عام ؟ .. جائز .. كل شىء جائز فى هذه الدنيا

العجيبة .

وعاد عبد المهيمن يقول :

— إن علينا أن نسرع بانتقاء الإنسان الذى سيهدى الناس من الضلال .
وأردف عبد القادر قائلا فى حزم :

— أجل .. يجب أن نوقف به هذا الفساد وهذه الفوضى .
وتساءلت شهيرة فى دهشة :

— ولكن هل سيستطيع ؟

— ولم لا ؟ .

— ألن يكون مجرد بشر .. واحد منهم ؟
— أجل ..

— إذن كيف سيقنعهم ؟

— بما سنوجه فيه من إشعاع الهداية .
وتساءل عبد اللطيف :

— وما هى المواصفات المطلوبة منه ؟
وقالت شهيرة :

— يجب أن يكون خارقا ..

ورد عبد الحبيب متسائلا :

— لا أظن !! إنه سيكون مجرد إنسان .
ورد عبد الراضى :

— مجرد إنسان .. يعنى عليه العوض .
— لماذا ؟ .

— لأنه سينغمر فى الهیصة .. وسيفعل كل ما يفعلون .
وقال عبد الحبيب :

— إننى أقصد بمجرد إنسان .. أن يكون له كل صفات الإنسان .. فمن
خلال بشر منهم يمكن أن يقتنع البشر .. ولكنه يجب أن يختار جيدا .. وأن
تكون نسبة المركبات البشرية فيه .. قادرة أن تمكنه من أن يردع نفسه هو ..
عما يحاول أن يردع عنه الآخرون .. وأن يكون بطبيعته صالحا لأداء مهمة

الهداية .. بحكم جاذبية تركيبه لغيره من البشر .

وقال عبد اللطيف :

- إننا سنحتاج إلى وقت طويل لاختباره .. وبالحساب الزمنى للكوكب

قد يقضى نحبه قبل أن يكتشف .

- لن تستغرق مهمة الاختبار أى وقت .. لأننا نستطيع استكشافه

بالقول الإلكتروني فى لحظات .

وقال عبد القادر :

- إذن يجب أن نسرع .. إن الوقت سرقنا .. والفوضى قد شاعت .

ولم تستغرق المهمة - كما قال عبد الخبير - أى وقت .

بعد لحظة .. كان المختار قد بدا فى اللوحة .. على شاطئ عند أسفل

شجرة مورقة الظلال .

ونظر إليه الجماعة مأخوذين .

وتسأل عبد الخبير :

- ما رأيكم ؟

وردت شهيرة وهى تنظر إليه فى إعجاب :

- جميل ..

وأحس عبد اللطيف بالغيرة تلسع صدره فقال وهو يهز رأسه فى

استخفاف :

- شكله لطيف .. ولكنه مجرد رجل .

وتسأل عبد الراضى :

- أهذا هو الذى سيهدى .. هؤلاء الفجر ؟

وقال عبد الخبير :

- أجل ..

- والله سيأكلونه ؟

- لماذا ؟

- لن يخافوا منه .. إنه يحتاجون .. إلى « جنة » .. لو نفّض واحد منهم يدا .. لجابه أرضا .
 - وسأل عبد القادر فى دهشة :
 - ماذا تظنه .. فتوة ؟
 وقال عبد الراضى مؤكدا :
 - هذا الصنف الفاسد لا يشفع معه إلا الدق .. وهذا رجل أمير ..
 وسيرونه نجوم الظهر .. اسمعوا كلامى .. هذه الرعية تحتاج إلى رجل بشومة يريهم جيدا .. وليس إلى هذا الرجل الطيب .
 ورد عبد اللطيف :
 - يا عبد الراضى .. نحن لا نريد أن نعاقبهم .. إننا نريد أن نهديهم .
 - وإذا لم يهتدوا ؟
 - نهدهم بالعقاب .
 - متى ؟
 - بعدين .. فى الآخر .
 - لا ينفع .
 - لماذا ؟
 - يا أخى قلت لا ينفع .. لا يوقف الذئب إلا عقاب عاجل .. أما العقاب المؤجل فكالدن المؤجل .. لا يعمل الإنسان حسابه ..
 وقال عبد الحبيب :
 - العقاب العاجل هذا .. عقاب أراضى .. يمكن وضعه بتشريعات وقوانين .
 - ومن الذى يضعها ؟
 - هم أنفسهم .
 - وماذا يفعل المختار إذا ؟
 - إن المختار سيبيشرهم بالصواب وبالخطأ .. ويوضح لهم نتيجة

حساناتهم وسيئاتهم .. ويدعوهم إلى الخير .. وينهاهم عن الشر .. ويوضح لهم أصول التعامل .. فإذا لم يهتم الضالون منهم ويرتدع العصاة .. فإنه سينذرهم بيوم القصاص .

وهز عبد الراضى رأسه غير مقتنع وقال مؤكدا :

- هذا كله كلام لا يجدى مع البشر .. الولد ابنى كان لا يردعه إلا القلم يرن على صدغه .. أما النصيح .. والشخوف بالنار والإغراء بالجنة فذلك .. لم يدخل رأسه قط .

ثم صمت عبد الراضى برهة وأردف :

- ولا رأسى أنا ؟

وقال عبد المهيمن مستنكرا :

- نحن لا نستطيع أن نبعث لهم هاديا يرقع أصداعهم .

وقالت شهيرة :

- هذا ليس شغل آلهة .. وإنما شغل بلطجية ..

ورد عبد الراضى مستسلما :

- أمركم ؟

وقال عبد المهيمن فى عجل :

- إن علينا أن نبدأ الهداية .. فالوقت يمر سريعا .. وقد مضى بضعة

شهور .. منذ أن بدأنا المناقشة .

وقال عبد الحبير :

- إننى مستعد لإرسال أول شحنة من شحنات الهداية إلى المختار .

وقال عبد القادر فى لهجة مترددة :

- ولكن .. كيف سيواجه الناس .. وهو بشر عادى ؟

- إنه ليس مجرد بشر عادى .. إنه مرسل من قبلنا ؟

- وكيف يعرفون ؟

وقال عبد اللطيف معقبا :

— بل كيف يعرفون .. من نكون نحن بالنسبة لهم ؟ إنهم لم يعرفوا شيئا عنا .

ورد عبد الخبير :

— ربما لا يعرفون .. ولكنهم يحسون أن هناك شيئا فوقهم .. أقدر منهم .. بنفوسهم لهفة على أن يحملوه في كثير من الأحيان .. مسئولية أنفسهم .. ومتاعبهم .. وخطاياهم ويفزعون إليه .. في الضيق .. ويسألونه وقت الحاجة .. قد يتمثلونه في حجر أو في نجم .

وتساءل عبد القادر :

— ليس بالتحديد .. سيجمع هذا الشعور نحو القادر المجهول .. ليركزه في مسئول واحد .. بدل الحجارة والكواكب .. والشمس .. والنار.

وقال عبد المهيمن :

— إذن سنبقى مجهولين .

— مجهولي التفاصيل .. ولكننا معروفو القدر والجهد والعمل ..

ولم يبد علي وجه عبد المهيمن الارتياح .

وقال عبد القادر :

— ولكن .. المفروض .. أن يكون هناك نوع من التعريف .. والتقدير .

— كيف ؟

وقال عبد الراضى ببساطة :

— مثلا .. تعلق صور الكابتن عندهم ..

ورد عبد الخبير باستنكار:

— أهذا معقول :

ثم أردف بعد لحظة :

— إنها تصرفات أرضية .. إنها إقلال من مركزنا .

وقال عبد اللطيف :

— ثم لماذا صورة الكابتن .. ألسنا قيادة جماعية ؟

وقال عبد الراضى :
- إذن نتصور صورة جماعية .. ونرسل منها آلافا على الكوكب .
وسألت شهيرة :
- كيف ؟
- نلقها من هنا كما تلقى المنشورات .
وقال عبد اللطيف وهو يضرب كفا بكف :
- ياناس .. هذه فضيحة .. تصوروا صورة آلهة .. تلقى على البشر
من فوق كالمشورات .. غير معقول .
وقال عبد الراضى ببساطة :
- والله نوفر لهم .. تكاليف الطبع والورق .. ما رأيك يا كاهن ؟
وقال عبد المهيم يفكر:
- نرسل إليه صورة ستة ..
وقال عبد اللطيف فى سخرية :
- كأنها إحدى فرق الرياضة المدرسية .
وقال عبد الراضى مؤكدا :
- وأنت فى الوسط يا كاهن .
وهز عبد المهيم رأسه وقال مستنكرا :
- لا .. لا إنه قلة قيمة .. ستضيع هيبتنا ..
وقال عبد القادر:
- من الخير أن نبقى هكذا مجهولين .. لنذهبهم يتصورتنا كما يشاؤون .
وقال عبد المهيم :
- أجل .. إن تخيلاتهم ستجعلنا .. أروع من أية صورة يمكن عملها .
ووجه القول إلى عبد الخبير قائلا :
- هيا يادكتور .. ابدأ عملك .. أرسل الشحنة إلى المختار .
وتسالم عبد اللطيف :

.. ولكن كيف سيقنعهم .. أنه مختارنا ؟ ..

وأردف عبد القادر قائلا :

.. لاهد من دليل .

وقالت شهيرة :

.. معجزة ١٢

وقال عبد الراضى ببساطة :

.. يرمى العصا .. تصبح شعبانا .

وبدت الحيرة على عبد الخبير وقال :

.. العصا .. تصبح شعبانا ١٣

ثم عاد يتمتم مفكرا :

.. العصا .. ويمكن تدبيرها .. ولكن الشعبان .. مشكلة .

وقال عبد القادر :

.. يا اخى دبرها بأى شىء .. تمساح .. قرد .. أى شىء .. المهم أن ..

يضرب العصا .. فتصبح شيئا يجرى .

واستمرت الحيرة تبدو على وجه عبد الخبير وهو يتمتم قائلا :

.. شعابين وقاسيح وقردة ..

وقال عبد الراضى مستنكرا :

.. غلب حمارك .. والاسم .. سيطرة .. وحكم .. وتآله .. والله لو

مرزوق الحاوى هنا .. لعملها .. لقد كان يحول الشعبان إلى فطيرة بريت ..

الله يرحم الأرض واللى عليها ..

ورد عبد الخبير فى غيظ :

.. يا عم عبد الراضى .. نحن هنا لسنا حواء .. نحول الشعابين إلى

فطيرة . إن مهمتنا اسمى من هذه الألاعيب .

وقالت شهيرة :

.. إذن اجعله يبصر الأعمى .. أو يحيى الميت .

وقال عبد الراضى :

- أظن هذا ليس بشغل حواء .. أرنا شطارتك .

وقال عبد الخبير :

- إحياء الميت ؟! جائز .. يمكن إجراء عملية زرع قلب .

قال عبد اللطيف :

- لا بهادكتور .. عملية زرع القلب .. تحتاج إلى بنج وهيصة . وقد

تنجح أو لا تنجح .. وليس هذا شغل معجزات .. يجب أن يحببه بلمسة .

- بلمسة ؟

- أجل هذه هي المعجزة .

- أو نوحى إليه برسالة .. يعجز بشر عن قولها .

وبدا الشرود على وجه عبد الخبير واستغرق برهة فى التفكير ثم قال

فى ضيق :

- لماذا تعقدونها هكذا .. أليس المهم أن يأتى بأشياء يعجزون عنها ؟

وقال عبد اللطيف مؤكدا :

- أشياء تبهرهم .. وتذهلهم .

وقال عبد الخبير :

- هذه ليست معضلة .. إن جهاز ترانزستور بدائى بسيط .. يمكن أن

نوحى إليه بتركيبه .. ثم نرسل له عليه هاتشاه من موسيقى وأصوات مختلفة

.. سيحدث به ضجة وسطهم .. سيبهرهم به .

وضرب عبد الراضى كفا بكف قائلا :

- ياناس يا عالم ! ..

- ما بالك ؟

- أسنصبح فى آخر العمر .. آلهة ترانزستور.

- وماذا فى ذلك ؟! إننا لو دبرنا له جهازا صغيرا .. أؤكد لكم أنه

.. سيصنع به المعجزة .

وتسأل عبد القادر :

- ولكن كيف يصنعه ؟

- بأشعة التوجيه يمكن أن نجعله يصنع جهازا بسيطا من الخامات المحلية
فى الكوكب .

وتسأل عبد المهيمن :

- أهذه ستكون كل معجزته ؟

- أليست كافية ؟ .. إنه سينطق الجواد .. وسيبحث الموسيقى من
الحجر ..

وهز عبد المهيمن رأسه وهو يقول :

- دعونا نر ..

وأردف عبد القادر :

- لنجرب إلى أى حد تنفع المعجزة .

ونظر عبد اللطيف إلى عبد الراضى ضاحكا :

- لوأحضرت الراديو الذى كنت تملكه فى رقبتهك .. طالع نازل فى المجلة
.. لأصبحت هنا ذا شأن .. لكنت صاحب معجزة .

وقالت شهيرة :

- كنا قذفنا به على الكوكب .. وجعلناه مختارا ..

وقال عبد الراضى فى حماس :

- كنت ربيتهم .. وأمشيهم على العجين .. أنا أعرف أن البشر لا تنفع
معهم غير العين الحمراء .. ولكن مادمتم قد أخذتم هذا الجذع الأمير .. فلنر
ماذا سيفعل .

وبدأت عملية الهداية فى الكوكب .

أرسلت إلى المختار الشعنة .. واهتدى إلى عمل الترانزستور .

وبدأ رسالته بين الناس ..

أنبأهم أنه قد اختير لهدايتهم .

وتنهاهم عن الشر والضلالة .. القتل والسرقة والغش والكذب وحذرهم من
الميسر والخمر والزنا ...
ولم يعبأ به أحد .

كانت متعة الذنوب أشد جنبا .
وبدأ يلوح بالحجر الناطق .. صدرت منه أصوات هادرة تارة .. وناعمة
أخرى .. وفزع الناس .. من المعجزة الصغيرة .
التفروا حولها .. فدعاهم إلى الهداية ..
وشد البعض إلى حديثه .. وسخر منه البعض الآخر .
ويقدرته على الجذب .. ويقوة منطق هدايته .. بدأ التفاف الناس
حوله ..

وأثار التفاف الناس حوله انتباه المتسيزين من قادة .. وحكام ..
وبدأوا يخشون على نفوذهم منه .. ويفارون على مراكزهم ..
وأثارت دعوته دعوة مضادة ..
وبدأ الهجوم عليه ومطاردته ..
وشكلت الدعوة والدعوة المضادة .. نوعا جديدا من الصراع .. بين
أتباعه .. وخصومه .

وفرجشت جماعة السفينة .. بعملية الهداية .. تتحول إلى معركة .
وصاح عبد الراضى فى فزع :
- الحقوا .. الضرب للركب .
وصاح عبد اللطيف :
- يانهار أسود .. الفجر بهاجمون المختار وأنصاره ..
وقال عبد المهيمن وهو ينظر إلى المعركة فى جزع :
- مصيبة .. يجب أن نفعل شيئا ..
وقال عبد القادر :
- أجل . غير ممقول أن نترك مختارنا يضرب .

وصاحت شهيرة فى جزع :
.. من فضلكم الحقوه .. حرام .. حرام ..
وتسأل عبد الحبير فى دهشة :
.. ما كل هذه الولولة ؟
ورد عليه عبد اللطيف زاجرا :
.. يا أخى .. اختشى على دمك .. الحق الراجل بتاعنا .
.. وماذا تريدون منى أن أفعل ؟ ..
وقال عبد الراضى فى حماس :
.. سيبنى عليهم .. أصبح فيهم .
وقال عبد المهيمن :
.. أجل .. إنها هزيمة لنا نحن .
وسأل عبد الحبير ببرود قائلا :
.. هل تريدون أن تدخل فى معركة مع البشر ؟
وصاح عبد الراضى :
.. آلهة تدخل فى خناقة مع البشر .. أسمعتم عن هذا ؟
وقال عبد الراضى :
.. إنهم غجر .. وليسوا بشرا .. الحق المختار .. إن أحدهم يحاول أن
يقترب منه بشومة .
وصاح عبد المهيمن :
.. لا يمكن أن يضرب .
.. ولماذا ؟
.. لأنه .. لأنه .. قد يموت .
.. وماذا يحدث ؟
.. المختار يموت ؟
.. أليس بشرا ؟

.. يجب ان نحميه .. يجب أن ننصره .

.. إننا لانستطيع أن نكون طرفا فى معركة .. لقد أرسلنا لهم الهداية .. من أجل أنفسهم .. فليقبلها من يشاء وليرفضها من يشاء .. وكل منهم يحمل مسئولية .. تصرفه .. إننا منذ الهداية رفضنا مبدأ التدخل الفردى فى شئونهم .. وقررنا أن نتركهم يتحركون بمركباتهم .

وقال عبد اللطيف فى غيظ :

.. يا أخى .. إن حصيلة مركباتهم .. ضد كل أنواع الهداية .

.. ليست ضدها على الإطلاق .. إن حصيلة بعض المركبات تتجه أحيانا إلى الخير .

.. ولكن المركبات البشرية فى جملتها تدفع إلى الخطايا .. متعة الطعام ورغبة الجنين ولهفة الطموح والتميز .

إنها كلها تدفع إلى صراع .. تقود إلى الخطايا .. إننا نتهب المتع .. ونختطفها اختطافا .. وكل قبضة متعة يدفع إليها تركيبنا البشرى .. تشكل ذنبا ..

وقال عبد الحبير:

.. وماذا فى ذلك ؟.. إن الخطايا جزء من البشرية .. إنها أحد معالمها الهامة .. وبغيرها .. تصبح صورة البشرية .. ناقصة شوها ..

وفجأة صرخ عبد الراضى جزعا :

.. يانهار أسود .. المختار مات ..

وانطلق الصوت مدويا من حنجرة شهيرة .. وعلا البكاء .

.. يا حرام .. لقد كان خير من فيهم .

وقال عبد اللطيف :

.. لقد جنينا عليه .. نحن الذين دفعناه إلى ذلك .. إن دمه فى عثقتنا .

وقال عبد المهيمن فى أسى:

.. ضاعت قيمتنا .

وأردف عبد القادر :

.. واهتز مركزنا .

.. كان يجب أن نتدخل .. كان علينا أن نحمله .

وقال عبد الحبير :

.. لانستطيع أن نتدخل لحماية أحد .. يجب أن يمارس كل مخلوق

حياته .. ويخوض الصراع مع نفسه ومع الآخرين ويتحمل مسؤولية .. حركته

الإرادية .. ومسؤولية قدرته على الصراع مع القوى المضادة .. التي تتحرك

في مجاله . وقال عبد اللطيف :

.. والآن ما هو مصير الكوكب بعد أن ضاع مختارنا .. وانتهت رسالته ؟

وقال عبد الحبير :

.. إنه لم يضع .. إنه الآن قد وجد .. ولم تنته رسالته .. بل بدأت .

ولم يتجاوز عبد الحبير الحقيقة .

فقد أكد موته .. وجوده الحقيقي بين الناس .

وحددت وفاته .. بداية رسالته بينهم .

بعد موته .. زاد أنصاره .. وسرت رسالته سريان النار في الهشيم ..

وفوق حفرة ثوى فيها .. قامت قبة .. أضحت لها من الأثر في الناس

أضفاف أضفاف ما كان لشخصه قبل أن يثوى تحتها ..

واتسعت رقعة نفوذه ..

وأصبح لأتباعه .. قداسة .. لم يحلم بها هو ..

وتحرك عقرب الساعة ..

وزادت القباب على الأرض .. يثوى فيها الأتباع وأتباع الأتباع ..

وزاد التفاف الناس حولها ..

وأضحت القباب .. مجالا للهداية .. وأضحت للهداية .. مراسم ..

وطقوس .. وأسرار .. وطلاسم .. لا يقدر على حلها إلا أصحاب الهداية .

وتحولت الهداية إلى حرفة .

والحرقة إلى نفوذ وسلطان ..
ونسى أصحاب الهداية .. الهداية ذاتها .. فقد غلب على تفكيرهم الاحتراف
المهنى .. ولم يعد جوهر الهداية .. يشغل وعوسهم .
ولم يعد غريبا .. أن ينهى سارق عن السرقة .. أو يحرم زان من الزنا
.. ويحذر كذاب من الكذب ..
فلم يعد شروط الهداية اتباع أصولها .. وإنما معرفة .. أسلوبها
وممارستها على الغير .
وضاعت جماعة السفينة وسط .. فيض الهادين المحترفين ..
ونظر عبد اللطيف إلى اللوحة ذات صباح وهتف قائلا :
- يا عالم .. هل للهادين من هاد ؟
وهز عبد المهيمن رأسه في يأس وقال :
- لا فائدة .. لقد عاد العالم إلى فوضى أشد .. استغلال واستعباد
وظلم . وسرقة .. وغش وسكرو عريضة .. واستأسد المتميزون والزعماء
والحكام الهداة ... ونهبوا الأقوات .. ولم يتركوا للناس غير الفتات .

١٩ - الغضب

جلست جماعة السفينة يرقبون اللوحة فى حيرة .
لقد تحولت الرعية ... إلى قلة مستغلة .. وكثرة مستعبدة .
دفعت رغبة التميز والطموح .. واستحواذ الفرد على أكبر قدر من
ملكية الأشياء .. إلى التدافع بالمنالك فى طريق الحياة ..
ومنح المتميزون - الكوكب - خلال سباق الطموح الذى يخوضونه ..
الكثير من مظاهر التقدم .. والتطور .. مما استطاعوا أن يقدموه من
ابتكارات الذهن .. أو من خلال تنظيم العمل واستغلال جهد الرعية لإنتاج
أكبر قدر من أسباب الرخاء .. أو من خلال قيادتهم فى العدوان على أرض
الآخرين ونهب مواردهم .. وبدأت جماعات المتميزين تستعيد جماعات
بأكملها من لم تعرف التميز بعد . وتستغل جهودها وتحتكر خيراتها ..
بممارسة القوة والعنف .
وكانت حصيلة الرخاء بعد كل هذا تتجمع فى أيدي القلة المتميزة التى
تقود القطيع بعد أن يكد القطيع فى إنتاجها .. أو يمارس العنف مع الآخرين
فى الحصول عليها لقاء الكفاف الذى يكاد يبقيه قادرا على مواصلة العمل
من أجل استخراج أسباب الرخاء .
وفى سباق الطموح والتميز .. طوت القلة .. الكثرة تحت أقدامها .
ومع الزمن .. لم يعد تميز الفرد فى التركيب هو وحده القادر على دفعه
أمام الآخرين ..
ولكن بات السبق نوعا من الميراث يمنح للنزرة .. رغم انعدام ..
مركبات التميز بينهم .

استطاع الأقوياء والأذكىاء .. وأصحاب المواهب والأشرار .. والخبثاء ..
والبخلاء وغيرهم ممن يملكون مركبات التميز .. أن يتقدموا السباق وأن
يحصلوا على قدر أكبر من أسباب الرخاء فى جيل من الأجيال .. واستطاعت
ذريتهم .. ممن لم ترث مركبات التميز .. أن ترث أسباب الرخاء جاهزة ..
وأن تحتل مكانا فى السباق .. وضعت فيه دون أن تملك القدرة على الوصول
إليه .

اعتلت القلة المتميزة .. القمة .. ووضعت فيها ذريتها .. واستمرت
الكثرة من البسطاء .. عديمى التميز .. من أصحاب المركبات العادية ..
تكبد فى السفح .. لتيسر أسباب الرخاء للجالسين على القمة ..
ووجد الحكام الكبار فى السفينة .. رعييتهم .. غرقى فى بحر من
الحرمان والشقاء والتعاسة .. والقلة القليلة تستأثر بما فى أرض الكوكب من
خيرات وتستمتع بكل أسباب الرخاء والرفاهية .
وتبادلت الجماعة نظرات الحيرة والقلق .

وقتم عبد اللطيف قائلا :

ـ أهذا معقول ؟ .. كل هذا الحشد الهائل يكبد ويكدح ويتقاتل من أجل
أن تعيش هذه القلة متخمة .

ورد عبد القادر :

ـ وماذا نفعل لهم .. لقد استطاع الآخرون بتميزهم أن يحصلوا على
ماحصلوا عليه .

وأشار عبد اللطيف إلى مكان فى اللوحة قائلا :

ـ وهذا الفتى الأبله الذى ورث حكم هذه القبيلة هل يملك من صفات
التميز ما يبرر له كل هذا السبق الذى حصل عليه ؟

ورد عبد القادر :

ـ هذه تركة أبيه ..

وعاد عبد اللطيف يتسائل وهو يشير إلى مكان آخر فى اللوحة

— وصاحبنا هذا الذى يملك كل هذه الأراضى .. إنه لم يعد يستعمل
مركبات التميز فيه .. لقد تبلدت كل مركباته .. وياتت ممتلكاته .. وتبعية
الآخرين له .. واحتياجهم إليه .. هى وحدها .. مبررات التسلط .. وأسباب
السيطرة ومنابع الرخاء والرفاهية لشخصه .

وتسأله عبد المهيمن فى حيرة :

— وماذا نستطيع أن نفعل ؟

وقالت شهيرة :

— نفعل أى شئ .. ينقذ الرعية من هذا الحرمان والشقاء .

وقال عبد الراضى :

— إياكم والهداية .. لقد باتت حرفة الهداية .. إحدى وسائل الاستغلال
والاستعباد .

وأشار عبد الحبيب إلى مكان ما فى اللوحة قائلاً :

— معك حق يا عبد الراضى .. هذا الرجل الذى أطلق لحيته .. قد

أضحى حاكماً بأمره وبأمر الهداية ..

وقال عبد الراضى :

— وقد طاح فى الرعية .. يفعل فيها ما يشاء .. إلا الهداية .

وقال عبد المهيمن :

— غير معقول أن نسكت على كل هذا .. لابد من تغيير شامل .. فى
أسلوب حياة الرعية .

وتسألت شهيرة :

— كيف .. ؟

وقال عبد المهيمن :

— إما أن نزيل هذه القلة التى تستأثر بكل ما فى الكوكب من خيرات .

وهز عبد الحبيب رأسه وقال مستنكراً :

— ونترك الكوكب بلا موهوبين يهيئون له التقدم والإزدهار ويبتكرون

بمواهبهم أسباب الرخاء .

وردت شهيرة :

.. ولكنهم يسفرون المجمع لإنبات الرخاء ويعصدونه لأنفسهم .

وقال عبد اللطيف : ولو حرمتنا المجتمع من موهبيته .. لاستنثارهم بالرخاء .. لاستأثر به المدعون من بين القطيع .. حتى يأتوا عليه دون أن يملكوا ابتكار المزيد من أسبابه ..

وقل عبد المهيمن في اقتناع :

.. أجل .. معكم حق .. ليس من الحكمة حرمان المجتمع من موهبيته .. ولكن الحكمة في أن تبقوهم ونخضعهم له .. أن يجعلهم يعملون من أجل كل الناس .. وليس من أجل أنفسهم .
وتسأل عبد الراضى ببساطة :

.. لماذا ؟

ورد عليه عبد القادر متسائلا في استنكار:

.. لماذا .. لماذا ؟

.. لماذا يعملون .. إذا كانت نتيجة كدهم ستؤول إلى الغير ؟

وقال عبد المهيمن :

.. لأن كد الناس أيضا سيذهب إليهم .. إن الجميع سيعملون .. وسيقاسمون بالعدل نتيجة عملهم .

وقال عبد الحبير :

.. الكل من أجل الكل ..

وأكد عبد المهيمن قوله :

.. أجل .. ليصبح كل شيء على الكوكب ملك كل الناس فيه .. وليعمل الكل .. من أجل الكل .. وليزرع ناتج الكل .. على الكل .
وتسأل عبد اللطيف :

.. والذي لا يعمل ؟

وأجابه عبد القادر :

- لا يحصل على شيء .

- ربما كان عاجزا عن العمل .

- تؤمن له وسائل العيش بواسطة الكل .

- والذي يعمل أقل ؟

- يأخذ أقل .. والذي يعمل أكثر يأخذ أكثر .

- وماهى مقاييس العمل .. الكم .. أو الكيف ؟

- الاثنين ..

- وإلى أى مدى يجزى الأكثر عملا ؟

- إلى الحد الذى يمنحه الحياة الطيبة .. دون أن تتحول حصيلة عمله .

إلى وسيلة للاستغلال ..

- تعنى أن يصبح العمل وحده وبطريقة مباشرة .. هى الشيء المجزى

فى الحياة .. ولا تصبح مضاعفاته .. هى الوسيلة غير المباشرة .. للرخاء .

- أجل .. فلكى ينعم الإنسان لابد أن يعمل .. العمل فقط هو

المستخرج لوسائل الرخاء .

وقال عبد الراضى وهو يهز رأسه فى حيرة :

- ماذا تعنون . وأى جديد فى هذا ؟ طول عمرنا .. لا نحصل على

اللقمة إلا بالكد .

وقال عبد المهيمن :

- نحن لانعتيك يا عبد الراضى ولانعى أمثالك من الرعية التى يمتلىء

بها الكوكب .. إنما نعى أصحاب الأموال المكسدة .. التى تصبح وحدها ..

الوسيلة .. لانتزاع الرخاء .. بواسطة جهود الرعية .

وقال عبد اللطيف بعد فترة صمت :

- هذا كلام طيب .. ولكن كيف نطبقه ؟

وقال عبد القادر :

- هل نجرب الهداية مرة أخرى ؟

وهز عبد الخبير رأسه فى شك :

- لا أظنها يمكن أن تجدى .. بعد أن كفرت الرعية بمحترفى الهداية ..
بعد أن تحولوا إلى مستغلين أو أتباع للمستغلين .. وبعد ما طمس زخرف
الهداية الزائف جوهرها الأصيل .. وبدل أن تكون وسيلة للتقدم أصبحت
حائلا دونه وضاع الإيمان بالخالق فى خضم الخرافات والأباطيل .
وقالت شهيرة :

- ولكن لماذا لا نحاول أن نهدى القلة المستغلة المتحكمة لعلها تقتنع
بالحسنى بإعطاء الرعية حقوقها .. وتنظيم توزيع ناتج العمل بينها بطريقة
عادلة ؟

ورد عبد الخبير :

- قد يقتنع البعض .. بل إن البعض يمارسه فعلا .. ولكن الكثرة لن
تسلم بترك ما فى يدها .

وأردف عبد المهيمن متحما قوله :

- إلا إذا انتزع .

وتسأل عبد اللطيف :

- كيف .. إذا كانت الهداية لم تنفع ؟

ورد عبد المهيمن :

- قد ينفع الغضب

- غضب من ؟

- غضب الرعية كلها .

- سيصبح الكوكب فوضى .

- قد تعم الفوضى فى أول الأمر ولكن بعضهم سيجرز لتنظيم الغضب .

وهز عبد الراضى رأسه وقال فى دهشة :

- أهذا كل ما وصلنا إليه ؟

وسأله عبد اللطيف :

- ماذا تعنى ؟

- أعنى بعد كل هذه الحيرة .. والمناقشة .. لم نجد حلا سوى أن نزع
الرعية ..

- ليس مجرد زعل .. بل غضب .

- وهى ناقصة غضب يا أستاذ ؟

وقال عبد الحبير :

- نرفع درجة الغضب .

وأكد عبد القادر :

- إلى درجة الغليان والانفجار.

ورد عبد الراضى فى جزع :

- ياساتر .

وهز عبد المهيم رأسه مؤكدا :

- لم يعد بد من هذا .. إنها الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الرعية من هذه

الحرمان والشقاء التى تتردى فيها .

ونظر إلى عبد الحبير قائلا :

- هيا يادكتور.. ابدأ أعملك .

وبدأت موجة الغضب فى الكوكب .

تدفقت الرعية .. تهرى وتزأر. ووقع الصدام .. بين الرعية المحرومة

الزاحفة فى السفوح .. والقلعة المستغلة المتخمة المترعة على القمم .

ولم يستغرق الصدام كثيرا ..

قطفت الصحة المتميزة .. وطوتها الأقدام .

واستمر الغضب ..

لم يمه قطف الصحة .. حال الحرمان والشقاء .

ونبتت من بين الرعية صحبة مستغلة أخرى . سرعان ما قطفت ..

وبدت فى اللوحة رموس تتدحرج .. يربطها خيط أحمر من الدماء ..
وانقضت الرعية تفتك .. وتحطم .. وتدمر .
وبدأ بعض المتميزين يبرزون لقيادة الغضب .. وتنظيمه ..
وانقسم أهل الكوكب إلى جماعات متعددة .. حسب درجات الغضب
فيها ... ونتائج تنظيمه .

جماعة .. كان الغضب أهدأ .. فانتزعت الرعية من القلة المتميزة
بعض حقوقها .. التى تمنحها درجة من الرخاء والأمان .. بعمل أقل وأجر
أكبر وأمان من العجز .. كما منحت حق الشكوى من الظلم والاحتجاج عليه .
وبقيت القلة تسيطر على موارد الرخاء .. وتنظم فيها جهد الرعية وإنتاجها .
وجماعة بلغ الغضب أشده .. فانتزعت الرعية كل شىء .. ولم يعد
أحد منها يملك أى شىء .. وبات الكل يملك الكل .. والكل يعمل من أجل
الكل .. والكل يوزع على الكل .

وجماعة أبرز الغضب فيها فردا متميزا .. جمع قيادة الكل فى يده
.. ودفع بهم فى طابور منتظم من أجل العمل الشاق فى سبيل تحقيق
الرخاء للجماعة وفى سبيل تمييزها عن الجماعات الأخرى .. والعدوان عليها
.. وتحقيق السيادة عليها .. من أجل توسيع رقعة مجده وسيطرته .
وبقيت جماعة .. خارج نطاق الغضب .. لأنها لم تعرف التمييز .. ولا
التطور والتقدم .. وأضحت تمثل للجماعة الأخرى .. مناطق نهب وعدوان ..
واحتكار للموارد .. واستغلال للجهد .. وبعد هذا كله مناطق صدام
وصراع .. بين الجماعات المتميزة من أجل السيطرة والاستعباد .
وجلست جماعة السفينة يرقبون الكوكب .. وما أسفر عنه غضب
الرعية .

وأمسك عبد اللطيف بأنبوية فى يده ليبتلع ما بها وهو يمين النظر فى
اللوحة أمامه .

وريت عبد الراضى ركبته فى رفق متبها :

- يا أستاذ .. لقد ابتلعت الأنثوية كلها .
 - ومالك أنت ؟
 - المفروض أن تبتلع بعضها فقط .. حتى يكفينا الطعام لآخر الشهر .
 - وإذا انتهى قبل آخر الشهر ؟
 - نموت جوعا .
 - وإذا انتهى آخر الشهر ؟
 - وتردد عبد الراضى برهة قبل أن يجيب فى حيرة :
 - نموت جوعا بالطبع .
 - يعنى تفرق لها يومين .. ؟
 - على رأيك .. نموت بعد شهر .. أو بعد عشرين يوما .. لا تفرق كثيرا ..
 .. والمسألة كلها لا تستحق ..
 - تقصد مسألة الحكم .. وتوجيه الرعاية .
 - أجل .. إنها لعبة لم تدخل مزاجى كثيرا ... هؤلاء الناس ..
 متعبون .
 وكانت شهيرة قد قددت على مقعد فى استرخاء .. وعبد الخبير وعبد
 القادر يتشاغلان فى فحص بعض الأجهزة .. وعبد المهيم يرقب اللوحة فى
 اهتمام .
 وقال عبد المهيم يعلق على قوله عبد الراضى :
 - إن حالهم الآن يبدو أفضل .
 وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى غير اكتراث :
 - يعنى !!
 وتساءل عبد المهيم :
 - ما الذى لا يعجبك فيهم ؟
 - كلهم على بعضهم ..
 ووجه عبد المهيم السؤال إلى عبد اللطيف :

.. ما رأيك يا أستاذ عبد اللطيف ؟
وكان عبد اللطيف يرقب نقطة معينة فى اللوحة وهو يهز رأسه قائلاً فى
حيرة :

.. إن الزمن هو أسوأ ما فى الأمر .. إنى لا أكاد أستمتع واحدة حتى
أجدها قد طارت .. لقد أعجبت حتى الآن بخمسة أجيال .. لانتكاد الواحدة
منهن تتضح حتى أجدها قد عجزت .. وماتت .
وضحكت شهيرة قائلة :

.. ومن يحب الآن ؟
.. هناك أميرة سابقة .. هاربة من الغضب .
.. لماذا لا تنقلها ؟
.. المفروض أن أفعل .
وقال عبد الراضى :
.. دعها فى حالها يا أستاذ .
وأقبل عبد القادر يقوله فى حزم :
.. المفروض ألا نتدخل فى شئون الرعية .. إنها كما قلنا تتصرف حسب
حصىلة تركيبها ..

وهز عبد اللطيف رأسه قائلاً فى احتجاج :
.. إنها توشك أن تشنق .
ورد عبد القادر :
.. إن إرادتها تصطدم بإرادات المخلوقات المقاطعة لطريقها .. هنا هو
قدرها ..

وقال عبد اللطيف فى أسى :
.. إنها رقيقة .. جميلة .
ونظرت إليه شهيرة وقالت فى شبه لوم :
.. تبدو كأنك أحببتها .

وقال عبد الراضى :

— دعيه ياست شهيرة .. كلها بضع ساعات .. وتنتهى .. إذا لم تمت
شقا .. فستموت بالشيخوخة .

وعاد عبد المهيم بنظر فى اللوحة قائلا :

— لا داعى لتضييع الوقت فى هذه المخلوقة .. أيا كانت .. لثمت أو
تحيا .. إنها مجرد قطرة فى بحر .. نحن مسئولون عن الرعية كلها .. ما
رأيكم الآن فى حالتها ؟

وقال عبد اللطيف ببساطة :

— زفت .

— كيف ؟

— هذه الجماعة التى منحت الرعية بعض الحقوق .. مازالت القلة
المتميّزة تسيطر على كل المقادير .

— ولكن الرعية تحيا فى رضا .

— لأنها تستعبد .. جماعة أخرى .. إنها تنهب مواردها وتستغل
جهودها .. لقد أصبحت أراضى هذه الجماعات .. عزيا للجماعات الأخرى
.. وأصبح أفرادها عبيدا لهم .. لقد تطور استغلال الفرد للفرد .. إلى
استغلال الجماعة للجماعة . أتراهم كيف ينقلون آلاف العبيد .. كأنها قطعان
ماشية ؟ .. أتراهم كيف يسخرونهم فى الأرض .. ليستخرجوا خيراتها
بأبخس الأجور .. ليعيدوها إليهم بعد إعادة صياغتها بأغلى الأثمان .. من
أجل أن تعيش رعية الجماعة المستغلة فى رخاء ..

وقال عبد الراضى فى حماس :

— كلام مضبوط .

وتساءلت شهيرة :

— وما العمل ؟

ورد عبد الراضى ببساطة :

— شوية غضب .. وتحمل المسألة .

وعاد عبد اللطيف يقول :

— والجماعة الأخرى .. يتحكم فيها فرد .. وسيطر على مقاليدها ..
نفخ فيها الفرور والتميز .. وصدقت أنها من طبقة أفضل من غيرها .. وأن
عليها السيادة .. وعلى الغير الخضوع .. وطاحت في جبروتها .. وهددت
بإخضاع الكركب كله لأمرها ..

وقال عبد الحبير مؤمنا على قوله :

— أجل .. إنها تهدد كل من حولها .. ولا يستبعد أن تشيع الدمار في
الكركب .

واستطرد عبد اللطيف يقول :

— والجماعة الرابعة .. أغلقت على نفسها الأبواب .. تعيش في حذر
ووسوسة .. تخشى الفتنة من الداخل والخارج .. أعطت الكل للكل ..
ولكنها ترهب الكل .. خوف الفتنة .. وسادت العمومية .. حتى فقد الفرد
خصوصيته .. ضاعت الفتنة مع نفسه .. والفتنة مع الآخرين .. بات يعيش
في ذعر من كل ماحوله ومن حوله .. يرقبهم في خشية وكأنه متلبس بذنب
مجهول حتى من نفسه .. أو كأن جسده شفاف لا يستطيع أن يستر ما في
باطنه .. وفقد القدرة على أن يحدث نفسه كما يريد .. أو يحدث غيره بما
يجول في باطنه .. باتت همسته .. تتطلق من ميكروفون .. وكلمته مسجلة
على شريط .. وبات يخشى أن يصبح عليه الصباح فلا يعرف أحد له مستقرا
.. لقد ربح لقمته . وخسر سره وأمنه .. لقد ضمن وسائل البقاء .. ولكن
بالحذر والخشية .. والابتسامة الضائعة .

وقال عبد الراضى :

— وشملت غضبته خالفه .

ورد عبد القادر :

.. لأنه فقد ثقته برجال الهداية .

ورد عبد اللطيف :

- ولماذا يخلط بين رجال الهداية والخالق .. إن رجال الهداية بشر مثله .. وقد يخطئون وقد يصيبون .. وهم أنفسهم عرضة للتقويم .. وأساليبهم عرضة .. للقبول أو للرفض .. ولكن الخالق نفسه .. فوق كل شك .. ونقد .. إن الإيمان به قد لا يحتاج إلى وساطة بشر .. إنه مستمد من الحياة نفسها .. ومن كل ما يعجز عنه البشر .

وقال عبد المهيمن :

- إنه إيمان في الغضب .. برفض كل شيء .. ومع الوقت والهدوء .. لابد أن تتبلج الحقيقة .. ويبقى الخالق .. فوق كل شيء وفوق كل شك .

وقال عبد اللطيف :

- ومشكلة أخرى في الجماعة .. لقد فقد الفرد حافزه في العمل .. بعد أن ذاب في الكل .. وبعد أن ذوت رغبته في التميز .. لاتعدام المزايا التي يمكن أن يحصل عليها نتيجة التميز ..

ورد عبد المهيمن :

- كل هذا تفرضه مرحلة الغضب الأولى .. وسينتزع العمل بالفرض والجبر .. وسيجرب كل شيء .. بتخطيط موضوع .. وقد يدهس الفرد .. في سبيل تحقيق مصلحة الكل .. واعتضت شهيرة قائلة :

- ولكن الكل .. مجموعة أفراد .. وإذا دهس الفرد .. فلقد دهس الكل .

ورد عبد المهيمن :

- بعد فترة .. من الضيق والمعاناة .. سيحقق للفرد .. ما يريد .. ولكن لابد أن يمر بفترة مشقة وجهد وحرمان .. عقب مرحلة الاستعباد وفوضى الغضب .

وقال عبد الخبير :

- إنها مرحلة مؤقتة .. وستفرض مركبات الإنسان الطبيعية .. نفسها على كل نظام فى الكون .. اللقمة .. والجنس .. ورغبة التميز هى التى تفرض النظم وهى التى تطورها أو ترفضها .. لاتحملوا للبشر هما .. إذا جاع .. تصبح اللقمة مطلبه الأول .. وإذا شبع .. بحث عن الجنس .. وإذا ارتوى .. تطلع إلى مزايا عديدة .. تميزه عن الحيوان أولا .. ثم تميزه عن غيره من البشر ثانيا .. وكل نظام ضد مركبات الإنسان وضد الطبيعة البشرية .. لن يحتمله البشر إلا بقدر ما يحققون به غاية ملحة لاتحقق إلا به . فإذا ما تحققت .. فرضت مركباتهم النظام الطبيعى الملائم لها ولاحتياجاتها .
وقال عبد اللطيف :

- ولكن المشكلة الكبرى .. فى أن الجماعة .. تصر على أن تدفع بنظامها إلى غيرها من الجماعات .. والجماعات الأخرى .. تصر على رفضه .. ويعتبره بعضها محاولة للوصاية ويعتبره غيرها نوعا من الاستعباد وسلب الحرية .

وتسأل عبد الراضى :

- والنتيجة ؟

- النتيجة .. تهديد مستمر بالصراع .. وتوتر دائم بين جماعات البشر .

وقال عبد القادر :

- هذا غيرنويات الغضب الى بدأت تظهر فى الجماعات المستقلة التى بدأت تضيق بالسيطرة والاستعباد .. وبدأت تطالب بحريتها وبحقها فى أرضها .

وضرب عبد الراضى كفا بكف :

- مصيبة .. وماذا سنفعل فى كل هذا ؟

وهزت شهيرة رأسها قائلة :

- لم تنفع فى الرعية .. الهداية .. ولم ينفع الغضب .. ماذا يمكن أن

نفعل به بعد هذا ؟

وقال عبد الحبير :

- إنها تجلس على فوهة بركان .. من الصراع بين الجماعات .. كل يريد أن يفرض نظامه ..

- ولماذا لا تحتفظ كل جماعة بنظامها لنفسها .. مادام يريحها ؟
وتسأل عبد اللطيف :

- والجماعة إياها ؟

- أية جماعة ؟

- الغلبة .

- ما لها ؟

- أى نظام تتبع ؟

- الذى تريد .

- من هنا ينشأ التنافس عليها .. كل يريد جذبها إلى نظامه .. فإذا لم تقع فى حظيرته .. فعلى الأقل .. تصبغ .. صديقتة .

وقال عبد المهيمن :

- لابد أن نتدخل .. قبل أن يقع الصراع .. ونضيق الرعية ..

٢٠ - تركة الأجيال

الوقت يمر بجماعة السفينة ومشكلة الرعية تتفاقم .
وعقارب الساعة تدور لتطوى عقاربها السنون والقرون .
وأحس الجماعة أن نهايتهم تقترب .. وأن رصيد أيامهم في الحياة قد
أوشك على النفاد .. ولم تعد الرعية بكل مشاكلها المعقدة هي وحدها التي
تشغل بالهم .. بل بات اقتراب النهاية المحتومة يطبق على أذهانهم ..
ويعتلك مشاعرهم .
وكان عبد الحبير أول من أشار إلى اقتراب النهاية بقوله وكأنه مراقب
في خيمة امتحان ينذر الطلبة بالوقت .
- باق من الزمن عشرة أيام .
وأجابه عبد المهيمن في ثقة :
- تقصد باقى من الزمن قرنين ونصف قرن .
- بل أقصد عشرة أيام . . من عمرنا .
وهتفت شهيرة وقد حولت بصرها عن اللوحة التي تنصارع فيها
الرعية .

- عشرة أيام فقط ؟
ورد عبد القادر :
- بمائتين وأربعين عاما في عمر الرعية .
وقال عبد المهيمن مؤكدا :
- نستطيع أن نفعل لها الشيء الكثير . نستطيع أن ننقذها من هذا
الصراع الذي تتخبط فيه .. والذي جلب لها الخراب والدمار .

ورد عبد اللطيف مؤكدا :

- يجب ألا نتركها هكذا .. إننا مسئولون عن كل ما حدث للرعية .

وهز عبد الراضى رأسه وقال فى دهشة :

- يا أسيادنا .. الدكتور يقول لكم .. باق من عمركم عشرة أيام ..

يعنى سنموت بعد عشرة أيام .. سنحرم من الحياة .. وتنتيم أولادنا
وتحمل نساؤنا .. وسينصبون الشوادر لتقبل العزاء فينا ويقرأون القرآن على
أرواحنا .. ويطلعون القرافة من أجلنا .. دون أن تكون لنا أجساد تشوى فى
القبور ويوضع عليها الخوص والزهور.. كل هذا سيحدث لنا بعد عشرة أيام
.. ثم تتحدثون عن الرعية .. وما يجب أن نفعله نحوها .. نحن غلابة ..
لأنك لأنفسنا نفعا ولاضرا.. وسنموت بعد بضعة أيام تعد على الأصابع ..
فلنتفكر فى حالتنا المهيب أولا ..

وقتمت شهيرة قائلة فى أسى :

- إى والله معك حق .

وتساقطت الدموع من عينيها وهى تردف قائلة :

- أولادى حبايى .. ماذا سيفعلون من بعدى .. من يرعاهم وأبوهم

لايكاد يعرف عنهم شيئا .. وأمى إذا عاشت اليوم فلن تعيش غدا .

وقال عبد المهيمن وهو يجد نفسه يوشك على التخاذل :

- ويهدين يا جماعة .. يجب أن نتماسك .. نحن هنا لسنا بشرا عاديين

.. يجب أن نصمد إلى النهاية .. إن هناك رعية بأكملها .. قد وضعت

مسئوليتها فى عنقنا .

وقال عبد اللطيف معقبا :

- أجل .. نحن الذين حركناها .. وبعثنا فيها الأطماع البشرية ..

وأثرنا فيها الفتنة .. لولانا لبقيت مسترخية هادئة تمتد جذورها فى الأرض

فى سكينه وترفرف أوراقها فى مهب النسيم فى هدوء واطمئنان .

ورد عبد الراضى :

- إذن أعيدوها إلى ما كانت عليه وأريحونا .

وأجاب عبد المهيمن :

- هذا تخاذل ..

وقال عبد القادر لعبد الراضى ناهرا :

- لا تحاول أن تشيع روح الهزيمة واليأس فينا .. نحن لسنا مجرد بشر ..

إننا حكام .

وقال عبد المهيمن :

- بل وأكثر من حكام ..

وهز عبد الراضى رأسه فى بأس قائلا :

- أنا مالى .. أيام تفوت بالطول أو بالعرض .. سأقرأ الفاتحة على

أرواحكم .. حتى يغفر الله لكم ماتقدم من ذنوبكم وما تأخر .

وأخذ عبد الراضى يتحتم بالفاتحة ثم رفع كفيه ومسح بهما وجهه فى

خشوع وقتم قائلا :

- هى موتة .. والاثنين .

وألقى عبد المهيمن نظرة إلى اللوحة ثم قال فى حماس :

- والآن ماذا يمكننا أن نفعله .. ؟

وقال عبد القادر :

- جريتنا الهداية فلم تنفع .

وقال عبد الحبير:

- والغضب أضحى فى حد ذاته مشكلة .. كنا نظنه سيضع حدا

لمشكلة الاستغلال والاستعباد .. ويرسى دعائم العدالة الاجتماعية .. ويحقق

المساواة .. ويضع الكل فى خدمة الكل .. ويمنح الكل للكل .. وينتهى

بذلك صراع الطبقات التى خلقتها طبيعة الإنسان ورغبته فى التميز .

وقال عبد اللطيف :

- لقد حققه إلى حد ما ..

ورد عبد الحبيب :

.. إلى حد ضمان اللقمة .. لقد أمنت غضبة الرعية .. اللقمة لأصحابها ..

واستطرد عبد اللطيف يقول :

.. ولكن مشكلة استرخاء الرعية .. عندما تضمن اللقمة .. واستخسار الجهد لانعدام المقابل له كلما ازداد .. جعل الرعية بين أمرين .. إما أن تستسلم للاسترخاء فينحدر مستواها إلى الخسيف .. ولا تكون غضبتها قد أفلحت إلا في إقرار عدالة الفقر والعوز .. أو .. توضع الرعية .. في نظام قهرى .. يأخذ منها أكبر جهد .. ليس فقط رغم أنفها .. بل رغما عن حبابي عينيها .. ويطبق عليها نوع من السخرة ويصبح عليها أن تخضع مرة أخرى لاستعباد جديد .. هو استعباد الجماعة .

وتساءلت شهيرة :

.. وإلى متى .. تظل هكذا ؟

.. حتى تحقق حالة من النمو والرخاء ..

وبعد ذلك ؟

.. لا يجد الفرد مبررا لاستمرار الغضب في استعباده .. ثم يبدأ تمرده على الغضب ذاته .. وتفرض طبيعته البشرية .. درجات من التمييز .. تتناسب مع ما حققه جهده من نجاح ..

وهز عبد الراضى رأسه في حيرة قائلا :

.. هذا معقول .. ولكن البعض .. يحاولون احتراف الغضب .. إنهم لا يعتبرونه وسيلة لهدف .. ولكنه هدف في حد ذاته .. إنهم يريدون أن يجعلوا منه وضعا دائما .. يريدون أن يجعلوا البشرية في حالة هياج دائم .. وقال عبد اللطيف :

.. تلك هي إحدى مشاكل الغضب .. إن المفروض فيه أن يكون انفعالا لتغيير وضع .. وإذا أزيل الوضع الفاسد .. ووضعت مكانه دعائم الوضع

الجديد .. تصح عملية بناء الوضع الجديد فى حاجة إلى الهدوء والسكينة
ويصبح استمرار انفعال الغضب نوعاً من الهياج العصبى ..
وقال عبد المهيمن :

— والمصيبة أن أصحاب الغضب يصرون على فرضه على الآخرين ..
وهنا تتبع المشاكل .

وقال عبد القادر متما :

— والمصيبة الأكبر .. أن أصحاب الغضب الأشد .. أو أصحاب حالة
الهيـاج قد انشقوا على أصحاب الغضب الأهدأ .. الذين حققوا بغضبتهم ..
ما يريدون .. ولم يعد هناك مبرر .. لاستمرار الانفعال .. والهيـاج .. وهم
يتهمونهم بالنكوص عن الغضب .. والاستسلام للهدوء .. والكف عن
الصراع .. مع الجماعة الأخرى .. التى مازالت تخضع لنظام القلة المتميزة ..
وهز عبد المهيمن رأسه وقال فى شبه يأس :

— والجماعة الأخرى مازالت تصر على التدخل فى شئون الجماعة الثالثة
.. التى تعودت استعبادها .. بدعوى حمايتها من موجات الغضب .. وهى
تفتعل غضبات صورية .. تصد بها غضبات الرعية .. وتسخر عملاًها من
جماعات وأفراد لوقف محررها من الاستعباد .. واستمرار إخضاعها
لسلطانها .. بالقوة أو بالخدعة ..

وقال عبد اللطيف :

— ولم يعد الأمر يقتصر على نهب الموارد .. واستغلال الجهد .. بل
تعداه إلى سرقة أوطان بأكملها .. لقد سلبت شراذم من هنا وهناك .. أرض
إحدى الجماعات .. بحجة أن أجدادهم كانوا يقطنونها .. وطردها أهلها ..
معتمدين على سند الجماعة المستغلة المستبدة ..

وقالت شهيرة :

— والفرقة بين الأفراد .. للون .. أو الشكل .. أو الجنس أو العقيدة
.. قد أضحت إحدى مصائب الرعية .. قد كان مفهوماً .. أن يتميز إنسان

على آخر لأنه أذكى منه .. ولكن أن يتميز عليه لأنه أبيض منه .. فهذه مصيبة ..

وتسأل عبد الراضى فى يأس :

- والعمل ؟! ماذا نحن فاعلون فى كل هذه المصائب ؟

وقال عبد الخبير :

والمصيبة الأكبر .. أن الصراع لم يعد بالأيدى .. أو بالأظافر والأسنان والعصى .. ولكن الرعية .. بفضل ما يملك بعض أفرادها من قميز ذهنى قد ابتكرت نوعا من السلاح .. لو فكرت إحدى الجماعات فى استعماله .. فسيتقضى على الرعية كلها .

وقال عبد الراضى :

- يا أخى دعهم يستعملوه ويربحونا ..

وقال عبد اللطيف :

- حرام يا عبد الراضى .. إنك حزين لموت ستة أنفار .. فما بالك برعية

كاملة ؟!

وقال عبد الراضى :

- لقد نغصت عيشنا .. الله ينكد عليها ..

وهز عبد المهيم رأسه :

- نحن مسئولون .. لقد أخطأت كل تقديراتنا .

وتسأل عبد القادر :

- كيف ؟

- منحنا الرعية أشياء .. لم نقدر نتائجها .

وقال عبد الراضى متسائلا :

- لا أفهم .

وقال عبد المهيم :

- منحناها متعة الطعام .. دون أن نوفره .

ورد عبد الحبير :

.. الطعام يكفى ضعف الرعية .. عندهم أراض ملء الكوكب لم تزرع ..
إن المسألة كلها تقصير فى الاستغلال وسوء التوزيع ..
واستمر عبد المهيمن يقول :

.. ومنحناهم رغبة الجنس ومتعته .. ثم وضعنا عليهم القيود ..
واعتبرناها .. عورة يخجل منها .. وخطيئة يعاقب عليها ..
ورد عبد الحبير مؤكدا :

.. منحناهم إياها .. حتى تكون دافعا للتكاثر .. وقيدناها لتنظيمهم
فى أمر تسأل عن تنمية النسل ورعايته .. ولتحمل عبئه حتى يشتد ويصلب
عوده ويقوم بدوره فى استمرار التكاثر .
وهز عبد الطيف رأسه قائلا فى حيرة :

.. لم يعد لهذا كله ما يبرره الآن .. لقد أضحى التكاثر مشكلة والنسل
مصابة .. باتت المعضلة .. ليست فى كيف تتكاثر الرعية .. ولكن كيف
تحدد من تكاثرها ؟
وقال عبد الحبير :

.. ويات الجنس مشكلة المشاكل .. لوجوهه المتعددة المتناقضة .. وجه
معيب .. ووجه ممتع .. ووجه واجب .. ووجه محرم .. كل هذه الوجوه
تتجمع فى عملية واحدة .. لتجعل منها مشكلة .. يحذر منه الصغير لأنه
عيب .. ويمارسه فى كبره كأمتع المتعات وتحرم عليه ممارسته بغير عقد ..
وبالعقد يصبح واجبا يعتبر التقصير فيه كارثة .. وأصبح الجنس بهذا لغزا من
ألغاز البشرية المحيرة ..

وقال عبد اللطيف :

.. لقد أضحت البشرية كلها ألغازا محيرة للأجيال النابتة من الرعية ..
بكل ما تحمله من قلق الصراع الذى لا يؤمنون بأسبابه .. ويتناقض القيود
المنظمة للمجتمع مع واقع .. لم تعد الأجيال تفهم مبررات معظم القيود التى

تخضع لها .. لقد باتوا يحسون بأنها إرث بال عتيق ليس له مكان فى عصرهم .. وتحولت إلى عبء يحتم الخلاص منه .. والانتطلاق من إساره ..
وقال عبد المهيمن :

.. أجل .. إنهم يشعرون بأن القواعد المنظمة لكونهم .. والمتراكمة من الأجيال السابقة .. قد تكدست فوق أكتافهم وأنقضت ظهورهم .. وترسبت كأكوام من الصدا على مفاصلهم .. تقيد حركتهم .. وتثقل خطاهم .. وإن عليهم أن يتحرروا من عبثها حتى يستطيعوا الانتطلاق فى الحياة ..
وقال عبد اللطيف مؤيدا :

.. باتت الأجيال الجديدة تشعر بأن النظم قد أضحت شيئا أشبه بالتحف والكراكيب التى تملأ بيتا ورثوه عن الآباء والأجداد من الأجيال السابقة .. وأن عليهم أن يخلصوا منها .. حتى يصبح مكانهم فى الكون أوفر راحة وحرية .

وقال عبد الخبير :

.. إنهم يدركون أن القواعد المنظمة .. لم تمنحهم عالما مريحا .. بل منحتهم .. عالما مليئا بالقلق والاضطراب والحرمان والخوف والحاجة .. وهم يؤمنون بأن شيئا طيبا فى هذا الكون .. لا بد أن يأخذوه .. فهم لم يوجدوا .. لكى يقاسوا من التعاسة والشقاء .. وإلا أضحى إجاب الذرية .. مجرد عمل إجرامى انتقامى يقصد به أن تأخذ دورها فى التعذيب كما أخذه آباؤها ..

ورد عبد اللطيف :

.. وفى الحياة فعلا أشياء طيبة .. يمكن أن ينعم بها الإنسان .
وتساءل عبد الخبير :

.. فلماذا إذن لا ينعم بها .. إن هذا هو السؤال الذى يحير الأجيال الجديدة .. ما الذى يحول بينهم وبين الاستمتاع بما فى الحياة من نعم .. لماذا يوضعون على حافة الهاوية من الخوف والحرمان ؟

وقال عبد القادر :

.. ليسوا هم فقط .. لقد وضعت الأجيال كلها على حافتها .

ورد عبد الحبيب :

.. واستسلمت .. فقد كان في جعبتها المزيد من محاولات الإصلاح ..
وكان في نفوسها المزيد من بوارق الأمل في حياة آمنة .. ولكن هذه الأجيال
الجديدة .. تبدو كأنها قد فقدت الأمل .. في كل ما اتبع من وسائل ..
وتريد الخلاص من تركة الأجيال السابقة بمرمتها .

وقال عبد اللطيف :

.. أجل .. وسط كل هذا القلق والصراع والخلاف التقليدي .. بدأت
تسود موجة من اليأس في كل ما هو كائن ..

ورد عبد الراضى :

.. ليس اليأس بأستاذ .. ولكنه القرف .

.. أجل .. الرعاية قد نبت في أجيالها الجديدة .. إحساس باليأس من
كل شيء .. والرفض لكل شيء .. والقرف من كل شيء ..

وقال عبد القادر :

.. وتحول الغضب .. إلى لا مبالاة .. بأى شيء ..

وقال عبد اللطيف :

.. حتى التعبير الفني عن المشاعر قد انعكس فيه القرف .. فبدأ .. في
المضمون غير المفهوم .. والشكل العاثر .

وقالت شهيرة :

.. ولماذا يكون التعبير الفني وحده .. هو الجميل المفهوم .. في كون
انحدر إلى هوة .. انحطاط التعامل بين الناس .. وسوء العلاقات بين
البشر .. إن الصورة السيئة تعبر عن الأصل السيئ .. وعالم الحمقى
والحمقاء .. لا يعبر عنه سوى .. المضمون الأبله .. والأشكال الشوهاة .

ونظر عبد القادر إلى اللوحة وصاح في قلق :

.. الحقوا ..

وهتف الجميع فى جزع :

.. ماذا ؟

.. الدمار يوشك أن يحقق بالكوكب .. الصدام بين الجماعتين الكبيرتين
يوشك أن يقع .

ونظر الجميع إلى اللوحة فى ترقب وهم يسمعون أجراسا تدق .. وهدير
يتعالى .. ويشر يتحفزون فى كلا الجانبين .

ومالبث أن خفت الهدير وسكنت الأجراس .

وهمست شهيرة متسائلة :

.. ماذا حدث ؟

وقال عبد الحبير :

.. لقد توقف الصدام ..

.. لماذا ؟

.. خشى كل منهم على نفسه من الدمار الشامل .. إن السلاح الجديد
القاضى .. يملأ نفوسهم بالخذر من حدوث الصدام .. خشية أن يروح الكل
ضحيته .

وهتف عبد القادر :

.. إذن لقد وجد الحل .

.. حل لماذا ؟

.. لوقف الصراع .

وهز عبد الحبير رأسه قائلاً فى حيرة وقلق :

.. يعنى !! .

.. يعنى ماذا ؟

.. حل غير مضمون .. فاحتمال الخطأ غير المقصود .. أو الانزلاق
نتيجة المغالاة فى التهديد والاندفاع إلى حافة الهاوية .. غير مستبعد .

.. على أية حال .. حل مؤقت .. حتى نتدير الأمر .
وسمعت صيحات هنا وصيحات هناك .. وتلفت الجماعة إلى اللوحة في
جزع .. وتساءل عبد المهيمن :
.. ماهذا ؟

وتأمل عبد الخبير جيدا وأشار إلى ناحية من اللوحة :
.. هنا غضبة من إحدى المجموعات الصغيرة من أجل التحرر من قبضة
جماعة مستغلة..

وأشار عبد اللطيف إلى ناحية أخرى متسائلا :
.. وهناك ؟

وأشارت شهيرة إلى ناحية ثالثة :
.. وهناك أيضا ؟

ورد عبد الخبير :

.. صراعات جزئية أخرى بين الجماعات الصغيرة .
وتساءل عبد القادر :

.. ولكن من أين لهم بكل هذه الأسلحة ؟

.. من الجماعات الكبيرة .. إن الصدام الصغير غالبا .. ويرغم أصحابه ..
مايكون معبرا عن الصدام الأصلي الكبير .. إن الجماعات الكبيرة تقدم
الأسلحة والجماعات الصغيرة تقدم البشر. إنه أشبه ببشور تطفح على جسد
الكوكب .. في مناطق الحساسية الوطنية .. ولكن ميكرويه يتغذى على
الخلافا الأصلي بين الجماعات المتصارعة الكبرى .

.. ولماذا تدفع الجماعات الكبيرة بأسلحتها ؟

.. جماعة تريد أن تفرض نفوذها والجماعة الأخرى تريد أن تحرمها هذا
النفوذ وتحرر الجماعة الثالثة منه .. إن كل هذه الصراعات خليط من الصراع
التحرري يعززه الصراع التقليدي بين الجماعتين الكبيرتين .
وقال عبد المهيمن في قلق :

.. على أية حال .. إنها قد تهدد بالدمار الشامل .. يجب أن نجد حلا
جلديا لمشاكل الكوكب .. وأن ننهي حالة الصراع الدائم والقلق المستمر..
وأن ننفذ الرعية من حالة اليأس والقرف التي تردت فيها .
وقال عبد اللطيف :

.. مازالت هناك أشياء جميلة فى أرض الكوكب ومازالت هناك مركبات
طيبة فى نفوس الرعية يمكن بواسطتها أن يستعيدوا الثقة فى أنفسهم
والأمل فى حياة البشر على ظهر الكوكب .. هذه الأشياء الجميلة والصفات
الطيبة يمكن أن تهين لنا الفرصة .. فى إعادة الاستقرار للكوكب .. والأمان
والرخاء للرعية .

وتساءلت شهيرة :

.. مثل ماذا ؟

.. لم يتلف فى الكوكب كل ماهو جميل .. مازالت الزهور تتفتح ..
والشمس تشرق .. والنبت يخرج من الأرض .. الزرع يورق .. ويثمر .. حمدا
لله أنه لم يغير أسلوبه فى تسيير الحياة .. مازال كل ماهو جميل .. جميلا
.. لم يشوه الله صور الخلق كما شوهها الرسامون على أرض الكوكب ..
ولاحبط الكون كما لحبطوه فى لوحاتهم وقائيلهم وكتاباتاهم ..
.. ولكن هناك الزوايع والبراكين والزلازل والوحوش والحرائق وغيرها من
الأخطار التي مازال الإنسان يواجهها من شرور الطبيعة .

.. لقد استطاع أن يواجه معظمها ويتغلب عليه .. وصراعه معها
لا يشكل عليه خطرا بقدر مايشكله صراعه مع نفسه .. إن عليه أن يواجه
أخطارها واحدة واحدة .. وهو ولاشك منتصر عليها .. وهى على أية حال لم
تلغ الأشياء الطيبة الموجودة على الكوكب .. والتي عليه أن يحميها ويطورها
.. ويغلب بها كل ماهو ضار به خطر عليه .

وتساءل عبد اللطيف :

.. كل هذا مفهوم .. ولكن كيف نقتعه بهذا ؟

وتساءلت شهيرة :

- أنعود للهداية مرة أخرى ؟

- إن الهداية لم ينقطع أبدا تأثيرها عليه رغم كل ماشاها من زخرف

باطل .. وزيف فاسد ..

- ولقد حاول أن يطهرها من زيفها .. وأن يعيد إليها جهرها الأصلي

الذى يمكن أن ينمى مركب الخير في نفسه .

وقال عبد لقادر :

- ولكن مع كل هذا .. مازال يفوس إلى أذنيه في مشاكله المعقدة ..

مازال يرتكب جميع المحرمات .. ومازال يتصارع ويتقاتل ..

وقال عبد الراضى :

- يا جماعة فضوها سيرة ..

ونظر إلى الساعة ثم قال فى سخرية :

- مضى علينا أربع سنوات .. ونحن نتناقش .. بدون فائدة . اسمحوا

لى سأذهب إلى فراشى .. وأمضى الكام يوم الباقية .. أو الكام قرن ..

بحساب الرعية .. فى قراءة القرآن والاستغفار .. إنى واثق أنى سأموت فى

هذا الهو .. دون أن أجد من يقرأ على روحى .. حتى القاتحة .. ولهذا فعن

الخير أن أقرأها على روحى مقدما .

وقال له عبد القادر ناهرا :

- قلت لك لاتشيع روح اليأس فى نفوس الحكام ..

- أنا لست حاكما .. أنا راجل على باب الله .. سأموت بعد بضعة

أيام .. ولن أجد حتى التراب الذى يلم جسدى ..

- ولكننا لابد أن نفعل شيئا لهذه الرعية قبل أن نموت .

وقال عبد الراضى ببساطة :

- أعيدوها كما كانت .. شجروها .. وخلصوها من كل هذا القرف الذى

أصابها .

- وقال عبد المهيمن :
- غير معقول .. إن هذا يعنى منتهى الفشل .
- وقال عبد الراضى :
- ياسيدى فشل .. فشل .. هذا كل ما قدرنا عليه .. والذى يقدر على أكثر يفعله .. أمامه الرعية فليرينا شطارته .
- وقالت شهيرة :
- أنا من رأى عبد الراضى .. نعيد الرعية كما كانت . ونخلص من مسئوليتها ..
- ونظر عبد المهيمن إلى عبد الحبير متسائلا :
- ألاستطيع أن نعمل شيئا غير هذا ؟ .. ألايمكن أن نرسل لكل منهم شعاعا هاديا ؟ ..
- هاديا .. إلى ماذا ؟
- إلى الخير ..
- حدد بالضبط ماهو الخير فى مفهومك .. حتى نتفق عليه .
- لا يقتل .
- وإذا احتاج للأكل ؟
- أعنى لا يقتل بشرا .
- وإذا قتله بشر ؟
- سنهدى الكل إلى عدم القتل .
- وإذا قتله بنوع من الخطأ ..
- هذا ليس قتلا .. إنه مجرد خطأ .
- ومن يقنع الغير .. بأن هذا خطأ حقيقة . وأنه لا يكذب ؟
- سنهدى البشر إلى عدم الكذب وإلى الثقة فى بعضهم البعض .
- وماذا أيضا ؟
- لا يزنى .

- تعنى لا يمارس العلاقة إلا مع زوجته
- أجل .
- وماذا يفعل قبل أن يتزوج ؟ ..
- لا يفعل شيئا .
- والرغبة التى منحناها له ؟
- نؤجل ظهورها .. حتى يتزوج ..
- وإذا حدث قحط فى النسل ؟ ..
- نهكر من الزواج .
- وإذا كان الرجال أقل من النساء ؟
- نعدد الزوجات ..
- وما هى أيضا مظاهر الخير ؟
- ألا يسرق .
- وإذا احتاج للطعام ولم يجده ؟
- لن يتعذر الطعام على أحد .. لأننا سنجعلهم يتقاسمون ناتج العمل بالعدل .
- وإذا لم يعمل واحد منهم ؟
- سنهديهم كلهم إلى العمل كمظهر من مظاهر الخير .
- كلهم يعملون بقدر واحد ؟
- وتردد عبد المهيمن برهة ثم تسأل :
- ماذا تقصد ؟
- أقصد هل كلهم سينتجون قدرا من العمل متساويا ؟
- لا بالطبع .
- هل سيأخذون أجرا واحدا ؟
- طبعاً لا ..
- إذن سيتميز بعضهم فى الأجر ؟

.. لأنهم متميزون فى المواهب .
 .. بماذا سيقولون بأجورهم المتميزة ؟
 .. يحصلون على ما يريدون من خيرات الحياة .. دون أن يستغلوا غيرهم .
 .. إذن ستميز البعض فى مظاهر العيش ..
 .. أجل ..
 .. سيثير تميزهم الحسد والغيرة والحقد .
 .. أتظن أن هذا شيء حتمى ؟
 .. إذا لم يشر .. فمعنى هذا فرض إحساس التبلد .. الذى يفرض بدوره
 الجمود فى المجتمع وإذا ثار فسيثير معه بقية المشاعر الشريرة التى يجرها
 الحسد والغيرة .. من كذب وخداع .. وسرقة .. يضطر إليها البشر فى
 سياقهم نحو التميز والاستمتاع بأكبر قدر من مزايا الحياة ..
 إن علينا أن نوازن جملة .. بين سياق التميز الذى يمنح الكون التطور
 وبين الاستسلام الذى يمنحه السكينة والجمود ويقضى على مظاهر الصراع
 البشرى .. ولا يبقى بعد هذا سوى الصراع البدائى الحيوانى للجنس واللحمة .
 .. إن معظم سمات الشر فى البشر هى مظهر طبيعى لصراع من أجل
 الوجود والتطور .. إنها نتيجة حتمية لحب البقاء ورغبة التكاثر ولهفة الطمرح
 التى لا بد منها لاستمرار الحياة وتقدمها .
 وقال عبد الراضى ببساطة :
 .. يعنى بالعربى .. إما العودة إلى الشجر .. أو البقاء غرقى فى
 المصائب والمشاكل ..
 ورد عبد القادر :
 .. لا .. لا .. لا بد أن هناك وسيلة .. دعونا نفكر ..
 ونهض عبد الراضى يسرى فى الهواء قائلاً فى استسلام :
 .. فكروا وحدكم .. سأذهب أنا لانتظار قدرى .. وسأقرا الفاتحة على
 أرواحكم .

٢١ - الشواب والعقاب

مضت أربعة أيام بحساب السفينة أو قرن بحساب الكوكب .. والجماعة
مازالن حائرة أمام مشاكل الرعية ..

وفى اليوم الخامس جمع عبد المهيمن الجماعة فى حجرة العمليات ..
وكانت تبدو على وجهه سمات التفكير والتجهم والشروء .
قال عبد المهيمن للجماعة وقد اتفوا حول المنضدة :
- الوقت يمر بنا .. ولا بد أن نتخذ قرارا حاسما .
وتساءل عبد اللطيف :

- فى ماذا ؟

- فى موقفنا .

- لماذا ؟

- من أنفسنا ومن الرعية .. إن النهاية تقترب .. ولا بد أن نفعل
شيئا ..

قال عبد الراضى مت دخلا :

- فى أنفسنا .. لا أظننا نستطيع أن نفعل شيئا .. النهاية آتية آتية
.. آدى الله وآدى حكمته .. الكام أنهوية التى كنا نقرف من لحسها .. تكاد
تكفيننا بضعة الأيام الباقية من عمرنا .. سنلحس آخر لحسة منها .. ثم
نتشهد على أنفسنا .

وقال عبد اللطيف :

- دعنا من أنفسنا .. هذا قدرنا .. ولكن الرعية .. ماذنبها ..
نخرجها من سكبتها وندفع بها إلى هذه المشاكل المدمرة .. ثم نتركها ..

ونفوت ؟ .. هذه أناثية !

وقال شهيرة :

- لماذا لا نبذل جهدا أكبر فى هدايتها ؟ .. إنه سبيلنا الوحيد .

وقال عبد الحبير فى يأس :

- حاولت .. والله حاولت .. دفعنا بعض الناس الطيبين الذين غلب على

نفوسهم مركب الخير والصفاء والنقاء .. إلى محاولة هدايتهم .. ودعوتهم

إلى الكف عن الذنوب ..

- وماذا حدث ؟

- لا فائدة .. إن الكوكب ما زال يصطخب بالصراع .. والرعية ..

ساردة فى غيها .. ممعنة فى ذنوبها ..

- مصيبة .. لماذا لا يريدون أن يهتدوا .. وأن يكفوا عن ذنوبهم ؟

- لأن الذنوب فيما أعتقد .. قد باتت مشكلة محيرة ..

- كيف ؟

- إن الرعية لا تدرى لماذا تكف عن الذنوب ؟

- لأنها ضارة .

- بمن ؟

- بهم ..

- لا يبدو هذا واضحا لهم ..

- كيف ؟

- الحمر مثلا .. تبدو حيوية لبعض الرعية الذين يعيشون فى الوجه

البارد من الكوكب .. إنهم يدونها .. يتجمدون .. كيف تقنعهم بأنها ضارة ؟

- ولكن إذا سكروا .. يرتكبون أعمالا ضارة .

- إنهم لا يسكرون .. لقد تعودوا .

- وإذا سكروا ؟

- لا يشعرون بمضايقة .. بالعكس إنهم يحسون بسعادة كبرى .

- ولكنهم يؤذون الغير .
- يمكن منعهم من إيذاء الغير حتى يفيقوا .. وتنتهى المسألة .
- ولكن فى الوجه الحار من الكوكب .. ما حجتهم فى شرب الخمر ؟
- لكى يستمتعوا ..
- ولكنهم ليسوا فى حاجة إليها .
- هل تريد أن تعدد الذنوب لكل منطقة حسب جوها .. ؟ يعنى أن تقول إن شرب الخمر محرم فى المناطق الحارة ومباح فى الباردة ؟
- لم لا ؟
- وإذا رحل سكان المناطق الحارة كلهم إلى المناطق الباردة ماذا نفعل ؟
- هل هذا معقول ؟
- إذا كانت هى الوسيلة الوحيدة لكى يستمتعوا بالخمر .. فقد يفعلونها .
- دعنا من الخمر .. لنبحث عن الذنوب الأخرى .. لماذا يرتكبون الزنا ؟
- لأنهم عندما ييلفون سن التنضج تلح عليهم الحاجة إلى الجنس .. كما تلح عليهم الحاجة إلى الطعام منذ أن يولدوا .
- إذن عليهم أن يمارسوها كحق .. لا كخطيئة .. عليهم أن يمارسوها فى حدود شرعية بين الذكر والأنثى .. تضعهما فى إطار الأسرة وهى نواة المجتمع .
- لم يعد فى قدرة هذه الأجيال .. الارتباط بالزواج بمجرد الإحساس بالجنس .. إن نضجها ذهنى .. وقدرتها المادية على تحمل المسئولية .. لا يكون كافيا لإيجاد كيان أسرة .. وتحمل عبئها .. والكوكب قد ازدحم بالذرية .. وأغلب الرعية منافقون يمارسون الزنا خلسة .. والبقية تعف عنه لوازع الهداية .. أو العجز .. أو لطموح قد تحول النزوات دونه وهم أمتع ببريق المجد منهم بمتعة النزوات .

— قد يكون قولك صحيحا .. ومن أجل هذا يصبح جمع الحب والجنس فى إطار الزواج .. هو خير ضمان لاستقامة الرعية .. وتنظيم علاقة الذكر بالأنثى .

— طبعا هذا هو الحل النموذجى والشكل الأمثل لعلاقة الاثنين اللذين يكونان الحياة البشرية . ولكن المصيبة أن جمع هذه العناصر الثلاثة كأساس لهذه العلاقة .. يكاد يكون متعلنا .. إلا بالصدفة .

— ماذا تعنى ؟

— أعنى أن هذه العناصر الثلاثة رغم تكاملها .. ووحدة نوعيتها .. فإن كلا منها يكون شيئا مستقلا بذاته .. ولكل منهما مقوماته المنفصلة .. فإذا اتحدت كلها فى وحدة واحدة .. كانت نتيجتها .. حياة سعيدة .. وأسرة مترابطة .. وفرصة كبيرة لاتعدام الرغبة فى ارتكاب الذنوب .

— ماذا تعنى أن لكل منها مقوماته المنفصلة ..

— الحب ... وأعنى به الحب الملتهب بين الذكر والأنثى .. والذي يجذب كل منهما نحو الآخر .. بقوة لاتقاوم .. هذا النوع من الحب .. له مقوماته .. وهى غالبا نابعة من الأوهام .. من صنع المحب ذاته .. من حساسية .. تجعله يضىء على الأشياء ألوانا مبهجة .. ويجسدها بشكل رائع .. وتجعله حساسا لالتقاط كل الانفعالات .. وتجسيدها .. سواء انفعالات السعادة أو الشقاء .. أو الغيرة .. أو الحرمان .. أو اليأس .. أو الأمل .. ومقومات الحب لاترتكن إلى أسس مادية .. بل ترتطم بها .. إن المحب يرفض أن يقرن الحب بأية مظاهر مادية .. ويجزع من أن يرى فى أسنان الحبيب بقايا طعام .. أو أن يقرنه .. بعوارض الامساك أو الاسهال أو القيء .. والمفص .. أو البثور .. أو بأى من هذه الأشياء الطبيعية التى تعتبر من صميم المظهر البشرى .. وجزء منه .. والتى لايمكن أن نجد لها أثرا فى حياة الأبطال فى قصص الحب الخالدة التى لاتصل أبدا إلى مابعد الزواج والتى تتضاءل فيها معالم الواقع القبيح رغم تشكيّلها لجزء حيوى من حياة

الأبطال .

- والجنس ؟

- الجنس .. قد يقود إليه الحب .. وقد يمارس بغير حب .. وهو رغم اقترانه بالحب وإقامه له في بعض الحالات .. فإنه يعتبر شيئا مستقلا تماما .. وله مقوماته .. التي تستند إلى اللياقة البدنية والخبرة العقلية والرغبة المتبادلة .. وقد يدعم الحب مقوماته .. وقد يخللها .. وقد يقود الجنس الناجح الذي لا تركز مقوماته إلى الحب .. إلى نوع من الارتباط .. يتحول إلى لون من الحب .

- والزواج ؟

- الزواج شركة قد يكون من مقوماتها الحب والجنس ولكن مقوماتها الأهم هي التوافق بين طرفي الشركة .. ومدى فهمهما لمسئوليتهما في الشركة .. وفي أنها ليست مجرد حقوق بلا واجبات .. أو وسيلة للإشباع العاطفي أو الجنسي .. وإنما هي مشاركة في عملية بناء جادة وخطيرة .. تتزايد خطورتها مع الأيام .. عملية بناء يجب أن يتحمل كل منهما نصيبه فيها من الجهد والمشقة والمتاعب والمشاكل .. ولا يتخلى عن مسؤوليته في الشركة المستمرة النمو والتعقيد .. لأي إغراء خارجي .. إن أخطر ما في الزواج .. هو فهمه على أنه ترخيص لجنس محرم إلا برخصة الزواج .. لأن الزواج ليس وسيلة للاستمتاع بالجنس .. بل قد يعتبر أبعد على الزهد فيه .. وقد يكون هذا هو السبب في معظم مشاكل العلاقات البشرية .. إن البشر يخلون في الزواج عندما يرون أنه لم يحقق ما يتوهمونه فيه .. من إشباع لعاطفة الحب السابق له .. أو إرواء دائم لعطش الجنس الدافع إليه .. ويجدون أن ما حققه فعلا هو تحميلهم عبء المسؤولية الحقيقية لإقامة بيت وتكوين أسرة .. وتنمية صغار .. تتزايد مطالبهم مع الزمن .. وأنه إذا استقرت الشركة واستقام بناؤها .. يحقق نوعا من الحب الراسخ الذي ينمو بدوام الارتباط وطول العشرة وإحساس كل طرف بفضل الآخر عليه وحاجته له .

.. والنتيجة .. هل تقترح أن نفصل .. عملية الحب .. عن الجنس عن الزواج ؟

.. لا أظنها تجربة مشمرة .. لأنه بعد كل هذا نجد الإنسان أميل إلى الاستحواذ .. بعد كل هذه الميول الفردية العجيبة .. يريد أن يستحوذ على شريك .. وأن يصبح رب أسرة .. وأن يمارس سلطانه على أولاد يخلقونه في الأرض .. هذا الإحساس .. يدفعه إلى الرغبة في الاستحواذ على من يحب .. والاستئثار بمن يرضى فيه رغبة الجنس .. ولا يجد إطارا للاستحواذ والاستئثار .. خيرا من الزواج .. وبعد هذا تبدأ مشاكل الزواج .. إن هذا التناقض في تركيب الإنسان .. هو الذي يثير كل هذه المتاعب .

.. أتقترح أن نغير مركبات البشر؟

.. غير معقول .. لأنها بتسلسلها السابق .. تكون مقومات الحياة نفسها .. التي تؤدي للبقاء والتكاثر والتطور.

وضرب عبد الراضى كفا بكف وصاح فى يأس :

.. يا جماعة قلت لكم لا فائدة .. الناس هكذا .. بخيرهم وشرهم ، بحسناتهم وسيئاتهم .. فضوها سيرة .. ودعونا نرقد .. أو نعوم .. على أسرتنا حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ..

وقال عبد القادر :

.. يا أخى دعنا نتناقش .

.. نتناقش فى ماذا .. مضى علينا مائة سنة والذي نقوله نعيده .. والرعية تزداد تماسة وشقاء .. وانغمسا فى الذنوب والخطايا .

ورد عبد المهيمن زاجرا :

.. على أية حال المناقشة .. قد تفيد .

.. تفيد فى ماذا .. الرعية .. ستبقى على حالها .. أنتم أنفسكم قلتم هذا .. إن المصائب نابعة من نفوسهم .. وتغيير نفوسهم .. يعنى تغيير الكون .. أو تحميده أو بالعربى تشجييره ثانية .. فإما أن تعيدها إلى أصلها

.. أوتركوها على حالها .. وعجعلونا نقضى بقية أيامنا نستغفر الله في هدوء .

وقال عبد اللطيف :

.. يبدو أنه لم يعد أماننا إلا أن نفعل هذا .

وتنهدت شهيرة في حزن وقالت :

.. خسارة .. سنتهي وينتهي معنا كل شيء .. لن يعرف العالم عنا أى

شيء .. سوى أننا فقدنا في الفراغ .. سنذهب دون أن تبقى لنا ذكرى ..
لواستطعنا أن ننقل للأرض تجربتنا .

وقتم عبد اللطيف ببساطة :

.. لما أحدثت شيئا ..

ورد عبد الراضى :

.. الحال من بعضه .

وقالت شهيرة :

.. ولكنها ستمنحنا مجدا .. ستضعنا في مانشيتات الصحف .

وقال عبد الراضى في سخرية :

.. وكم من مانشيتات .. لم يعد يذكرها أحد .. كم من أناس وضعوا

على قمة الصحف .. وملأت صورهم أعمدتها .. ثم راحوا في التراب ..
ولم يعد يذكرهم حتى أقرب الناس إليهم .

وقال عبد اللطيف :

.. الأيام تطوى كل شيء .. والأرض تبتلع كل حي .. ورماد الأجساد

يختلط بترابها .. وكما قال المعري : « ما أظن أديم الأرض إلا من هذه
الأجساد » .

وقال عبد الراضى في أسى :

.. المصيبة أننا لن نجد أديم الأرض .. الذى يختلط بأجسادنا .

وقال عبد اللطيف :

.. ستدرونا الرياح .. سنختلط بكل ذرة من ذرات الهواء ..
من يدري ربما سقطت بعض ذرات جسدك يا عبد الراضى على الأرض ..
وقال عبد الراضى :

.. فى مدافن السيدة عائشة إن شاء الله .. إنى أبارك فيها .
وأخذت دموع شهيرة تتساقط ونهنت قائلة :
.. يا حبيبى يا محمود .. يا حبيبتى يا راوية .. ترى ماذا سيحدث لكما
من بعدى .. ليتنى لم أترك أباكما .. على الأقل كنت أضمن أن أترككما
فى رعايته ..
وأحس عبد اللطيف أن دموعه توشك أن تنهمر .. وريت ظهر شهيرة
وهو يقول :

.. لاتجزعنى يا شهيرة .. رينا كريم .
وتسالم عبد الراضى :
.. كريم كيف ؟ .. باق لكل منا ثلاث أنابيب .. كل أنبوبة تكفى يومين
.. وبعدها .. سنستسلم لقضاء الله .. هيا دعونا نرقد فى حجرتنا .
وتبادل عبد المهيم مع عبد القادر النظرات ثم قال عبد المهيم فى حزم :
.. إن من التخاذل أن تستسلم لمصيرنا .
ورفع عبد الخبير نظرة من لوحة الكوكب .. الذى بدا فيه الصراع
والياس والقرف على أشده وتسالم قائلا :
.. ماذا تعنى ؟

.. أعنى أننا يجب أن ننطلق من السفينة .
وتسالم عبد الراضى فى دهشة :
.. تانى ..

وقال عبد المهيم مؤكدا :
.. إن هذا بلا شك خير من أن نرقد مستسلمين لتلقى حتفنا فى عجز .
وتسالم عبد اللطيف :

- هل تقصد ما سبق أن قلته من انطلاقتنا نحو الكوكب .. كل على

حده ؟

وتساءلت شهيرة :

- سيرا على الأقدام ؟

وقال عبد الراضى :

- يا ريت سيرا على الأقدام .. المصيبة أننا لا نستطيع السير ..

سنطبخ فى الهواء .

وقال عبد اللطيف :

- بغير اتجاه .. وعلى غير هدى .

وقالت شهيرة فى جزع :

- هل معقول أن نسير فى هذا الفراغ السحيق ؟

وقال عبد الحبير مؤكدا :

- أنا شخصيا لن أغادر السفينة ..

ورد عبد القادر فى دهشة :

- هل معقول أن نبقى هنا مستسلمين لمصيرنا حتى نموت ؟

وتساءل عبد الحبير :

- وإذا خرجنا .. ألن نموت ؟

- احتمال واحد فى الألف .. أن نصل إلى منطقة الجاذبية .

وقال عبد الحبير :

- فتهوى حطاما على أرض الكوكب .

وقال عبد اللطيف :

- أو حتى أحياء .. فيأمرونا .. ويعنموننا .

وقال عبد الراضى :

- أوتركوننا .. نفرق فى مشاكلهم ؟

وتساءل عبد المهيمن :

.. ولماذا لا نسيطر نحن عليهم ؟

وقال عبد الراضى فى دهشة :

.. ياكابتن .. إذا كنا لم نستطع أن نسيطر عليهم من هنا .. من السماء .. هل سنسيطر عليهم عندما نصبح بشرا مثلهم .. على الأرض .

وقال عبد المهيمن :

.. ربما تصبح سيطرتنا .. أكثر فعالية .. إن المصيبة هى أننا هنا .. لانغارس الردع المباشر فيهم .. لقد متيناهم بثواب وهددناهم بعقاب عن طريق الهداية ولكنهم لم يأنهوا له .

وقاطعه عبد اللطيف قائلا :

.. وقال كل منهم حلى .. على ما يأتى العقاب أو الثواب .. واقتطفوا ثمرة الذنب .. واستمتعوا بها استمتاعا سريعا مباشرا ..

وهذاهم تفكيرهم وتقدمهم إلى تهئية نوع من المتع قد تصل إلى ما وعدناهم به من ثواب .

وقال عبد القادر :

.. فلم يعد يجدى معهم إغراء بثواب أو إنذار بعقاب ..

واستطرد عبد المهيمن :

.. وأعتقد أننا لو مارسنا فيهم العقاب المباشر .. ومنحناهم الثواب السريع .. فرما كان هذا أجدى .

ورد عبد الحبير قائلا :

.. ولكنهم حاولوا تنظيم العقاب والثواب فى تشريعاتهم .

وقال عبد المهيمن :

.. عندما ينظمون هم لأنفسهم ويطبقون نظمهم تتدخل المشاعر الذاتية وتصبح التشريعات فى بعض الأحيان نوعا من حماية الذات أو وقاية الطبقة . ومعظم الذنوب تمارس فى الخفاء .. والعقاب لا يوقع بالمذنب فعلا بقدرما يوقع بالعاجز عن ستر ذنبه .. ولكننا سنعرف كيف نسيطر عليهم ونعرف

المذنبين الحقيقيين .. ونوقع بهم العقاب الرادع .. إننا لو أتيتنا لنا فرصة الوصول .. فسنعرف كيف يفارس الحكم الحقيقي المباشر ..

وتسأل عبد اللطيف :

== تقصد الحكم البوليسى ؟

ورد عبد القادر :

== سندع هذا لوقتته .. إذا قدر لنا أن نصل ونحكم .

وهز عبد الراضى رأسه وضرب كفا بكف قائلا :

== يا جماعة اهدأوا .. وكفى .. ممارسة للحكم .. ألم تتعبوا .. دعوا

الناس وشأنهم .. يسرقون .. يسكرون .. يزنون .. إنهم مسئولون عن خطاياهم أمام ربهم .. ومنهم لله .. إنه كفيل بهم .

دعونا ننتظر مصيرنا فى هدوء .. ولنطلب لأنفسنا الرحمة .. الفاتحة

يا جماعة .

ورفع عبد الراضى يديه إلى أعلى وقرأ الفاتحة ثم مسح وجهه بكفيه

ووجه القول إلى عبد الخبير قائلا :

== و أنت يادكتور.. انهينا من حكاية الرعية هذه .. أعدها كما كانت

وأغلق التلفزيون أو حوله .. على محطة أخرى تكون فيها رقصة أرغنية نتسلى قبل الموت .

وأمسك عبد المهيم بذراع عبد الخبير صانعا :

== لا .. إياك أن تعيدها كما كانت .. هذا هروب من المسئولية ويجب

أن نتحمل مسئوليتنا حتى النهاية .

وصمت لحظة ثم قال :

== لقد قررت أن أهبط إليها .. سأغادر السفينة الآن ومن يريد أن يخرج

معى فليستعد بارتداء بذلة الفضاء ..

وقال عبد الراضى فى استسلام :

== أنا سأبقى .

وقالت شهيرة :

- وأنا .

وقال عبد اللطيف :

- وأنا باق معهم بالطبع .

ونظر عبد المهيمن إلى عبد الخبير متسائلا :

- وأنت يادكتور!

- قلت منذ البداية إنتى لن أغادر السفينة .. ليس من العقل أبدا أن نترك مأوى يمكن أن تصل إلينا فيه أية نجدة .. للهيمان فى الفراغ .. بحيث لا يمكن لقوة أن تعثر علينا .

وقال عبد القادر فى حزم :

- أنا سأخرج .. لأظن لدى ما أحرص عليه فى الأرض .. وفرصة النزول إلى الكوكب .. والسيطرة على أهله من أسفله .. فرصة لا يمكن أن تترك .

وقال عبد المهيمن :

- إنها خير بلا جدال .. من الرقعة هنا فى انتظار الموت .

وقال عبد القادر وهو يتجه إلى غرفته :

- سأستعد للخروج فورا يا كابتن .. يجب ألا نضيع لحظة واحدة .. فإن

المشوار طويل ..

وقال عبد المهيمن :

- ويجب أن نقطعه قبل نفاد الطعام ..

وأسرع عبد المهيمن إلى غرفته ..

وانتهى كل منهما من ارتداء بذلة الفضاء وعبأ ما تبقى معهما من أنابيب الغذاء وترامس للماء .. وتأكد من تزويد البذلة بكل ما تحتاج إليه رحلتها فى الفضاء .

وقال عبد المهيمن لعبد القادر هامسا :

.. هل ثبت الأسلحة جيدا .

.. أجل ..

.. وبقية المعدات 12

.. أجل ..

.. والطعام .

وهمس عبد القادر :

.. غير نصيبنا من الطعام .. معى احتياطى لمدة أسبوع آخر ..

وخرج الاثنان لبقية الجماعة التى جلست على مقاعدها حول المتضدة

وقد سادهم الصمت وبدا عليهم الوجوم .

وكان عبد الخبير أول متكلم فقال :

.. يا جماعة أرجوكم فكروا جيدا .. لاداعى أبدا للمقاومة بالخروج .. إننا

مازلنا نأمل فى نجدة من الأرض .

وقال عبد المهيسن :

.. أمل ميثوس منه .

وعاد عبد الخبير يقول :

.. ومازلنا نحاول إصلاح السفينة .

ورد عبد القادر :

.. غير معقول بعد كل هذه المحاولات .. أن نجد وسيلة لانطلاقها .

.. ما دمنا أحياء .. فالأمل باق .

ورد عبد المهيسن :

.. حياتنا قد باتت معلقة بهضج أنابيب غلاء ويضع زجاجات للماء .

وقال عبد القادر :

.. وبعد هذا .. تنتهى الحياة .. وينتهى الأمل .

.. ولكن خروجكم هذا يعرضكم لأخطار محققة .

.. لو كان هناك بصيص أمل فى النجاة منها .. فهذا أفضل من انتظار

موت محقق .

وقال عبد المهيمن فى حزم :

.. لقد استقر رأينا .. وانتهى الأمر ..

وقال عبد اللطيف :

.. إن الطعام الذى معكم لن يكفىكم سوى ستة أيام .. والمشوار كما

سمعت منكم طويل .

وقالت شهيرة :

.. هل سيكفىكم الطعام خلال هذه المسافة ؟

ورد عبد المهيمن :

.. سنحاول جهدنا الاقتصاد فيه .. سنعيش على الكفاف .

وردت شهيرة متسائلة :

.. ولماذا لا تأخذان بعض ما معنا من طعام .

وتساءل عبد المهيمن :

.. وأنتم ؟ ..

ورد عبد اللطيف :

.. ما دام موتنا محتما .. فلن يضيرنا أن نموت بعد أربعة أيام ..

بدلا من ستة أيام .

وقال عبد الراضى :

.. بناقص يومين .. توفران علينا مشقة الانتظار .. وعلى رأى المثل ..

وقوع البلاء .. ولا انتظاره .

واندفعت شهيرة إلى حجرتها لإحضار أنابيب الغذاء قائلة :

.. سأحضر لكم بعض ما عندى .

وسار عبد اللطيف وراءها قائلا :

.. وأنا .. خذ كل ما عندى إذا أردتما .. فلن يعنينى أن أبقى طويلا ..

وقال عبد الخبير معترضا :

.. يا جماعة .. ما دام الغذاء قد وزع علينا منذ البداية فليحتفظ كل بما لديه .. ومن يدري .. فقد يكون بقاؤنا يوما أكثر .. فيه نجاتنا .. قد تصل إلينا بحجة الأرض .. أو نصلح السفينة في هذا اليوم الباقي .

وقال عبد المهيمن :

.. ليحتفظ كل منكم بغذائه .. فهذا هو نصيبه .. وهو الذي يحدد قدره .

ولكن عبد الراضى قال فى إصرار :

.. أبدا .. على النعمة .. لا بد أن تأخذنا بعض ماعتدنا .. إن أمامكما مشوارا طويلا .. ولديكما آمال كبيرة .. ولكننا لن نأمل إلا فى أن تقترب النهاية بسرعة وثرينا .

وعاد عبد الراضى بعد لحظة ووراء شهيرة وعبد اللطيف ومع كل منهم إحدى أنابيب الغذاء .

ومد عبد القادريده لأخذها ولكن عبد المهيمن أصر على رفضها قائلا :

.. إننا لن نأخذ منكم شيئا .. إن معنا ما يكفى .

ومد يده المغطاة بقفاز سميك يصافح الآخرين قائلا :

.. نرجو أن يهين الله لكم النجاة .

وقال عبد اللطيف :

.. ونحن نرجو أن يوفقكما الله فى رحلتكما العجيبة .. وأن يوصلكما

إلى الكوكب بالسلامة .

وقالت شهيرة :

.. ليحفظكما الله وينجيكما .

وقال عبد الخبير :

.. لم يكن من رأى أبدا المغامرة بالخروج .. ولكم مادام هذا رأيكما

فليرضكما الله بعنايته .

وفتح باب السفينة وانزلق منه عبد المهيمن وعبد القادر .

وأخذ الأربعة يرمقونهما من النوافذ المستديرة .. وهما يتقلبان فى

الفراغ .. كأنهما زغب فى مهب النسيم .
وبدا الفراغ أزرق داكنا والنجوم تشلأ فى صفاء .. ومن بعيد بدا
الكوكب مستديرا تبدو فى أرضه فجوات صغيرة .. دون أن يظهر فيه أثر
لبشر أوحياة .

وتسأل عبد الراضى :

— أليس هذا الكوكب الذى يقصدانه ؟

وقال عبد الخبير :

— أجل ..

— إذن أين الرعية المهيبة التى أحدثت كل هذه اللخطة ؟

— لا يمكن أن تبدو من هنا .. إن مانراه هو قمم جبال .. أو أخاديد فى
الأرض .. أو أسطح أوغابات .

— وسيهبط الكابتن والباشمهندس هناك .

— إذا وصلا لمنطقة الجاذبية .

وتسأل عبد اللطيف :

— أهنالك احتمال الهبوط دون أن يتحطم جسداهما ؟

— محتمل جدا .. فإن الجاذبية أضعف كثيرا من جاذبية الأرض .

— ترى كيف سيكون وقع هبوطهما على الرعية ؟

— الله أعلم .. إن هذا يتوقف على أسلوبهما فى التعامل معها ..

ولكنى أعتقد .. أن التفاهم يمكن أن يشم مع الزمن .

وقبحة صاح عبد الراضى :

— زمن ؟ .. أى زمن ؟

وتسأل عبد الخبير :

— ماذا تعنى ؟

— أعنى زمن الكوكب .. أو زمنا .

وهتف عبد اللطيف فى جزع :

- يانهار أسود .

وتساءلت شهيرة :

- ماذا ؟

- إن عبد الراضى على حق .. هل سيعيشان هناك بحساب الزمن فى

الكوكب أم هنا ؟

وتساءل عبد الخبير :

- وماذا تفرق ؟

- لو عاشا بزمن الكوكب .. لما تبقى فى أى عمر أى واحد منهما ..

أكثر من يومين بحسابنا .. لأن أى واحد منهما لن يعيش أكثر من خمسين عاما
أخرى .. مهما طال عمره .

وقال عبد الراضى :

- وخمسين عاما .. يعنى يومين من عمرنا .

وقالت شهيرة :

- يعنى بفرض نجاحهما .. ووصولهما إلى الكوكب .. وحكماهما

للرعية .. لن يبقيا أكثر من يومين .

وقال عبد الراضى ضاحكا :

- خسارة .. ما يجيبوش قمنهم .

ثم أردف قائلا :

- ألم أقل لكم .. لا داعى للخروج فى الهواء .. والبهدلة .. سأبقى فى

فراشى .. أقرأ القامحة وعدية يس على روحى .. حتى يحين قضاء الله ..
عن إذنكم .

٢٢ - مشوار فى الفراغ

سرى عبد المهيمن وعبد القادر فى الفراغ يشوحان بأذرعهما وأرجلهما .. متجهين صوب الكوكب الذى لاح فى جانبه المشرق من بعيد رمادى اللون تكسوه ظلال متناثرة ومحيط به هالة من الضوء الأزرق القابع تزداد قتامة كلما بعدت عن الكوكب حتى تتحول إلى زرقة داكنة تختلط بزرقة الفراغ الذى تناثرت فيه النجوم بראה متلاكنة .

وبدا الحديث بين الاثنين بواسطة الجهاز اللاسلكى الصغير الذى احتوته بدلة الفضاء .. وأخذ عبد المهيمن شهيقا طويلا بطيئا حاول أن يستعيد به رباطة جأشه بعد فترة القلق التى أعقبت لحظة مفادرة السفينة وتساءل بقدر ما يملك من هدوء :

- كيف الحال ؟

ورد عليه عبد القادر وأنفاسه ما زالت تتلاحق :

- لا بأس .. أحس بشيء من الضيق والاختناق .. ولكن الحالة تسير إلى أفضل .

- لقد شعرت بمثل ما شعرت به .. ولكنى واثق أنه إحساس موهوم .. فالهواء نقى داخل البدلة .. والأربطة محكمة .

- يتملكنى إحساس كأنى فى سجن .

- وأنا أيضا .. فوسط هذا الفراغ الهائل .. يشق على المرء أن يقيد فى هذا الحيز الضيق .. ومع ذلك فإنه لا يعوق حركتنا .. إنى أشعر أنى خفيف كالريشة .

- لبتنا كنا أثقل من هذا .. إذن لاستطعنا أن نوجه حركتنا ونسيطر

على اتجاهنا فيأتى أحس أنى ضائع منقلت .. ويعلم الله إن كنا نسير نحو
الكوكب .. أو نبعد عنه .

.. أعتقد أننا نسير نحوه .. ولكنى لا أعرف بأية سرعة .

.. إننى أحاول أن استحث الخطأ .. أحاول أن أجرى .. ولكنى لأجد ما

أستند عليه أو أندفع منه .. كل ما أملكه هو تحريك ساقي وذراعي ..

.. ليس أمامنا سوى هذا .

وصمت عبد المهيمن برهة ثم أردف :

.. المهم ألا ترتطم بشيء .

.. شيء مثل ماذا ؟

.. مثل هذه المذنبات التى تنطلق فجأة من هنا أو هناك .

.. هل تظنها فى هذا الفراغ الهائل .. لا تجد طريقا للانطلاق سوى

طريقنا لتضطدم بنا .

.. من يدري .. لو شاء القدر .. لفعلت .. ولقضت علينا .

.. ربما يستمر .

واستمر الاثنان يتحركان بكل ما يملكان من قوة وجهد .. وبعد برهة

تساؤل عبد القادر :

.. أشعر بجوع ؟

.. أشعر بقرصة فى المعدة .. ربما كان جوعا .. ولكنى على أية حال ..

لا أفكر فى الأكل ..

.. ولكننا لا بد أن نأكل ..

.. ما دمت لم نشعر بالجوع فلتولر الطعام .

.. بالعكس .. يجب أن ننظم وجباتنا .. حتى لا يحدث لنا ارتباك

معوى .. فليس لدينا فائض جهد نستهلكه فى المرض .. ولا فائض وقت

نضيعه فى العلاج .

.. على أية حال .. الأنبيوية معلقة أمام شفتى .. لا يحتاج سوى أن

أضغط بأصبعي على زر الطعام حتى يخرج منها الطعام إلى فمي .
.. إذن دعنا نأكل وجبة الغداء وننتهي .
وفي لحظة انتهى كل منهما من تناول طعامه .. وعاد عبد القادر
بتسأل :

.. هل نظننا سنصل إلى منطقة الجاذبية ؟
.. هناك احتمال كبير لو استمررنا على هذا السير .
.. لو أننا قطعنا منطقة اللاجاذبية .. فلا أظن أن هناك مشقة كبيرة في
الوصول إلى الكوكب بعد ذلك .
.. ليست مسألة مشقة .. ولكنها مسألة حياة أو موت .. مسألة أن
نصل سالمين .. أو نصل حطاما .
.. بمقياس معدل الجاذبية .. اعتقد أن هناك احتمالا للوصول سالمين ..
.. لو حدث هذا تصبح معجزة .
وصمت عبد المهيمن برهة ثم تسأل :
.. كيف نظن أهل الكوكب سيستقبلوننا ؟
.. أعتقد أننا سنلقى منهم أروع استقبال .
.. لماذا ؟

.. ألم نحكمهم عدة قرون .. ألم نبعث فيهم الوجود البشري ؟
.. هل تراهم يذكرون هذا ؟
.. يجب أن يذكروه .
.. طبيعة الإنسان ألا يذكر فضل صاحب الفضل عليه .. على التقيض
إنه يصاب منه بعقدة الجميل .. ويعتمد تجاهله وإنكاره .. حتى لا يذكر نفسه
بأوقات بؤسه .

.. على أية حال إذا لم يذكرونا .. سنذكرهم هنا .. وبأفضالنا عليهم .
.. لن ينصت إليك أحد .. لأنهم أكثر إقبالا على صاحب فضل قادم ..
منهم احتفاء بصاحب فضل سابق .

— إذن فسنفرض عليهم سيطرتنا بكل ما نملك من أسلحة السيطرة ..
وأساليب القوة ووسائل المعرفة .

وفكر عبد المهيمن برهة ثم قال :

— سنرى كيف نتصرف معهم عندما نلقاهم مواجهة .. المهم أن نصل
إليهم .. وسيكون لدينا بعد ذلك الوقت الكافى للتعامل معهم .

— أجل .. سيكون أمامنا أجيال طويلة .. لن نكون مقيدين بالقرون
السبعة التى كانت تحدد عملنا فيها مدة الشهر التى كانت فرصتنا فى الحياة
.. إنا نملك من عمرنا الستين الطويلة التى تمنحنا فرصة العمل فى الكوكب
آلاف الأعوام بل آلاف القرون .

وسادت فترة صمت بدا كأن الاثنين يفكران مليا فيما قيل .

وقتم عبد المهيمن كأنه يحدث نفسه قائلا :

— آلاف القرون .. فى عمرنا نحن .

وأجاب عبد القادر فى لهجة شابهة التشكك :

— بل فى عمر الكوكب .

— وهل سنعيش فى الكوكب بزمنا . أم بزمان الكوكب ؟

— وهل سنعيش آلاف القرون ؟

— إنها فى عمرنا لن تزيد عن عشرين عاما .

— بزمنا نحن بالطبع .. يعنى ستظل الساعة من عمرنا بعام فى

الكوكب .

— وكيف يمكن أن نتعامل معهم .. إذا كنا نعيش بزمنا وهم يعيشون

بزمانهم ؟

— ولم لا ؟

— يا أخى .. إن مجرد غفوتنا لبضع ساعات معناه مرور بضع سنوات بهم

.. هل تتصور حاكما يمكن أن يغفوا عن الرعية بضع سنوات ؟

— غير معقول ..

.. وهل تتصور أننا نصبح ونفسى فنجد نصف الرعية قد مات ونجد الأطفال قد صاروا شبابا .. والشباب قد صاروا شيخوخا .. كيف يمكننا التعامل معهم ؟

.. مصيبة ! .. ترى ما العمل ؟

.. العمل هو أن نعيش بزمانهم .. إن هذا هو ما لابد أن يحدث لنا بمجرد أن نهبط فى الكوكب .

.. هل تعنى أننا سنعيش أيامنا بأيامهم .. وسينتنا بسنينهم ؟

.. طبعاً .. ما دمتنا قد وصلنا إلى كوكبهم ، بل أغلب الظن أن أيامنا فى الطريق إليهم ستقصر عن معدلها الطبيعى .

وعاد عبد القادر يتساءل مشدوها :

.. هل سنقضى ما تبقى من عمرنا بحساب زمانهم ؟

.. طبعاً .

.. أتعنى أن السنوات العشرين أو الثلاثين الباقية لنا .. ستحسب بحسابهم ؟

.. قلت لك أجل ..

.. أتعرف ما يعنى هذا .. يعنى أننا لن نعيش هناك سوى يوم واحد ..

هذه مصيبة .. إننا بعد كل ما فعلنا .. سنموت قبل عبد الخبير وأصحابه ..

.. يا أخى إن السنوات الباقية لنا لن تمر بنا كيوم .. بل ستمر كأنها فعلاً عشرون أو ثلاثون عاماً .

.. ماذا يهم كيف تبدو .. بقدر ما هى فعلاً .. إنها يوم فى حياتنا

الحقيقية .. يعنى عبد اللطيف وعبد الراضى وشهيرة .. لن يكون قد مر بهم أكثر من يوم .. ونحن قد بلغنا سن الشيخوخة ووقفنا على عتبة الموت .

.. لماذا تصر على المقارنة بهم .. إننا سنكون فى كوكب آخر .. ومع

أحياء آخرين .. هم الذين سترتبط حياتنا بهم .

.. وحتى هؤلاء .. لن نحكمهم أكثر من عشرين عاماً .

.. ألا تظنها كافية ؟

- إنها مجرد حكم عادى .. غيرنا حكم فى الأرض أكثر من هذا ..
إننا لن نتحكم فى أكثر من جيل واحد .. ومحتمل جدا .. أن نتعرض لإحدى
موجات الغضب .. وننتزع من الحكم .

- جائز جدا .. إذا لم نحسن قيادة الرعية .

- لو أعلم هذا لبقيت فى السفينة .. على الأقل كان حكمنا قد دام
لجيلين آخرين .. وكنا هناك فوق غضب الرعية .. وفوق تقلباتها وأهوائها ..
خسارة ..

- لا داعى للتندم الآن .. لقد هبطنا من السفينة وانتهينا .. ولا وسيلة
للمودة .. وليس أمامنا إلا أن نكمل المشوار .. المهم كما قلت لك أن نخرج
من منطقة اللاجاذبية .

- نخرج أو لا نخرج .. كله محصل بعضه .

- بل خير لنا أن نخرج بدل أن نضيع ما تبقى من عمرنا .. هائمين فى
الفراغ .. هيا بنا .. ولنسرع الخطا فالوقت يسرقنا .
وانطلق الاثنان يخططان فى الفراغ بأذرعهما وساقيهما .

وفى نفس الوقت ..

كانت الجماعة الباقية فى السفينة قد تمددوا فى استرخاء .. عدا عبد
الخبير الذى كان يواصل العمل فى غرفة العمليات لآخر لحظة فى محاولة
لإصلاح أجهزة الانطلاق فى السفينة أو أجهزة الاتصال .

وكانت شهيرة وعبد اللطيف وعبد الراضى قد استلقوا على مقاعد
مريحة فى غرفة المراقبة .

وقال عبد اللطيف :

- اختفى أصحابنا .. ولم يعد لهم أى أثر .

وتساءلت شهيرة :

.. وهل تظنهم واصلين ؟

ورد عبد الراضى :

.. وصلوا أو لم يصلوا .. بعد أيام سنقرأ على أرواحهم الفاتحة .. إذا
كان لم يزل فينا رفق .

وقال عبد اللطيف مؤكدا :

.. أجل .. إذا لم يموتوا بالجوع فى القضاء .. فسيموتون بالشيخوخة
على أرض الكوكب .

وقالت شهيرة :

.. دعونا نلق نظرة على الرعية .. لنرى أحوالها .

ورد عبد الراضى :

.. ياستى فضيها سيرة .. الرعية .. مازالت كما هى .. ولن تكون أبدا
خيرا عما هى .

واستطرد عبد اللطيف :

.. يشكرون كل يوم اختراعا لإراحة أنفسهم .. ولكنهم لا يلبثون حتى
يحولوه إلى أداة للصراع بينهم .. وإلى وسيلة للفتك والإبادة .. وأطماعهم
لاتقف عند حد .. ويقدر ذكائهم فى الابتكار والاختراع بقدر غيائهم فى فض
مشاكل الصراع بينهم .. بحيث سرعان ما يتحول إلى صراع حيرانى للقوى
.. تستعمل فيه وسائل البطش .. وتستبعد منه إمكانيات العقل .. رعية
حمقاء غبية .. دعونا منها .

ونظر عبد الراضى إلى اللوحة السوداء وقال :

.. إذن دعوا الدكتور يدير المحطة .. ويرينا شيئا مسلما .

وقال عبد اللطيف :

.. محطات إيه يا عبد الراضى .. قلنا لك هذا ليس تليفزيون .

.. إذن دعونا نشاهد فى الكوكب شيئا مسلما .

.. ليس هناك غير الضرب والصراع والخطب .

.. أليس هناك تمثيلات ؟

.. كلها قد باتت غير مفهومة .. كأننا فى مستشفى مجاذيب .. والصور
قبيحة والتماثيل مشوهة .. حصان على رأسه تاج .. وامرأة بكفل حصان
.. وحفر بدل العيون .. وعصى بدل الأصابع وبجانب كل هذا إنسان فهلوى
يشرحها لك .. بالفاظ لامعنى لها .. بين أبعاد وأعماق وتلاحم .. ويقول لك
عندما لاتفهم .. إنه لاضرورة لأن تفهم .. المهم هو التأثير المباشر .. أو
الانطباع العام . والنتيجة ضيق مباشر .. وقرع عام ..

وقال عبد الراضى :

.. يعنى .. سنبقى هكذا إلى النهاية ؟

.. ليس أمامنا سوى هذا .

.. ياخسارة .. يألّف خسارة .

.. على ماذا ؟

.. على الأرض .. لم تكن راضين بها .. الله يمسكى بالخير يا زهرة ..
كنت تعملين طول اليوم .. وتحضرين إلى الطعام الذى تلطشينه من الخوجاية
التي تعملين عندها فى آخر النهار.. والا أم عبده !! كان حضانها دافئا وطريا
.. خسارة اتجرمنا من كل هذا.. ومن كل شيء كان سيجد فى المستقبل ..
كل هذا منك ياأستاذ .

.. أنا ؟

.. أجل أنت .. قلت لى .. تصعد إلى السماء .. ووافقتك .. على أنه
نكتة .. أو مقلب .. مما تعودت أن تضحك به على .. ولكنه اتضح أنه مقلب
حقيقى .. وجردتنى معك لتلقى بى فى سابع سما .. طول عمرك تمزح ..
وطول عمر أقوالك ترسى على فشوش .. لست أدري لماذا .. كنت جادا فى
هذا .. لماذا لم يكن باب الهزل الذى تعودت ؟

.. قسمتك يا عبد الراضى .. لك نصيب تموت فوق .. وعلى رأى

الشاعر :

.. ومن كانت منيته بأرض .. فليس يموت فى أرض سواها .
.. أرض يا أستاذ .. وليس سماء .. أرض يستقر فيها جسده ..
ويرشها السقا بالماء .. ليرطب عظامه .. ياخسارة الأرض .. كان لنا بيت ..
ومطبعة .. وغرزة .. كانت لنا أشياء عزيزة ..
وتنهدت شهيرة قائلة فى حزن :

- أجل يا عبد الراضى .. أشياء عزيزة .. وماذا أعز من الضنى .. لقد
جريت وراء المجد والشهرة .. والاسم المطبوع .. والصورة المنشورة .. وحملت
بالمناشبات .. ولكنى أحس الآن أن فى الأرض أشياء أجمل من هذا
بكثير .. ضمة راوية إلى صدرى .. عزيزة .. عزيزة .. وشقاوة محمود ..
وعفرتته .. كم أوحشتنى .. وجلسة الليل فى الشرفة أمام النيل ..
ومناكفات التليفزيون .. أشياء صغيرة .. قد تبسو تافهة .. ولكن كلها
عزيزة ..

وقال عبد اللطيف :

- أجل أشياء بسيطة .. ولكنها تشكل كياننا على الأرض .. تهامى
التليفونجى واستراقه السمع إلى المحادثات . الأستاذ عبيد وعموده الذى
لايعنى شيئا .. الشائعات .. والنكت .. والمطابع تدور .. أو الأوتوبيسات
تنطلق محملة تطفح بالركاب .. عربة ساندويتشات الفول يتزاحم عليها
العمال وموظفو الدواوين ..

وصمت برهة ونظر إلى شهيرة ثم أطلق زفرة طويلة واستطرد يقول :
.. والحب والشرق والحنين .. أشياء بسيطة .. ولكنها سمات الأرض ..
أرضنا العزيزة .. بكل الأشياء العزيزة التى تحملها .. كنا نظنها الكون كله
.. وكنا نظن أنفسنا فوق ظهرها كل شيء فى هذا الكون .. وإذا بنا ..
وبها .. شيء ضئيل .. فى تكوينه الضخم المعتقد ... لسنا وحدنا فى الكون
... إننا قطرة فى محيط هادر متلاطم .
وقتم عبد الراضى قائلا :

.. الأُحد هو الله يا أستاذ .. هو الأُحد فى هذا الكون .. هو صاحبه وخالقه ..
والقادر على كل ما لا يقدر عليه غيره ..

وقال عبد اللطيف :

.. القادر على أن يهب الحياة .. خالق الحبة التى تنبت سنبله والنطفة
التي تنبت إنسانا أوفىلا .. أوغلة .. بكل ما فى كيانها من تركيب دقيق
منظم معقد .. نحن لافلئلك إلا أن نخشع له ونؤمن بقدرته .

وقالت شهيرة :

.. أجل ما أعجزنا فى الكون .. أمام .. أثفه مخلوقاته .. أمام حشرة
.. أو حبة .. بعد كل ما أنتج الذهن البشرى .. يقف حائرا أمام سر الحياة ..
أمام إتمام إنتاج .. حبة تنبت وتورق .. وتؤتى ثمرة .. أمام صنع نطفة ..
تتمو وتتحرك .. وتشكائر ..

ورد عبد اللطيف :

.. ما أضالنا بعد كل هذه الانتصارات .. أمام هذا الكون .. الكبير ..
كل انطلاقة لنا خارج محيط أرضنا تزيد من ضآلتنا ..
أمام سعة الكون وروعيه .. وعظمته ..

وقال عبد الراضى :

.. إذا كنا ننسب كل إنتاج إلى صاحبه وخالقه .. فماذا نشكر أن يكون
لكل هذا الكون صاحب .. وخالق .. لماذا نريد أن نجعله .. مع كل روعته
.. وتنظيمه ودقته .. رمية من غير رام .. أو خلقا بغير خالق ؟ ..

وقال عبد اللطيف :

.. ولماذا نحاول أن نحدد قدرته ونختبرها فى جزء ضئيل من هذا الكون
.. هو الأرض ومن عليها من بشر .. وكأنها كل شيء فى هذا الكون ..
وهى لا تزيد على ذرة رمل فى صحراء كبرى .. نسأله عن تفصيلات حياة
الملايين .. هذا نجح .. وهذا فشل .. وهذا سرق .. وهذا ظلم .. ونحمله
مسئولية عجزنا وضعفنا وسوء تصرفنا .. ونحن جزء ضئيل من كون كبير

معقد مختلط .. نتصرف حياله وكأننا وحدنا فيه.. أو كأننا الكون كله ..
وقال عبد الراضى :

.. كنت دائما أومن به وعظمته وقدرته .. ورغم كل ما أتيت من ذنوب
كنت دائما أطمع فى عفو ومغفرته .. فليغفر لنا خطايانا .. وليرحمنا
جميعا .

وقالت شهيرة فى أسى :

.. لوأننا نعود إلى الأرض ..

وهز عبد اللطيف رأسه قائلا فى يأس :

.. لاقائدة .. الدكتورمختف فى حجرة الماكينات يحاول إصلاحها
بغير جدوى .

وفى تلك اللحظة أقبل عبد الحبير وقد بدا عليه الإرهاق الشديد . وقال
عبد اللطيف :

.. استرح ياكتور .. لقد سلمنا أمرنا له .

وقال عبد الحبير :

.. مازالت أمامى محاولة أخيرة .. إذا لم تنجح .. قضى على آخر أمل
لنا .

واسترخى عبد الحبير برهة .. ولكنه لم يلبث أن قفز من موضعه قائلا :
.. سأجرب فكرة .. خطرت ببالى الآن .

واندفع إلى حجرة العمليات .. ولم تمض بضع دقائق حتى سمع الجماعة
صيحة . ووثب الجميع تجاه الغرفة .. وصاحت شهيرة قائلة :
.. ماذا حدث ؟

وهتف عبد الحبير :

.. الصاروخ اشتغل .

وهز عبد الراضى رأسه قائلا دون أن يعرف سبب هذا الصراخ :

.. طب ما يشتغل .

وعاد عبد الخبير يقول فى صيحته العصبية :
 - إن السفينة تستطيع الانطلاق .
 وتساءل عبد اللطيف :
 - الانطلاق إلى أين ؟
 - إلى حيث نريد .. إما إلى الكوكب .. أو إلى الأرض .
 وصاح عبد الراضى مشدوها :
 - إلى الأرض ؟ .. يقول إننا نستطيع أن نعود إلى الأرض .
 هتفت شهيرة ودموعها تنساب من عينيها :
 - أحقيقة نستطيع العودة إلى الأرض .. أوافق أنت يا أبى ؟
 وقال عبد الخبير مؤكدا :
 - طبعاً ..
 - هل قررتم أن تعودوا إلى الأرض ؟
 وهتف الجميع :
 - طبعاً .
 وتساءل عبد الخبير :
 - والكوكب ؟
 ورد عبد اللطيف :
 - ماله الكوكب ؟
 - هل سنتركه هكذا ؟
 - وماذا نستطيع أن نفعل فيه .. إننا نريد العودة إلى الأرض وكفانا
 مغامرة ..
 وقال عبد الخبير فى لهجة هادئة :
 - هل سنترك أهله هكذا ؟
 وتساءلت شهيرة :
 - وماذا نستطيع أن نفعل لهم ؟

- وقال عبد الراضى :
- يكفى لهم الكابتن والباشمهندس .. لقد ذهبوا إليهم .. مندوبين عنا .
- وقال عبد الحبير :
- إنهم لن يملكوا لهما شيئا ..
- تسأل عبد اللطيف :
- وهل تملك نحن ؟
- بالطبع .
- ماذا تملك ؟
- فملك أن نغير حالهم .
- كيف ؟
- ننزع عنهم الصفات التى سببت لهم كل هذا ..
- ونعيدهم شجرا ؟
- أو بعض الصفات .. ونتركهم بمشاكل أقل .
- مثل ؟
- يعنى ننزع مثلا صفة الطموح وحب التميز والسباق إلى تملك أكبر ما يمكن من الأشياء .
- وماذا يصبحون ؟
- بشرا يأكلون ويشكاثرون .
- كالحیوانات ؟
- شئ كهذا .
- ولكنهم سيتصارعون من أجل الجنس ؟
- أجل .
- إذن نسلبهم متعة الجنس .
- وماذا يبقى لهم ؟
- متعة الطعام .

- وسيتضارعون على الطعام ؟

- طبعاً .

- ويتقاتلون ؟

- جائز .

- إذن نتزع منهم هذه الصفة.

- ونعيدهم أشجاراً كما كانوا ؟

- ولم لا . على الأقل نربح ضميرنا مما يمكن أن نكون قد أوقعناهم

فيه .. ونخلصهم من كل ما سببنا لهم من مشاكل ومادفعنا به إليهم من مصائب ومتاعب .

- هل ترون أن هذا أفضل ؟

- بالطبع .. لقد أثرتنا فتنة نائمة .. ويجب أن نخمدنا ..

وهكذا استقر رأى الجماعة بعد المناقشة على إعادة أهل الكوكب إلى ما كانوا عليه .. مجرد أشجار تضرب جذورها فى الأرض تستمد غذائها فى هدوء وتزهر أوراقها فى النسيم لتلقط أنفاسها فى سكونية وتحمل الريح حبوب لقاحها ليجرى التكاثر فى صمت .. وتهبط بذورها إلى الأرض لتثبت نبتاً جديداً .. قلاً الأرض خضرة وزهراً وثمرات .

وأخذ عبد الحبير يضبط لوحة الجهاز .. وبعد لحظة بدأ الكوكب .. يملؤه الصراخ والصراخ وكأنه يزخر بكوم من المجانين .. وقال عبد الراضى ..

- آه يا غجر .. كسفتونا الله يكسفكم .. لن ينفع معكم سوى التشجير .. يالله يادكتور .. ربحهم .. وربحنا ..

وبدأ عبد الحبير عمله ..

ضغط على بعض الأزرار .. وحرك بعض المسامير ..

وبعد برهة .. بدأت حركة أهل الكوكب تهدأ ..

خف الصراخ .. وخفت الصراخ .. وهذأت الخطب ..

وأخذت الجماعة تحصلق فى اللوحة فى ذهول .. وهى ترى .. الكوكب
يسكن .. كأن عاصفة هبت عليه .. ثم أخذت فى الهدوء .
وفجأة أشارت شهيرة إلى نقطة فى اللوحة وصاحت :
- انظروا ..
وتساءلت الجماعة :
- ماذا ؟
- شىء يهبط على أرض الكوكب ..
وقال عبد اللطيف :
- .. أجل .. أجل كأنه جندي مظلات .
- إنهما اثنان .
- عجيبة .. هل اكتشفوا فى الكوكب الهبوط بالمظلات ؟
- لعله من الخارج .. غزو من كوكب آخر .
وفجأة هتف عبد الحبير :
- إنهما هما .. بهنشى الفضاء .
وصاحت شهيرة مؤكدة :
- أجل .. هذا عبد المهيمن ووراءه عبد القادر .
- لقد خرجا من منطق اللاجاذبية .
- وهما يهبطان نحو أرض الكوكب .
- هبوطا هينا كأنه هبوط بالمظلة .
- .. أجل إنهما لا يهويان .
- بل يهبطان الهوينى كأنهما يتمشيان .
- فى خفة .. وهدوء .. كأنهما ريشتان .. أو طائران .
- عجبها كيف وصلا إلى هناك ؟
- لابد أنهما قطعنا منطقة اللاجاذبية .
- مثل هذه السرعة ؟

- لابد أن المشوار لم يكن طويلا .
- وبعد ذلك اندفعا إلى الكوكب بحكم الجاذبية .
- الحمد لله إتهما قد وصلا .
- وإن اندفاعهما إلى الكوكب كان هادئا ويطيئا .
- سيصلان إن شاء الله بالسلامة .
- وسيجدان كل شيء هادئا .
- أترى سيرضيهما هذا ؟
- ولم لا ؟
- لقد كانا يرغبان فى ممارسة السلطان وفى حكم الرعية .
- لأظن الرعية بعد كل هذه اللخبطة تستحق الحكم .. إن البعد عنها كما يقولون غنيمة .
- وستكون الحياة لهما فى الكوكب المشجر .. أفضل كثيرا .
- وسيستطيعان أن يديرا أمرهما .. كروين سان كروزو .
- أجل لديهما من الثمار ما يكفيهما حتى آخر العمر .
- والآن أظننا نستطيع أن نعود مطمئنى البال عليهما ..
- وعلى الرعية .

٢٣ - أمل فى البشرية

أخذ عبد المهيمن وعبد القادر .. فى الاقتراب من الكوكب . رويدا .. رويدا .

وقال عبد المهيمن فى فرحة :

- لم يكن المشوار طويلا كما ظننا .

- أجل .. لقد أحسست فجأة وأنا أطوح بذراعى فى الهواء كأن شيئا يشدنى إلى أسفل .

- خيل إلى أنى أغطس فى بركة ماء وأنى أحتاج إلى الجهد لكى أبقى على السطح .

- تركت نفسى فإذا بهى أهبط .

- لقد خشيت فى أول الأمر.. أن يكون هناك ما يسمونه بالمطب الهوائى .. وأن يكون هبوطنا مؤقتا .

- ولكن الجذب بدا متواصلا ملحا .

- جذبا هادئا .. لم أصدق معه فى أول الأمر أنى أهبط نحو الكوكب .

- وأنا أيضا .. لم يخطر ببالى أن المسألة هينة بهذا الشكل .. خسارة أننا لم نحضر الجماعة معنا .

- لقد ألحنا عليهم .. ولكنهم آثروا البقاء فى السفينة .

- مساكين .. إن الغذاء يوشك أن ينفد منهم .

- وسيلقون مصيرهم حتما .

- لو أننا استطعنا الاتصال بهم .

- أو العودة إليهم .
- لافائدة .
- ربما لو وصلنا إلى أرض الكوكب نجد وسيلة للاتصال بهم .
- أرجو ألا يكون ذلك بعد فوات الأوان .
- ولعلمهم وقتذاك يستمعون إلى نصحننا ويهبطون .. بدلا من الاستسلام للموت .
- لاشك أنهم سيهبطون .. إذا عرفوا أننا وصلنا بسهولة .
- ليتهم يحاولون أن يديروا الجهاز .. فلعلمهم يروننا هابطين ويقتنون بنا .
- لاأظنهم سيديرونه .. فلقد تركناه مغلقا ..
- أجل لقد بدوا كأنهم فرغوا من أمره .. ومن أمر الكوكب وأهله .
- لعلمهم يشغلونه من باب التسلية .
- لاأظنهم فى حالة تساعد على البحث عن وسائل التسلية .. لقد كانوا فى حالة يأس تام .
- على أية حال بمجرد أن نهبط سنحاول أن نفعل شيئا لاستدعائهم .
- المهم أولا.. كيف سيستقبلنا أهل الكوكب .. وهل سيتركون لنا فرصة لعمل أى شئ .
- يجب أن نبذل جهدنا للسيطرة عليهم من أول لحظة .. يجب أن نستعمل كل وسائل الترويع والانهيار.. يجب أن نتركهم مأخوذين .. مبهورين حتى يدركوا أننا مخلوقات فوق مستواهم .
- ولكن يجب ألا نخيفهم حتى لا يؤذونا دفاعا عن أنفسهم .
- إن المسألة تحتاج إلى مهارة وحيلة .
- انظر إلى أسفل إن أرض الكوكب تقترب .
- تقصد أننا تقترب من أرض الكوكب ؟
- أجل .. أجل .. التفاصيل قد بدأت تتضح .. الأنهار والجبال ..

والبحيرات .. والغابات .
 - إن الغابات قماً أرض الكوكب .
 - لم تكن تبدو كذلك من فوق .
 - لابد أننا نهبط نحو منطقة كثيفة الغابات .
 - لا أكاد أرى أثراً لبشر .
 - غير معقول أن يبدو لنا من هذا البعد .
 - وأشعر أن السكون يسود الكوكب .. أين الضجة والصراخ التي كنا
 نسمعها من فوق ؟
 - اصبر .. إننا مازلنا بعيدين .
 - إننا تقترب ..
 - يخيل إليك .
 - إن تفاصيل الأرض تبدو واضحة .
 - هذا خداع بصر ..
 - بل إن الأشجار قد بدأت تتضخ .. بفروعها وجذوعها .
 - ولكن لا شيء يبدو سواها .
 - والسكون يسود .
 - إلا صوت الريح تسرى في الأغصان .. وصوت الأمواج تلطم
 الشاطئ ..
 - أنصت جيداً .. فلعلك تسمع ضجة آدمية .
 - أبداً .. لا فرقة .. ولا دوى .. ولا صراخ .. ولا هتاف .. ولا حتى
 هممة أو لفظ .
 - لعلنا هبطنا في منطقة غير آهلة بالبشر .
 - جائز ..
 - خذ حذرك .. إننا تقترب .
 - أرض الكوكب تبدو بكل تفاصيلها .. إننى أكاد أرى .. الفروع

والورد والزهور .

.. عجيبة ..

.. ماذا ؟

.. هذا المنظر ليس غريبا على .

.. لعلك قد سبق لك الهبوط هنا .

.. لا .. لا .. إني أتكلم جادا .. أكاد أجزم أنى سبق أن رأيت هذا

المنظر .

.. إى والله معك حق .

.. ولكن أين .. أين ؟

.. تذكرت .. إنه هو بعينه .

.. ماذا تقصد ؟

.. نفس المنظر الذى رأيته هناك .

.. أين ؟

.. فى السفينة .

.. أجل .. أجل .. تذكرت .. أول منظر رأيته فى الكوكب على

اللوحة ..

.. ولكنه تغير بعد ذلك .

.. طبعاً .. تحرك معظم ما فيه من شجر .

.. ونبت له أذرع وسيقان وانطلق فى الأرض يأكل ويتكاثر ويتصارع ..

ويبعث فيها فسادا .. وعلوها ضجيجا وصراخا .

.. ولكن ماذا حدث ؟

.. لعلنا هبطنا فى منطقة مشابهة .. مازالت على بدائيتها .. لم يتحرك

ما فيها من شجر .

.. جائز .. على أية حال من المصلحة أن نهبط فى هذا الجانب الخالى

من البشر حتى نتدبر أمرنا ونستقر ثم نتوجه إلى الرعية .

- احذر إننا تقترب .
- أوشكنا على الهبوط .
- ألا يبدو منظر الشجر غريبا ؟
- كيف ؟
- فروعها كأنها تتحرك .
- ربما من النسيم .
- لا .. لا .. إنها تتحرك كالأذرع .
- أنت واهم .. مازلت تحت تأثير أنها تحولت إلى بشر .
- والبراعم كأنها عيون تحقق فينا بلهول .
- احذر حتى لا تسقط على إحداها فتتعلق في أغصانها .
- إني أحاول تجنبها ..
- هناك منطقة خالية دعنا نتجه إليها ..
- أجل .. هناك .
- احذر هذه الشجرة الشائكة .
- لا يبدو هناك أثر لبشر .. ولا مخلوق واحد .
- أكاد أحس بمخلوقات كثيرة تحتشد أسفلنا .
- أين .. تحت الشجر ؟ ..
- بل في داخله .. إنها هي الشجر نفسه .
- عدت لوهمك الذي يسيطر عليك .
- إننا تقترب .. إنها تنتظر إلى ..
- من هي ؟
- هذه الشجرة .. وتلك .. تحقق في .. كأنها توشك أن تقول شيئا .
- كف عن الأوهام فإننا لا ننوى التعامل مع الشجر .. وليس في مقدورنا أن نحولها إلى بشر .. فلنهبط إلى الأرض ونبحث عن الرعية ..
- حتى نمارس فيها السلطان .

وأخير ... هبط الاثنان .. وسط الأشجار المقدسة .
 ومست أقدامهما الأرض .. وثبتت فيها .. كأن شيئا قد ألصقها بها .
 وهتف عبد المهيمن :
 - لا أستطيع أن أحرك قدمي .
 - ولا أنا .
 - كأن بالأرض مادة لاصقة .
 - أو بها مغناطيسا .
 - كيف سنخلص أقدامنا .. إننا لا نستطيع الحراك .
 - اجذب قدمك بشدة .
 - لا أستطيع .
 - ولا أنا .
 - لنخلع البذلة .
 - أخشى أن يكون الجو غير ملائم ..
 - لنجرب فقير معقول أن نظل هكذا ملتصقين بالأرض .
 وقبل أن يهم كل منهما بالخروج من البذلة .. هتف عبد القادر :
 - انظر ..
 - ماذا ؟
 - إن أصابع يدي تنمو وتخترق القفاز
 - وأنا أيضا .
 - إنها تتفرع .
 - وتتشعب .
 - وأصابع قدمي قد امتدت من الخذاء واخترقت الأرض .
 - وخرجت منها شعب وشعيرات تمتد في باطن الأرض .
 - إذن هذا هو سر التصاقنا بالأرض .
 - لابد أن يكون كذلك .

— إن شعري قد استطال وامتد ..
— إنه يورق .
— وأنت كذلك .. إن منظرِكَ يبدو كالشجرة .. عيناك تتحولان إلى
برعم .

— وجسدك يتحول إلى جذع محدود .
— إنها كارثة .. لقد تحولنا إلى شجر .
— أمعتول هذا ؟
— ولم لا .. ألم يتحول الشجر إلى بشر ؟
— أجل .
— لابد أن تكون قد حدثت الآن عملية مضادة ..
— ماذا تقصد ؟
— أقصد أن البشر قد أضحي شجرا .
— كيف ؟
— كما تحول الشجر إلى بشر .
— ولكن من فعل هذا ؟
— ليس هناك سواهم .
— تقصد الجماعة هناك ؟ ..
— ولم لا ؟ ..
— وما الذي يدفعهم إلى هذا ؟
— الخلاص من المسئولية .. وإراحة ضميرهم قبل أن يموتوا .
— إذن لقد فعلها عهد الخبير .. الله لا يكسبه ولا يربحه لقد زرعنا في
الأرض ...

— إنه بلا شك لم يقصدنا .
— ولكننا أدخلنا في العملية .
— لم يدر بخلده قط .. إننا ستتحول مع الرعية إلى شجر .

- إنها عملية إجرام .
 - إجرام لماذا ؟
 - لأنه قضى علينا كبشر .
 - إنها شىء مروع فعلا .. أن يسخط الإنسان إلى شجرة .. لكن بينى وبينك .. ماذا يضايقتك ؟
 - يضايقتنى .. يضايقتنى .. أنى لأستطيع أن أتحرك .
 - ولماذا تريد أن تتحرك ؟
 - لأقضى حوائجى .. لا أستطيع أن أبقى هكذا فى موضعى كالتنبل .
 - وما هى حوائجك .. الطعام ؟
 - مثلاً .
 - جذورك تضرب فى الأرض لتأخذ ما تحتاج وأنت رابض فى محلك ..
 - المطر يسقط .. والنسيم يهب .. وأنت تأكل وتشرب وتتشفس .. ماذا تريد أكثر من ذلك .. بلا حركة .. يأتى لك كل شىء على الجاهز .
 - أظن حياتنا كلها أكل وشرب ؟
 - وتكاثر ؟
 - يعنى ؟
 - غدا يزهر رأسك .. أعنى فروعك وأوراقك .. وتخرج منها حبوب اللقاح .. فتحملها الريح عنك لأقرب أنثى .. وأنت مسريح فى مكانك ..
 - أجل .. أجل .. بلا جرى وراء الإناث .. ولا مطاردة .. ولا غزل .. ولا صرف .. ولا جهد .. تخرج منا حبوب اللقاح ..
 - لتحملها الريح إلى أول أنثى .. لتلقاها .. بلا تدلل ولا قنع ..
 - وتحمل وتلد .. أعنى تثر وترمى بنورها .
 - لتخرج أولادك من الأرض .. دون أن تحمل مسئولية تربيتهم ..
 - لامدارس .. ولادروس خصوصية .. ولا مجموع .. ولا تنسيق .. ولا تخرج فى الجامعة .. ولا متاعب توظيف .. ولا مشاكل زواج .. لا شىء من هذا كله ..

.. أجل .. أجل .. لن نحمل مسئولية أى شىء .. ليس علينا سوى أن
نربط مكاننا .. ونطلق جذورنا تمتص الغذاء وأوراقنا تشم النسيم وحبوب
لقاحنا تنهذى لأقرب أنثى .

.. بلا منافسة .. ولا غيرة ولا حسد ولا حقد .. ولا وشاية .. ولا غيبة .
ولا خداع .. ولا غش ..

.. ولا أى من هذه المتاعب المزعجة .. التى تجعل الحياة لاتستحق أن
نعيشها .

.. ولا أمراض .. ولا متاعب .

.. لا قرحة .. ولا ذبحة .. ولا جلطة .. ولا سرطان .

.. بل لانزلة معوية ولا صداع .. ولا برد .. ولا زكام .

.. هل تعتقد أن حياتنا ستكون بهذه السهولة ؟

.. طبعاً .. أى شىء يمكن أن يجلب لنا المتاعب . إننا لانطمع فى شهرة .

.. ولانأمل فى مجد .. ولا سلطان ..

.. إننا سنريح ونستريح .. لا مطمع لنا فى زعامة .. نقود بها الغير ..

ونسودهم .. لا رجاء لنا فى إعجاب .. ولا تصفيق .. ولا هتاف ..

.. أجل .. سنظل دائماً .. حيث نحن .. سنورق .. فى موعدنا رغم كل

شىء .. ونزهر رغم كل شىء .. ولن نستطيع أية قوة أو طموح أو ذكاء ..
أن نجعلنا نفعل أكثر من هذا .

.. استرحنا أخيراً .

.. أنعم الله علينا بنعم الاكتفاء .. والاستغناء .

.. هل تظن الحياة ستظل هكذا ؟

.. ولم لا ؟

.. اسمع .. ألا تشعر بشىء تحت قدميك .. أعنى تحت جذورك .

.. مثل ماذا ؟

.. أنا أشعر كأن جذورى ترتطم بالصخر .. إن الطريق إلى الغذاء ليس

معبدا كما تتصور .. إن علينا أن نحفر طريقنا فى الصخر .
.. وأنا أشعر بشيء يتسلق على جذعى .
.. إنه نبات طفيلى ..
.. غير معقول أن أجهد جذورى فى شق الصخور .. وامتنص التربة وأحولها
إلى غذاء . يأخذه هو من فروعى على الجاهز .
.. حتى هنا لا تخلو الحياة من التسلق والتطفل والانتهازية .
.. إنى أحس على أوراقى شيئا يلسعنى .
.. لعلها حشرة أو إصابة بندوة أو لطة .
.. بدأنا مشكلة الأمراض والمتاعب .
.. وأحس بالريح تشتد .. إن عاصفة توشك أن تهب .
.. ثبت جذورك فى الأرض جيدا .. وإلا اقتلعتنا .
.. الحياة لا تبدو مريحة كما تصورنا .
.. لا أظن هناك حياة بلا صراع ..
.. أجل .. الشيء الوحيد الذى لا يحتاج إلى صراع .. هو الموت .
.. على أية حال يجب أن نقاوم .. إنه مصيرنا المحتم .. لقد زرعنا فى
الأرض .. وعلينا أن نكافح فى سبيل البقاء .. وأن نزه .. ونشمر ..
وننشر ذريتنا فى الكوكب .. ومن يدرى .. قد يحولنا أحد إلى بشر مرة
أخرى .
.. لا .. لا .. هكذا أفضل كثيرا .. لقد كفرنا بحياة البشر .. دعنا
نستريح فى آخر عمرنا .
واستقر عبد المهيمن وعبد القادر فى أرض الكوكب .. شجرتين بين
الأشجار المتكاثفة .. تتلقى أوراقهما النسيم وقطرات الندى والمطر وتضرب
جذورهما فى الأرض . تنتزع الغذاء من الصخر ..
لم تكن حياة سهلة كما تصوراها .. ولكن كان عليهما أن يعيشا ..
وأن يقاوما من أجل البقاء والنمو والتكاثر . بكل ما يملكان من قدرة .. وأن

يخوضا من أجلها صراعا مع كل العناصر المضادة للحياة .

وفى السفينة كانت الجماعة ترقب هبوطهما .. إلى الأرض .. وتحولهما
إلى شجر .. ويدا عليهم الجزع وهم يرقبون المنظر العجيب .

وقال عبد الراضى وهو يضرب كفا بكف :

- عليهما العوض .. زرعا فى الأرض زرع بصل .

وقال شهيرة وهى تشير إلى اللوحة مشدوهة :

- لقد أورقا .

وقال عبد اللطيف مأخوذا :

- وأزهرأ .

وقال عبد الحبير :

- لا أظن هناك وسيلة لإعادتهما كما كانا .. إلا إذا حولنا الرعية كلها

إلى بشر ..

وصمت برهة ثم وجه السؤال إلى الجماعة :

- ما رأيكم .. هل نعيد الرعية كما كانت ؟

وقتم عبد اللطيف :

- لنفرقها فى المشاكل والصراع ؟ ! ! غير معقول .

وتساءل عبد الراضى :

- ولكن لماذا نعيدها ؟

ورد عبد الحبير :

- من أجل الاثنين .

وقال عبد الراضى :

- ولكن من أدراكم أنهما غير مستريحين هكذا ؟ .

وتساءلت شهيرة :

- أتظنهما سعيدين بصلبتهما هذه على ظهر الأرض .. لا يمكن

حراكا ؟ .

وردّ عبد الراضى على الفور:

- طبعاً سمعدين .. لو مكانهما .. لرفضت التحول إلى بشر.. ماذا يريدان خيراً من هذا .. على رأى المثل .. أكل ومرعى وقلة صنعة .. وقال عبد الحبير:

- ثم من غيرالمعقول أن نضحى بالرعية كلها من أجلهما .. ونعيدها إلى الصراع الذى كاد يوشك أن يلقى بها إلى الدمار.. وإلى حالة القرف والضيّق واليأس :

وقال عبد اللطيف :

- أجل .. من الأجرام أن نشير فى الكوكب الفتنة البشرية مرة أخرى .. ثم إن عبد المهيمن وعبد القسادر .. مازالا حيين .. يأكلان ويشربان ويتنفسان ..

وقال عبد الراضى :

- ويتكاثران .

وأردف عبد اللطيف :

- بنير جهد أو مشقة .

وقالت شهيرة :

- وهما يستطيعان .. أن يمارسا عملية التحكم والسلطان فيما حولهما من شجر .

وتساءل عبد الراضى :

- كيف ؟

وردت شهيرة :

- لن يعدما طريقة يلمان بها بعض الشجيرات تحت فروعهما ويتحكمان فى غذائهما .. وهوائها .
وقال عبد الحبير :

- لاتخشوا عليهما .. إنهما سيعرفان كيف يديران أمرهما .
وصمت برهة ثم قال :

- المهم الآن .. هو أن نبدأ رحلتنا إلى الأرض .

وهتف الجميع فى حماس :

- أجل .. هيا بنا .. إلى الأرض .

وقتم عبد اللطيف قائلا :

- نعود إلى الأرض بأى شئ ؟

وقتمت شهيرة :

- نعود بتجربتنا .

- ماذا تسوى هذه التجربة ؟

وتساءل عبد الكبير وهو يفكر :

- أجل .. ماذا تسوى !! ماذا تعلمنا منها ؟

وقال عبد اللطيف :

- إننا لسنا وحدنا .. فى كون متعدد الجوانب .. والعناصر ..

والمركبات .. إنما الله الأحد .. فى كون مركب معقد .. نحن لانشكل فيه إلا

قطرة فى بحر .. ونحن مسئولون عن أرضنا .. عن حياتنا .. بقوة مركباتنا ..

الذهنية والنفسية والبدنية .. مسئولون عن تشكيل حياتنا .. وحدة بشرية

بحيث تمتحننا الأفضل دائما .

وقال عبد الراضى مؤكدا :

- يجب أن نعود إلى الأرض لعلنا نستطيع أن نفعل شيئا .. أى شئ

.. من أجل ملايين التعساء الذين يقاسون من الجوع والمرض .. والخوف ..

على ظهر الأرض .. فى وقت لمحج فيه الإنسان فى الانطلاق إلى الفضاء

والوصول إلى القمر .

وردت شهيرة قائلة :

- أجل .. يجب أن نفيد من تجربتنا لإنقاذ الإنسان من حياة .. بائسة

.. لا يعرف كيف يستمتع فيها بخيرات أرضه ونتاج ذهنه .. فيقتضيها - على قصرها - إما فى حرب أو فى انتظار حرب .
وقال بعد اللطيف :

- إذا كان حتما علينا أن نعيش بمركباتنا البشرية من أجل بقاء الحياة ونموها وتطورها .. فيجب علينا أن نجعل من حياتنا قيمة للبشرية ذاتها .. وأن نجعل من الحياة شيئا يستحق أن يحياه الإنسان .. وعلى الأقل يمكن أن يحتمل .. يجب علينا أن نصلح الخلل فى تركيب الذهن البشرى .. إنه يعرف كيف يعمل من أجل ذاته .. ولكنه يجهل كيف يتعامل مع الغير .. إنه ممتاز فى العمل الفردى .. ولكنه قد عاجز عن أن يكون وحدة فى كل .. لقد فشل نهائيا فى تحقيق التآلف .. الذى يمكن أن يضع جهده وتقدمه ومنجزاته .. فى عمل موحد من أجل خير البشر .
وقال عبد الحبير :

- أجل .. إن الذهن البشرى وهو أمضى أسلحة الكون قد عاجز تماما عن تحقيق الانتصار الحقيقى للبشرية على أعدائها .. إنه سلاح ذو حدين .. قد يوجهه الإنسان ليحقق التقدم والرفاهية ولصراع التحديات التى تواجه البشرية من بقية عناصر الكون .. وقد يوجهه لذاته .. لاعتصره البشرى .. فيقتضى به على ما حققه من مزايا .. ويشرك جنسه جزعا قلقا .. هائرا .
ورد عبد اللطيف :

- أجل .. التناقض الحتمى فى مركبات النفس البشرية .. قد يكون سبب الصراع الضرورى لتطور الحياة .. ولكن خلل الذهن البشرى .. وعجزه عن أن يجعل من جهود البشرية .. تروسا منتظمة متناسقة فى حركة واحدة فى آلة التقدم البشرى .. قد أضاع قيمة هذه الجهود .. وأضاع الأمل فى التقدم والتطور الذى يمكن أن يحقق الخير للبشرية .. ويقتضى على كل ماتعانيه من هزائم أمام أعدائها الحقيقيين .. وعجزها فى مواجهة الجوع والمرض والخوف .. ووقف هذا الصراع المجنون الذى يهدد بدمارها .

وتسأل عد الراضى :

- ترى هل هناك أمل .. فى قدرة الذهن البشرى على الخلاص مما به من خلل ؟

وأجاب عبد اللطيف :

- لم لاتحاول . ما دام الذهن البشرى لم يعطل .. ومادمنا قادرين على التفكير.. فإن الأمل .. لم ينقطع .
وقتم عبد الحبير :

- العناصر المضادة للبشرية ليست هينة .. ويجب أن نواجهها ..
كوحدة .. إن الجراثيم والأوبئة والزلازل .. والسيول .. والجوع وكل وسائل التدمير الكبرى التى تواجه البشر فى الأرض .. يجب أن يتكاتف البشر لمواجهةها .. وأن تسأل البشرية كوحدة .. عن كل فرد فى كل مكان ..
عندما يموت إنسان جوعا فى الهند .. يجب أن يسأل عنه .. الإنسان فى أمريكا وفى روسيا .. عندما تفتك الزلازل بالبشر فى تركيا .. يجب أن يواجهها البشر فى كل مكان .. يجب أن تتحمل البشرية كلها مسئولية كل فرد فيها .

وقال عبد اللطيف :

- ويجب أن يتحمل كل فرد مسئولية البشرية كلها .. يجب أن يكون طموح الفرد .. طموحا من أجل تقدم الجماعة .. وخير الجماعة .. الطموح والتميز والرغبة فى السبق .. أمر محتوم للتقدم .. ولكن يجب أن يكون فى نطاق الجماعة .. يجب أن يتميز الفرد .. بما يؤديه من خير للجماعة .. من حق الفرد أن يبرز وأن يسبق .. ولكن لحساب فائدة الجماعة .. فإذا أضر تميزه بالجماعة .. فيجب أن يوقف تميزه .. وأن يردع .. والجماعة أيضا يمكن أن تتميز ولكن لحساب المجموع .. إذا حققت تميزا لنفسها فيجب أن يكون فى نطاق فائدة الآخرين .. وليس على حسابهم .

وقالت شهيرة :

.. يجب أن يكون التعامل بين الفرد والمجموع على أساس الثقة والحب .. أن يؤمن المجموع حياة الفرد وأمنه وكرامته .. وأن يمنح الفرد جهده للمجموع ورخائه ورفاهيته .

وقال عبد الراضى :

.. إنا لم نعدم الأمل فى الأرض .. الناس ما زالوا طيبين .. على كل ما فيهم من أنانية .. ومكر .. وحقد .. ينضوى فى نفوسهم خيط من التضحية .. وإنكار الذات والمودة .. والحنان .. فى نطاق الأسرة .. يكمن الإحساس بالتضحية .. وفى نطاق الوطن يكمن الإحساس بالغدا .. إن نفوس الناس لم تعد أرضا قاسية صماء .. لا يتبت فيها الخير .. إن بها قابلية خصبة لإنبات الحب .. والخير .. ألا يمنحنا هذا أملا ؟

وقال عبد اللطيف :

.. رغم كل شىء .. الأمل يجب أن يستمر موجودا .. أجمل فى الأشياء الطيبة التى منحنا الله إياها .. ولم يحجبها عنا .. أوقبض يده بها .. الحياة نفسها .. المحبة التى تنبت .. والنطفة التى تنمو .. والجمال فى الحياة .. الزهور التى تتفتح .. مشرق الشمس ومغربها .. زرقة البحر .. وخضرة السهول .. وبياض الجليد .. دفء الشمس فى البرد .. ورطوبة النسمة فى الحر .. مال الإنسان .. ولطفه .. ورقته .. وخفته .. كل هذا لم يحجبه الله عنها .. ومشاعر الود والمحبة .. وروابط الحب تشد الإنسان إلى الإنسان .. تشد الأب بابنه والأم بوليدها .. لم تدمر الكراهية والأحقاد بعد .. كل الأشياء الطيبة على الأرض .. وما زال الأمل المرجو منها كبيرا .

وقال عبد الحبير :

.. والأمل فى ذهن البشرى .. بكل ما يتفتح عنه .. من مبتكرات ومخترعات واكتشافات تهىء للبشرية سبل الرخاء والرفاهية .
الأمل فى القدرة الخارقة لذهن الإنسان .. تستنبط من الأرض والسماء إمكانات هائلة للرخاء .. قدرة تسيطر على الطاقة الهيدروجينية المبددة

التي تحوى ملايين الوحدات الحرارية . والتي تستخرج من أرخص الخامات وأكثرها توافرا فى الحياة .. قدرة تستغل كل المساحات الهائلة التي لم تزرع فى الأرض من مناطق تتوافر فيها المياه .. من غابات وسهول .. قدرة تحول مياه البحر إلى مياه حلوة تروى المساحات الهائلة من الصحارى وتنقب فى أعماق البحار عن ثروات مجهولة هائلة .. قدرة تستخرج غذاء الإنسان من بروتينات ومواد سكرية من المياه .. ومن ثانى أكسيد الكربون .. دون أن تتوقف حياته على النباتات الخضراء وعلى لحوم الأحياء .. قدرة تستغل كل إمكانيات الانطلاق فى الفضاء .. وكل الموارد الهائلة للقمر وللكراب والأجرام السماوية .. وتطور وسائل الاتصال بينها وبين الأرض .. بحيث يصبح نقلها ممكنا ومثمرا .. من أجل صالح البشرية كلها .. ومن أجل رخاء الإنسان الذى يجب أن تتوحد جهوده .. من أجل رفاهيته وسلامته .. بدل أن تتبدد فى الصراع الأحمق الذى يشتمت قواه .. ويدمر طاقته .. الأمل فى أن نكف عن شهوة السيطرة والسلطان والاستعباد .. وأن نركز جهودنا فى استنباط الخير للجميع .. وهو بفضل الذهن البشرى .. والإمكانيات الكونية .. يفوق حاجة البشرية كلها .. بحيث لا يعود هناك مبرر للنزاع عليه والاستئثار به .

وقال عبد الراضى :

.. الأمل فى أشياء كثيرة .. أكبرها .. أن الله موجود .. وأنه لم يتخل .. ولن يتخلى عنا... على كل ما نفعل من هنات وخطايا ليس أقلها السهر عن وجوده .. والتشكر له .. الأمل فى رحمته ومغفرته .

وقال عبد اللطيف :

.. الأمل فى أن يهتدى الإنسان وأن يستمتع بالحياة ويمتع بها غيره وألا يقيم سعادته على شقاء الغير ولا يبنى مجده على عذاب الآخرين .

وقال عبد الحبير :

.. الأمل فى أن نحل المعادلة الصعبة الكامنة داخل الإنسان والتي

يشكلها حب ذاته .. وقدرته على التضحية من أجل الغير.. وأن يصبح قمين
لحساب الجماعة وليس على حسابها .
وانطلقت السفينة نحو الأرض .. تحمل بضعة من البشر .. مجرد
بشر.. مازال أصغابها .. رغم كل شيء، يملأ نفوسهم أمل في البشرية بكل
ما تملكه من إيمان بالله .. وإحساس بالحب .. ورغبة في الخير .. وثقة في
العلم .

(تمت)

فهرست

صفحة

٥	١ — خفيف بلا جسد
١٩	٢ — الزوجة السادسة
٣٥	٣ — مجرد إنسان
٥٣	٤ — بلا أسرة ، بلا سمعة
٧١	٥ — شركة بالإكراه
٨٩	٦ — حب أفضى إلى زواج
١٠٥	٧ — نزيل في فندق
١٢٣	٨ — رغبة في التحدى
١٣٩	٩ — نحو الأضواء
١٥٧	١٠ — ثلاثة أرناب
١٧٥	١١ — أسياد على الأرض الجديدة
١٩٣	١٢ — ظهر القمر
٢٠٩	١٣ — مجرد فكرة
٢٢٧	١٤ — رعية من الشجر
٢٤٣	١٥ — عسكري المرور
٢٦١	١٦ — حل رجالى
٢٧٧	١٧ — فوضى
٢٩٥	١٨ — الهداية
٣١١	١٩ — الغضب
٣٢٧	٢٠ — تركة الأجيال
٣٤٣	٢١ — الثواب والعقاب
٣٥٩	٢٢ — مشوار في الفراغ
٣٧٥	٢٣ — أمل في البشرية

للمؤلف

(١٩٤٧)	(قصص قصيرة)	أطراف . . .
(١٩٤٧)	(رواية)	نائب عزرائيل . .
(١٩٤٨)	(قصص قصيرة)	اثنتا عشرة امرأة .
(١٩٤٨)	(قصص قصيرة)	خبيا الصدر . .
(١٩٤٨)	(قصص قصيرة)	يا أمة فصحكت .
(١٩٤٩)	(قصص قصيرة)	اثنتا عشر رجلا .
(١٩٤٩)	(رواية)	أرض النفاق . .
(١٩٤٩)	(قصص قصيرة)	في موكب الهوى .
(١٩٤٩)	(قصص قصيرة)	من العالم المجهول .
(١٩٥٠)	(قصص قصيرة)	هذه النفوس . .
(١٩٥٠)	(رواية)	أني راحلة . .
(١٩٥٠)	(قصص قصيرة)	مبكي العشاق . .
		بين أبو الريش وجنيّة
(١٩٥٠)	(قصص قصيرة)	فاميش . . .
(١٩٥١)	(قصص قصيرة)	أغنيات . . .
(١٩٥١)	(مسرحية)	أم رتيبة . . .
(١٩٥١)	(قصص قصيرة)	هذا هو الحب . .
(١٩٥١)	(قصص قصيرة)	صور طبق الأصل .
(١٩٥٢)	(رواية)	بين الأطلال . .
(١٩٥٢)	(رواية)	السقا مات . .
(١٩٥٢)	(قصص قصيرة)	سماز الليالي . .
(١٩٥٢)	(قصص قصيرة)	الشيخ زعرب . .
(١٩٥٢)	(قصص قصيرة)	نفحة من الإيمان .
(١٩٥٢)	(مسرحية)	وراء الستار . .
(١٩٥٣)	(قصص قصيرة)	ست نساء وستة رجال
(١٩٥٣)	(قصص قصيرة)	هذه الحياة . .

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السبعار وشركاه

رقم الايداع ٨٦/٧٤١٨
الترقيم الدولي ٠ - ٢٦٨ - ١١ - ١٧٧

مع تحيات يحيى الصوفي
مؤسس ورئيس تحرير موقع
القصة السورية
Syrian Story

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - النجالة



الشمس ٩ جنيهات

دار مصر للطباعة
معيد جوده السحار وشركاه